صالح الورداني

عقائد السنة وعقائد الشيعة

التقارب والتباعد

الناشــر : **مكتبة مدبـولى الصغير**

٤٥ شـارع البطـل أحمـد عبد العزيـز

تليفون : ٣٤٧٧٤١٠ ـ ٣٤٤٢٢٥٠

ميدان سفنكس ت : ٣٤٦٣٥٣٥

رقـم الإيـداع : ٩٦٥٨ / ٩٤

الترقيم الدولى :1 - 76- 5193 - 977

الطبعة الأولى : ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م

المدير الفنى : محمد الصباغ

عربية للطباعة والنشر

٧ ، ١٠ شارع السلام ـ أرض اللواء المهندسين

تليفون : ٣٠٣١٠٤٣ـ٣٠٣٦٠٩٨



الفصل الأول

العقيدة
محاولة تعريف

تمهيد

كانت ولازالت العقيدة هى جوهر الصراع الفكرى على مر التاريخ الإسلامى غير أن ما يجب التوقف فيه هو تحديد ماهية العقيدة وفصلها أو التفرقة بينها وبين ما أدخل عليها وعلق بها وصار جزءاً منها يلزم الإقرار به واعتقاده كما يلزم الاعتقاد بالأصل.

وفى رأيى أن السبب المباشر للخلاف الذى وقع بين المسلمين وأدى إلى ظهور الفرق والتيارات المختلفة يكمن فى تلك الأمور التى علقت بالعقيدة واعتبرت بمرور الزمن جزءاً منها.

إذن ما هى العقيدة..؟ وما الذى علق بها..؟

إن تحديد ماهية العقيدة سوف يحدد تلقائياً ما علق بها. فإذا كان الإيمان هو المصطلح المرادف للعقيدة أو هو التعريف اللغوى الأدق لهذه الكلمة، فقد تبين لنا ان المسألة تتعلق بالأصول. أي أن الاعتقاد يرتبط بالأصول فعلى هذه الأصول يجب أن يثبت العقل ولايحيد وإلا كان مرتداً. أما ما دون وذلك فهو محل أخذ ورد واتفاق واختلاف وقبول ورفض.

فإذا كان الأمر كذلك فمن أين يأتى الاختلاف..؟

والجواب أن الاختلاف يأتى عندما يكون هناك إنحراف عن الأصول. أو عند تغلب الفروع على الأصول. أو عند تغليب أقوال الرجال على النصوص وهذا هو جوهر القضية ومحور الصراع وأساس الخلاف.. الفروع وأقوال الرجال..

ولو تجرد المسلمون فى خلافاتهم واحتكموا إلى النصوص لحسم الخلاف لكنهم غلبوا الفروع وأقوال الرجال وتناسوا النصوص وهى الأصل فكانت النتيجة هى زيادة التباعد وزيادة النفور والشقاق..

وقضية الصراع بين السنة والشيعة هى المثل الساطع على هذا الأمر نتبينه بوضوح عندما نعلم ماهيه الأسلحة التى تشهرها السنة فى وجه الشيعة وما هيه التهم التى تلقى عليها من

قبلها..

إن التهمة الأساسية التى توجهها السنة للشيعة على مر الزمان هى فساد العقيدة. فالسنة يعتبرون أنفسهم الفرقة الناجية ومادونهم من الفرق والاتجاهات هلكى لفساد معتقداتهم وفى مقدمتهم الشيعة..

فعلى أى أساس بنت السنة موقفها هذا..؟

إن الاجابة على هذا السؤال تقتضى منا أن نعرف العقيدة فى منظور السنة، كما يقتضى منا أن نعرف العقيدة عند الطرف الآخر المهم وهو الشيعة.. وهذا هومدار البحث فى هذا الكتاب، التعريف بالعقيدة لدى الطرفين ثم

الخروج بنتيجة مطلوبة هى مدى قرب عقيدة أى من الطرفين من المفهوم الحقيقى للعقيدة..

فهى دراسة مقارنة ومحاولة لحسم الخلاف وتحقيق الاستقرار الفكرى فى الوسط الإسلامى. ذلك الاستقرار الذى ينشده الجميع والذى يعد أولى الخطوات نحو انطلاقة إسلامية ثابتة واعية فى وسط عالم سقطت فيه كل الأيديولوجيات البشرية ولم يبق فى مواجهة الإسلام إلاالصهيونية اليهودية تكشر عن أنيابها وتجهز جيوشها بمشاركة الغرب الصليبى وبعونه ومدده..

وعلى الله قصد السبيل

ومنه التوفيق والسداد

والحمد لله أولاوأخيرا

صالح الوردانى

ص: ب ١٦٣/ ١١٧٩٤

رمسيس

القاهرة

العقيدة أنواع، هناك العقيدة السياسية وهناك العقيدة الاجتماعية وهناك العقيدة الدينية..

وما يعنينا تعريفه هنا هو العقيدة الدينية فهى العقيدة التى تقف على رأس هذه الأنواع من العقائد، وهى العقيدة التى كتب لها الديمومة والبقاء من دون بقية العقائد الأخرى.

وإذا كانت العقيدة تنبثق من عمل عقلى اختيارى، للرغبة والوجدان دورهما فيه فهى من ثم تعد عقيدة مكتسبة. والإنسان مطبوع على أن يعتقد ومهيأ لقبول معتقد ما..

لكن السؤال الذى يطرح نفسه هنا هو: لماذا يختار الانسان معتقداً دون آخر..؟

البعض يرى الأمر يكمن فى الوجدان..

والبعض الآخر يرى الأمر يكمن فى العقل..

بينما يرى آخرون أن الأمر يكمن فى الإرادة..[1]

وقد تكون هذه العوامل الثلاثة مجتمعة لها دورها وتأثيرها فى عملية اختيار العقيدة وهى عوامل تختلف من فرد لفرد ومن فئة لفئة..

إلا أن لكل عقيدة خصائصها ومميزاتها التى تجعل منها ذات جاذبية خاصة لمعتنقيها وتدعم موقفهم فى الثبات عليها..

ولا يجب أن ننسى هنا العامل الوراثى والاجتماعى فكلاهما له دوره فى شيوع بعض العقائد وتمكنها فى نفوس آخرين..

وهنا يطرح السؤال التالى: ماهى الخصائص والمميزات التى تتصف بها عقيدة ما أو التى يجب أن تحتويها عقيدة ما ليمكن وصفها بأنهاعقيدة دينية لا سياسية ولا اجتماعية..؟

والإجابة تكمن فى أمرين:

الأول: موضوع الاعتقاد وهو الشىء المصدق أو المعتقد به..

الثانى: حقيقة الإذعان لهذا المعتقد أو ذاك.

أى أن الفاصل بين العقيدة الدينية وغيرها يكمن فى الموضوع وهو الصلة بين المتدين وبين الشىء المقدس موضوع الاعتقاد كما يكمن فى اختصاصها بالغيب. فالموضوع هو الله. والغيب هو كل ما يتعلق به.. [٢]

وإذا كانت قضية الإيمان بالله هى الركن الأول فى العقيدة الدينية فإن الركن الثانى هو الإيمان بالرسول الذى عرفنا بالله وأبلغنا رسالته. فمن البديهيات المعروفة أن العقيدة إنما تصلنا عن طريق الرسل الذين تتركز مهمتهم فى إبلاغ العقيدة الإلهية بنصها كما أنزلت عليه. فالرسول لا يملك حق التعبير عن هذه العقيدة إنما يملك حق تفسيرها. والنص الذى يبلغه هو القرآن بالنسبة لرسولنا (ﷺ) والتفسير هو السنة..

فإذا ورد حديث عن رسول الله (ﷺ) يفسر لنا أمراً من أمورالعقيدة قبلناه على أساس أنه تفسير لاعلى أساس أنه عقيدة لأن الرسول لا يضيف شيئاً من عنده إنما يبين للناس ما أنزل إليه..

أما إذا ورد كلام على لسان الرسول يناقض القرآن أو يضيف مفهوماً جديداً فى الاعتقاد رفضناه على الفور واعتبرناه من الموضوعات على لسان الرسول لأن الرسول لايناقض القرآن ولا يضيف عليه (ما على الرسول إلا البلاغ)..

وهنا تبرز لنا قضية خلافية بارزة بين السنة والشيعة حيث أن السنة تنظر إلى الرسول نظرة والشيعة تنظر له نظرة أخرى. وقد انبنت على هذين الموقفين المختلفين نظرتان مختلفتان إلى الحديث خاصة ما يتعلق منه بالعقيدة حيث ترى الشيعة أن الأحديث لا مجال لها فى الأمور السمعية إنما الحسم فيها للقرآن وحده بينما ترى السنه أن السمعيات يمكن تناولها من الأحاديث على ما سوف نبين فيما بعد، حتى ولو كانت هذه الأحاديث تتناقض مع القرآن.. [٣]

وهوالمتأمل فى القرآن سوف يكتشف أن لغة القرآن خصت العقيدة باسم «الإيمان» وخصت الشريعة باسم «العمل الصالح» أو «الاستقامة»..

والإيمان لغة هو التصديق واصطلاحا هو الاعتقاد بكل ما ثبت بالضرورة وقد رأى العلماء أن الإيمان مركب من فروع هى التصديق بالجنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان..

وما يطلب الإسلام من المسلم التصديق به كأساس لإيمانه وكمال عقيدته تجمعه كلمة: الشهادتين..

ولكن ما هو التصديق..؟

والإجابة التصديق بالله أى معرفة الله (الالهيات)

والتصديق بالرسول أى معرفة الرسل والملائكة والكتب (النبوات)

والتصديق بالبعث والحساب (السمعيات)..

وهذا هو التصديق الذى يلتزم به جميع المسلمين سنة وشيعة وغيرهما.

هذا هو التصديق الذى يشكل أركان العقيدة الإسلامية..

هذا هو التصديق الذى يفصل بين الكفر والإيمان والحق والباطل والهداية والضلال..

هذا هو التصديق الذى يقوم على النصوص القطعية التى حملها جميع الرسل إلى البشر فى كل زمان ومكان..

والسؤال الذى يفرض نفسه هنا هو: اذا كانت الشيعة تشارك السنة فى هذا التصديق وتتبنى نفس الاعتقاد الذى تعتقده. فلماذا تتهم بالزيغ والضلال من قبلها..؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تكشف لنا قضية خطيرة وشائكة وهى تحديد ما علق بالعقيدة الإسلامية على مر العصور حتى اعتبر جزءاً منها وأصلاً من أصولها وأصبح هو المقياس والفيصل بين الحق والضلال فى غيبة النصوص القطعية التى هى الأداة الوحيدة لتميز الحق من الباطل والهداية من الضلال..

فلو كانت طائفة السنة تصدر أحكامهاعلى الآخرين على أساس النصوص وحدها لبانت الحقيقة وحسم الخلاف. لكن الحقيقة المرة هى أن أحكامها ومواقفها من الشيعة تقوم فى أساسها على أقوال الرجال وماخلفته السياسة فبعد أن أضيفت الأحاديث وأقوال الرجال إلى مصادر العقيدة الاسلامية تميعت الامور وتميعت العقيدة وأصبحت مطية فى أيدى القوى الحاكمة تتلاعب بها لتحقيق مصالحها وتقوية نفوذها من أجل إخضاع الجماهير وإسكات الأصوات المعارضة..

ومن هنا انتشرت فى المجتمع الإسلامى على مر التاريخ كلمة (زندقه) وأصبح يرمى بها يميناً ويساراً على كل صاحب فكرأوتوجه أو معتقد مخالف للاتجاه السائد (عقيدة أهل السنة) وأصبحت هذه الكلمة تضفى مشروعية على أعمال القتل والعزل وتبرر الإطاحة بالرقاب..

والتاريخ الإسلامى ملىء بكثير من الأمثلة على ذلك فقد ذبح كثير من الخارجين على الحكام باسم الزندقة واتهمت الحركات الشعبية والانتفاضات الثورية بالزندقة حتى تعزل عن الجماهير وتعزل

الجماهير عنها وتتشكك فيها مما يسهل على الحكام تصفيتها والقضاء عليها..[٤]

وسوف نقدم البرهان على ما نقول من خلال نصوص العقيدة الدخيلة على أصل العقيدة ومن خلال أحداث التاريخ..

إن الإيمان أو التصديق هو التعبير الحقيقى عن العقيدة وهو بأركانه كان يمثل عقيدة الإسلام الصحيحة التى كان عليها المجتمع الإسلامى قبل عصر الترجمات وظهور علم الكلام.[٥]

والمشكلة أن القوم لا يريدون العودة لنبع الإسلام الصافى ليتناولوا منه عقيدتهم ويريدون أن يفرضوا على الأمة عقيدة تحمل آثار السياسة وعلم الكلام وأقوال الرجال..

ويريدون أن يجعلوا من هذه العقيدة المشوهة مقياس الحق والباطل والنجاة والهلاك، فمن اعتنقها كان من الناجين ومن خالفها كان من الهالكين..

وإذا كان القوم يتبنون عقيدة أهل السنة والجماعة ويعتبرونها عقيدة الفرقة الناجية. فهل لهم أن يخبرونا متى ظهرت هذه العقيدة..؟[٦]

وما هو مصير المسلمين الذين ماتوا قبل ظهورها..؟

لقد اخترعت السياسة الكثير من الأحاديث على لسان الرسول (ﷺ) والتى تؤكد أن عقيدة أهل السنة هى العقيدة الصحيحة وأن الرسول قد أوصى بها وفى مقدمة هذه الأحاديث حديث تفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة فى الجنة والباقى فى النار. وقد فسروا الفرقة الناجية بقولهم هى أهل السنة والجماعة. وقال آخرون هم أهل الحديث.. فهل كان هناك أهل سنة وأهل حديث فى زمن الرسول..؟[٧]

وحديث عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى، وعلى أساس هذا الحديث تم إدخال الخلفاء الأربعة فى صلب العقيدة وأصبح الإيمان بهم على الترتيب أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على من أسس العقيدة ومن يخالف ذلك فهو ضال مبتدع.[٨]

إن من السذاجة تصور أن العقيدة الإسلامية لم تمتد إليها أيدى الرجال ولم يصبها إنما حال العقيدة الإسلامية كحال سابقتها من العقائد وهى سنة الأقوام مع الأديان..

وأن المتأمل لقول الرسول (ﷺ): لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع.. يدرك هذه الحقيقة..

ويمكن للمسلم أن يتأمل كيف يمكن أن تسمى العقيدة الإلهية بأسماء الرجال فتارة يسمونها

بالعقيدة الطحاوية نسبة إلى مؤلفها الطحاوى وتارة يسمونها بالعقيدة الواسطية وهى منسوبة لابن تيمية. وتارة يسمونها بالعقيدة النسفية نسبة لمؤلفها النسفى.(٩)

والحق أن هذه الكتب لا تمثل العقيدة الإسلامية فى شىء وإنما هى عقيدة محشوة بأقوال الرجال وأثر النصوص فيها قليل.

ويبدو هذا الأمر بوضوح إذا ما تابعنا حركة الاتجاهات العقائدية فى دائرة مذهب أهل السنة. فهناك عدة اتجاهات متطاحنة فيما بينها تتصارع حول قضايا كلامية مثل ما يتعلق بالذات والصفات..

فهناك الخلاف الشديد بين ابن تيمية والسلف والخلف حول الأسماء والصفات

هناك اتجاه الأشعرية..

وهناك اتجاه الحنابلة..

وهناك اتجاه المالكية..

وهناك اتجاه الشافعية..

وهناك اتجاه الأحناف..

وكل اتجاه من هذه الاتجاهات له أطروحته حول العقيدة بالإضافة إلى اتجاه المتصوفة الذى يحمل رؤية مختلفة عن رؤى الآخرين.. وهذا الخلاف إن دل على شىء فإنما يدل على أن محور الخلاف ليس العقيدة وإنما هو أقوال الرجال التى تم حشو العقيدة بها.

إن ما نريد أن نصل إليه هنا هو التفريق بين العقيدة الإسلامية وبين العقيدة الوضعية فلا يجوز الخلط بين الامرين واعتبار المساس بالجزء الوضعى يعتبر مساساً بالجزء الإلهى..

وهذا التفريق يقتضى القيام بعملية تشريح لكتب العقائد وفصل الوضعى عن الإلهى منها مستهدين فى هذه العملية بالنصوص القطعية من القرآن..

والأصل الأول من أصول العقيدة هو التوحيد (لا إله إلا الله)..

أما الوضعى فهو مالحق بهذا الأصل من أقوال وتفسيرات خرجت به عن مفهومه الحقيقى وأدت إلى تعقيده.

* الوضعى هو تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام : توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الإلهية أو

العبادة ثم توحيد الربوبية.[١٠]

فمثل هذا التقسيم لا أصل له وليس من الضرورات فى الاعتقاد فهو تقسيم فلسفى بحت لا يجوز شغل الناس به.[١١]

وهل يعقل أن يقال أن من يموت دون أن يعرف هذه التقسيمات ويعيها يموت على غير التوحيد..؟

وهل من الواجب شرعا أن يعرف المسلم أن الله فى السماء مستوى على عرشه وأنه ينزل إلى الدنيا كل ليلة وأن القرآن كلام الله غير مخلوق وأن الله له صفات فعلية وصفات ذاتية وغير ذلك من متاهات القول..؟[١٢]

إن مثل هذه الأمور الفلسفية التى تكتظ بها كتب العقائد إنما هى موروثات لها ظروفها وزمانها ولا حاجة بأن يشغل بها مسلمو اليوم.

* والوضعى هو ربط قضية التوسل والوسيلة والتبرك بآل البيت بالشرك واعتبار هذه الأعمال مناقضة للتوحيد. فهذا كلام لم تقم الأدلة على صحته ولم تقل به سوى طائفة شاذة فى وسط أهل السنة..[١٣]

والأصل الثانى من أصول العقيدة النبوة (محمد رسول الله)..

أما الوضعى فهو ما ألحقوه بشخصية الرسول من تعريفات مثل أن العصمة فى جانب التبليغ فقط أما بقية مواقفه وممارساته فلا تخضع للعصمة وأنه ينسي ويجتهد ويخطيء ويسحر وينشغل بالنساء ويخضع لرأى عمر فى جانب التشريع وأن القرآن كان يتنزل على مواقف عمر وآرائه..[١٤]

ومثل هذه المقولات إنما فيها مساس بشخص الرسول (ﷺ) وإظهاره بمظهر النبى العاجز المتناقض وهى من الممكن أن تفتح باب التشكيك فى رسالته وهى فى الأصل نابعة من أحاديث وروايات اخترعتها السياسة بهدف تشويه صورة الرسول ومساواته ببقية الناس حتى يسهل على الحكام تبرير أفعالهم وممارساتهم وانحرافاتهم على حساب الرسول(ﷺ)..

أما الأصل الثالث من أصول العقيدة والمتعلق بالمعاد أى البعث والحساب والجنة والنار فقد علقت به كثير من الروايات المنسوبة للرسول والتى يعد بعضها بمثابة صكوك غفران تضمن للجميع دخول الجنة والنجاة من النار دون أية تبعات.[١٥]

وكان الهدف منا اختراع هذه النصوص هو تمييع صورة الإسلام فى نفوس الجماهير وتخديرها

ودفعها للزهد فى الدنيا كى يرتع فيها الحكام..

ولا تزال هذه الأحاديث تؤدى دورها فى تخدير الجماهير وتضليلها حتى اليوم خاصة تلك الأحاديث التى تتعلق بطاعة الحكام منها..[١٦]

ولم تقف عقيدة أهل السنة عند حد هذه الأصول الثلاثة أى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر بل أضافت الإيمان بالقدر خيره وشره مع أنه يدخل ضمنا مع الإيمان بالله وأضافت فوق ذلك عدة أمور جعلتها من صلب العقيدة وحوتها كتب العقائد وهى جميعها ثابتة بالإجماع عندهم وهذه الأمور هى:

* الاعتقاد بعدالة جميع الصحابة..[١٧]
* الاعتقاد بنقصان الإيمان وزيادته..[١٨]
* الاعتقاد بعدم كفر أهل القبلة بمطلق المعاصى والكبائر..[١٩]
* الاعتقاد بأن خير الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على..[٢٠]
* الاعتقاد بحب آل البيت..[٢١]
* الاعتقاد بكرامات الأولياء..[٢٢]
* الاعتقاد بطهارة أزواج النبى وموالاتهم..[٢٣]
* الاعتقاد بطاعة الأمراء أبراراً وفجاراً والحج والجهاد والصلاة معهم..[٢٤]
* الاعتقاد بحرمة الخوض فيما شجر بين الصحابة..[٢٥]

إن الباحث فى عقائد السنة وعقائد الشيعة سوف يجد أن البعد شاسع بين الطرفين وأن مسألة الخلاف بينهما ليست سطحية كما قد يتصور البعض وإنما هى عميقة وعميقة جدا أيضاً..

وهذا القول لا يرضى دعاة الوحدة والتقريب من الطرفين لكنها الحقيقة التى يجب أن يدركها الجميع: المسلمون

الباحثون

دعاة الوحدة الإسلامية

فالباحثون يجب عليهم أن يدركوا أن الحقائق العلمية يجب أن تعرض كما هى بتجرد دون مواربة ولا تحيز.

ودعاة الوحدة يجب عليهم أن يعلموا أن الوحدة لا تقوم إلا على أساس قاعدة فكرية ثابتة ولا تهزها رياح السياسة..

وتجارب الوحدة السابقة يجب أن توضع نصب أعينهم وهى تجارب على ما تشير الوقائع فاشلة والسبب أنه كان هناك سوء تفاهم لدى الطرفين كل بالآخر.. ولقد كانت القاعدة الإسلامية فى مصر متحالفة تماماً مع الثورة الإسلامية فى بدايتها وتعتبر الإمام الخمينى قائدها ولكن وبمجرد أن فجر أعداء الإسلام نقاط الخلاف وكشفوا مواقف الشيعة من الصحابة سرعان ما تبدد هذا التحالف وتلاشى التأييد وأنقلب الموقف من موالاة إلى معاداة..[٢٦]

والمسلمون من حقهم أن يطلعوا على الحقائق بأسانيدها حتى تتضح الرؤية أمامهم ويملكوا القدرة على اتخاذ القرار المناسب..

نعم إن الشيعة تشترك مع السنة فى الأصول كما ذكرنا لكن السنة لا تكتفى بذلك بل تريد من الشيعة أن تتنازل عن موقفها من الإمامة واعتبارها أصلا ينبنى عليه شتى المواقف الأخرى التى تتبناها تجاه الصحابة وتجاه آل البيت.

السنة تريد من الشيعة أن تعترف بالخلفاء الثلاثة وتقر بكل ما جاء فى عقيدتها من أقوال واجتهادات ابتدعتها السياسة وإلا فهى ضالة مبتدعة..

والشيعة من جانبها تريد من السنة أن تحترم اجتهاداتها وتعذرها فى مواقفها كما عذرت معاوية ويزيد وبررت جنايتهما وجرائمهما فى حق الإسلام والمسلمين..[٢٧]

لماذا تتشدد السنة فى قضية الصحابة وتعتبرها فيصلاً بين الحق والباطل هل الصحابة ركن من أركان الإسلام. أم هى عبادة الرجال؟

أم أن عقيدة أهل السنة يرتبط وجودها ومستقبلها بالرجال..؟

إن أصل الإمامة الذى تعتقده الشيعة يضع الطرف الآخر السنى فى موقف حرج شرعاً لكثرة النصوص التى تـ ـضده والتى لا يتسلح الطرف السنى فى مواجهتها بنصوص مثلها وإنما يتسلح بالتأويل والتبرير..[٢٨]

وليس من المعقول أن يتم التنازل عن قضية تعضدها النصوص ويتم تبنى قضية اخترعتها السياسة وخلقتها مخيلة الرجال من أجل تحقيق التقارب والوحدة.

فإن تحقيق الوحدة والتقارب لا يكون أبدا على حساب النصوص..

من هنا تصبح مسألة الخلاف بين السنة والشيعة مسألة شائكة جدا وليس هناك من وسيلة لحسمها سوى عذر كل طرف للآخر..

إلا أن التاريخ يحدثنا أن السنة لم تعذر الشيعة ورفضت على الدوام التعايش معها وقادت حملات الهجوم والطعن والتشويه والتشكيك فى مواجهتها بينما التزمت الشيعة أمامها موقف الدفاع..(٢٩)

وحتى موقف الدفاع يشجب من قبل السنة ويحمل على أنه تقية. فإذا اتهمت السنة الشيعة أن لديها قرآنا سريا وإنها لا تعترف بالقرآن الذى بين أيدى المسلمين. ونفت الشيعة هذا الاتهام قالوا أنها تفعل ذلك على سبيل التقية فالثابت لدى أهل السنة أن الشيعة يظهرون الإسلام ويبطنون الزندقة.

وطائفة مثل هذه تقوم عقائدها وأفكارها على أساس الشك فى أفكار وعقائد الآخرين وافتراض سوء النية مقدم عندها كيف لها أن تتحد مع الآخرين وتتفاعل معهم..؟

إن المقارنة التى سوف نبدأ عرضها هنا سوف تكشف الكثير من الحقائق حول معتقدات السنة والشيعة. ومن خلال هذه الحقائق سوف تتبين لنا إمكانية اللقاء بين الطرفين..

وعلينا أن نحدد بداية مجموع القضايا التى سوف يتم المقارنة بينها وهى تنحصر فى الاتى:

- التوحيد..
- النبوة..
- الإمامة..
- الرجال..
- آل البيت.

هوامش

١. المختصر فى العقيدة والأخلاق للدكتور محمد عبد الرحمن بيصار. ط القاهرة..

٢. المرجع السابق..

٣. يعتبر أهل السنة الحديث الذى تثبت صحته عندهم يجب الأخذ به واعتماده حتى ولو كان هذا الحديث يتناقض مع القرآن فيجب فى هذه الحالة توفيقه معه مادامت قد ثبتت صحته بطرقهم..

٤. انظر حركة المختار الثقفى المسماة بحركة التوابين ضد قتلة الحسين (ع) والتى شوه صاحبها المختار من قبل أهل السنة وعلى رأسهم ابن تيمية الذى اتهمه بالزندقة / انظر فتاوى ابن تيمية باب البغاة..

وانظر حركة زيد بن على ضد هشام بن عبد الملك وكيف شوهت من قبل المؤرخين بتصوير زيد كمنشق على الشيعة وخرج على هشام بسبب منعه العطاء عنه/ انظر كتب التاريخ.

وانظر قصة مصرع الجعد بن درهم والحلاج وابن الفارض فى كتب التاريخ. وانظر البداية والنهاية لابن كثير حـ ١٤/ ٣١٠..

٥. كانت الأمة تتلقى عقيدتها من القرآن مباشرة باستسلام مطلق دون الخوض فى الآيات المتشابهات ومعرفة مرادها وما ترمى إليه حتى جاء عصر الترجمات فى مطلع القرن الثالث تقريبا وانفتحت الأمة على تراث اليونان خاصة التراث الفلسفى منه. منذ ذلك الوقت بدأ ظهور علم الكلام. وبدأت العقيدة الإسلامية تأخذ طورا آخر أكثر تعقيدا خاصة فيما يتعلق بالتوحيد. ثم جاءت السياسة وتركت بصمتها عليها فجعلت خط الخلفاء ومنهجهم جزءا من الاعتقاد. كما جعلت الصحابة كلهم عدولا لا يجوز المساس بهم والقدح فيهم وجعل كل ما وقع من خلاف بينهم وتجاوزات وانحرافات منهم قضايا اجتهادية سوف يثابون عليها وعلى المسلم ألا يخوض فى مثل هذه الأمور (انظر كتاب العواصم من القواصم)..

٦. ظهرت عقيدة أهل السنة فى العصر العباسى كرد فعل لحركة الترجمات اليونانية والخوض فى الآيات المتشابهة من قبل بعض الفرق والاتجاهات..

٧. هذا الحديث رواه أبو داود والترمذى وأحمد ولا ذكر له فى الصحيحين عند القوم.. راجع كتاب الاعتصام للشاطبى. ويقول الشيخ عبد القادر الجيلانى: أما الفرقة الناجية فهى أهل السنة والجماعة وأهل السنة لا اسم لهم إلا اسم واحد وهو أصحاب الحديث.. ويقول جميل زينو: الفرقة

الناجية تعتبر التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة والدعاء والاستعانة والاستغاثة وقت الشدة والرخاء والذبح والنذر والتوكل وغير ذلك من أنواع العبادة هو الأساس الذى تبنى عليه الدولة الإسلامية الصحيحة.. ويقول ابن باز: هم السلفيون وكل من مشى على طريق السلف الصالح الرسول وصحابته وكل من سار على نهجهم - انظر منهاج الفرقة الناجية لجميل زينو - ط السعودية.

٨- هذا الحديث رواه الترمذى.. وهو كتاب يوزع مجانا وحقوق الطبع غير محفوظة..

وتأمل قول صالح بن أحمد بن حنبل : سئل أبى وأنا شاهد عمن يقدم عليا على عثمان. يبدع؟ فقال: هذا أهل أن يبدع. أصحاب الرسول قدموا عثمان وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : قلت لأبى من الرافض. قال: الذى يشتم رجلا من أصحاب الرسول أو يتعرض لهم. ما أراه على الإسلام. راجع تاريخ الذهبى ترجمة ابن حنبل. وتأمل قوله ما أراه على الإسلام: فكأن من يمس الصحابة بكلمة يخرج من الإسلام فالصحابة أصبحوا ركنا من أركانه عند ابن حنبل..

وإذا كان القوم صادقين فى التزامهم بسنة الخلفاء الراشدين الأربعة فهم فى الحقيقة كاذبون لإهمالهم سنة الإمام على وتركيزهم على سنة الثلاثة فقط.

وهم معذورون فى هذا لأن سنة الإمام على تتناقض مع سنة الثلاثة كما تتناقض أيضا مع الخط السياسى الذى ساد بعد ذلك بزعامة بني أمية وبنى العباس، ذلك الخط الذى عمل على محو سنة الإمام على وتشويه خطه - خط آل البيت - وعزله عن الواقع والجماهير.. وقد بارك أهل السنة هذا الوضع وأكدوا عليه فى عقيدتهم بإدخال بني أمية وبنى العباس ضمن الأئمة الذين بشر بهم الرسول وضمن الفرقة الناجية..

راجع شرح حديث الأئمة بعدى أثنا عشر فى العقيدة الطحاوية ومقدمة كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطى. وراجع أيضا سيرة خلفاء بني أمية وبنى العباس فى الكتاب المذكور لترى إن كانوا يستحقون لقب أئمة ويكون من أفراد الفرقة الناجية..

وهناك أحاديث أخرى كثيرة من اختراع السياسة مثل حديث إذا ذكر أصحابى فأمسكوا.. الله.. الله فى أصحابى.. أنظر لنا: أحاديث اخترعتها السياسة.

٩- وهناك العقيدة المسماة (بالفقه الأكبر) لأبى حنيفة. وهناك العقيدة الحموية المنسوبة لابن تيمية أيضا.

١٠- انظر العقيدة الواسطية والتوحيد لمحمد عبد الوهاب ومقالات الإسلاميين للأشعرى وانظر لنا فقه الهزيمة. دراسة فى أصول الفكر السلفى. فصل العقيدة. وفيه مناقشة واسعة لكتب العقائد..

١١- انشغل معظم المسلمين مع الأسف بهذه الأمور واعتبروها من لب التوحيد حتى الحركات الإسلامية تبنت هذه القضايا وانشغلت بها وتصارعت من أجلها وكل ذلك بتأثير الخط الوهابى السعودى الذى اخترق معظم التيارات الإسلامية العاملة فى الحقل الإسلامى..

١٢- أهل السنة يعتبرون من لا يفسر آيات الصفات ويقر بأن الله له يد ولكن ليست كيدنا وأنه له وجه ولكن ليس كوجهنا وأنه مستوٍ على العرش فوق لاكفوقية المخلوق على المخلوق وأنه يضحك ويفرح.. وكذا.. يعتبرونهم معطلة. أى يعطلون الصفات عن معناها. تأمل..

ويذكر أن تلك المتاهات حول ذات الله وصفاته سبحانه إنما نابعة من أحاديث اعتمدها أهل السنة فى تفسير الآيات المتعلقة بهذه القضية وهى فى مجملها أحاديث آحاد لا تفيد إلا الظن والواجب فى باب الاعتقاد وهو اليقين. وهذا قول لا يرضى أهل السنة المعاصرين إذ يعتبرون من يتشدق بأن الأحاديث التى يستند عليها فى باب العقائد هى أحاديث آحاد. يعتبرونه من أهل البدع والأهواء..

١٣- هناك الكثير من النصوص القرآنية والنبوية التى يستند إليها أصحاب هذا الاتجاه المعادى لقضية التوسل وهى نصوص ظنية يستنتج منها هذا الموقف، وعلى الجانب الآخر هناك الكثير من النصوص والقضية محل جدل وخلاف فى دائرة أهل السنة وليست محسومة. فالصوفية ومن ناصرها من الفقهاء يؤمنون بالتوسل ولا يوجد ما يشير إلى رفضها من قبل المذاهب الأربعة كما أن قضية الأضرحة والقبور لم تكن مطروحة فى عصر الصحابة والتابعين وحتى تابعى التابعين. والواضح أن الذين أثاروا هذه القضية وربطوها بالتوحيد هم فئة شاذة فى الوسط السنى تمثلت فى خط ابن تيمية الذى قام ببعثه وتجديده فى عصرنا محمد عبد الوهاب..

١٤- يرى أهل السنة أن العصمة الخاصة بالرسول هى فى جانب التبليغ فقط وفيما دون ذلك فالرسول غير معصوم، وبدا وكأن الرسول بذلك له شخصيتان:

شخصية معصومة وشخصية غير معصومة. ولذلك جوزوا عليه الخطأ والنسيان والسحر كما ورد فى البخارى. وجوزوا لعمر توجيه الرسول وتذكيره بالأحكام ليتنزل القرآن تأييدا لعمر لا للرسول كما فى آيات الحجاب حين طلب عمر من الرسول أن يحجب نساءه فنزلت آيات الحجاب. راجع البخارى. وراجع لنا فقه الهزيمة فصل شخصية الرسول..

١٥- من هذه الأحاديث المنسوبة للرسول (ﷺ): من قال لا إله إلا الله دخل الجنة.. أنا زعيم

ببيت فى الجنة لمن ترك المراء ولو كان محقا.. من بنى مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة.. وغيرها من الأحاديث التى تصف الجنة وحور العين دون أن تبين كيفية دخولها. بل تفتح للناس أبوابها دون قيد أو شرط ودون تكلف أو مشقة أو بذل فى سبيل الله. ومثل هذه الأحاديث قد دفعت المسلمين إلى التواكل وإهمال التكاليف الأساسية فى الإسلام.

واستثمرت من قبل الحكام فى تخدير الجماهير واستضعافها.

انظر الطريق إلى الجنة من سلسلة «السلفيون يتحدثون» تأليف أبو بكر الجزائرى وهو واحد من رموز الخط الوهابى السعودى. وانظر كم الكتب التى تتحدث عن الجنة ونعيمها التى أغرق بها سوق الكتاب المعاصر..

ويحدد الجزائرى الطريق إلى الجنة بقوله: إن الطريق أيها السائرون بين أربع كلمات : اثنتان سالبتان واثنتان موجبتان. إن السالبتين هما الشرك والمعاصى والموجبتين هما الإيمان والعمل الصالح. ومن هذه الكلمات الأربع يتكون الطريق القاصد إلى الجنة. وبالطبع المقصود بالشرك والمعاصى التى تحرم المسلمين من دخول الجنة هنا هو التوسل بآل البيت وزيارة المراقد والمقامات المطهرة. أى أن الجنة لن يدخلها مسلم لا ينتمى للمذهب الوهابى رأس الطائفة الناجية فى هذا الزمان..

وأود بمناسبة ذكر الفرقة الناجية من أهل السنة أن يخبرونا هل معنى أنهم الفرقة الناجية أنهم لن يدخلوا النار. أم سوف يدخلونها ولن يخلدوا فيها.. وإذا كانت هناك روايات تؤكد الشفاعة يوم القيامة. فهل الذين سوف يشفع لهم من أهل السنة أم من الفرق الأخرى..؟

وإن كانوا من الفرق الأخرى أفلا يعنى هذا أن النجاة من النار سوف تشمل المخالفين لهم..؟

وعليهم أن يخبرونا أيضا هل هؤلاء الحكام الذين تبنوا عقيدة أهل السنة وناصروها من الناجين رغم مفاسدهم وجرائمهم وانتهاكاتهم لحرمات الإسلام؟

إن موقف أهل السنة من يزيد والحجاج يجيب على هذا السؤال..

١٦. انظر فصل الإمامة عند أهل السنة من هذا الكتاب..

١٧. يصر أهل السنة على عدالة جميع الصحابة وهذا الإصرار تفوح منه رائحة السياسة ففضلا عن كون هذا المعتقد يخالف القرآن الذى ينص على أن من بين الصحابة منافقين وعصاة. وعلى الرغم من أن تعريف الصحابة عندهم تعريف هش ومطاط يتيح الفرصة لكل من هب ودب ليكون

صحابيا ويحوز على مرتبة العدالة وذلك بمجرد أن يرى الرسول أو يسلم عليه أو حتى يولد فى عصره وحسب القاعدة: من ثبتت رؤيته ثبتت عدالته.. ويصر ابن تيمية على إضفاء صلة العدالة على جميع الصحابة دون حتى أن يفرق بين من شاهد بدرا ومن رأى الرسول ساعة من الزمان. يقول فى العقيدة الواسطية: ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله (ﷺ)يتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الـ صحابة ويسبونهم. وبالطبع المقصود بالروافض هنا الشيعة.

١٨ـ وهذه القاعدة إنما هى رد فعل فرقة السنة فى مواجهة أقوال الفرق الأخرى فى مسألة الإيمان..

١٩ـ نفس هذه المسألة ينطبق عليها حالة المسألة التى سبقتها وقد ابتدعت للرد على فرقة الخوارج التى كانت تكفر بالمعاصى..

٢٠ـ هذه من القواعد التى ابتدعتها السياسة ويعتبرونها متواترة نقلا وعلى لسان الإمام على.. يقول ابن تيمية فى عقيدته : مسألة عثمان وعلى ـ أى أيهما يقدم على الآخر ـ ليست من الأصول التى يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة. تأمل هذا التنازل فى الاعتقاد ـ لكن التى يضلل فيها مسألة الخلافة. وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله (ﷺ) أبو بكر وعمر ثم عثمان ثم على. ومن طعن فى خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله. والسؤال الذى يطرح نفسه هنا من الذى يملك حق التضليل وعلى أى أساس؟ والإجابة هم أهل السنة وعلى أساس السياسة يضلل المخالف لهم. والحمد لله أن المخالف لم يخالف الإسلام وإنما خالف فرقة أهل السنة الذين يتحدثون على الدوام وكما هو واضح من كتب العقائد ـ على أنهم الإسلام والإسلام هم..

٢١ـ وهذه المسألة وضعت خصيصا فى عقائد أهل السنة لضرب الشيعة التى تعلن حبها لآل البيت وتواليهم وتتبرأ من أعدائهم ـ وتفويت الفرصة عليهم.. ولو لم يتستر أهل السنة بحب آل البيت لتعرت عقيدتهم ونبذتها الجماهير. والفرق بين السنة والشيعة فى هذه المسألة هو أن السنة يحبون آل البيت ولا يعرفونهم وبالطبع لا يتبعونهم بينما الشيعة يعرفونهم ويتبعونهم ويتخذونهم قدوة لهم. ويقول ابن تيمية: يحبون ـ أهل السنة ـ أهل بيت رسول الله (ﷺ) ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله حيث قال يوم غدير خم (أذكركم الله فى أهل بيتى).. والطريف هنا أن ابن تيمية يعترف بوصية الرسول للأمة فى حجة الوداع بضرورة اتباع أهل بيته وموالاتهم وهو ما تعتقده الشيعة. لكن السؤال الذى يوجه لابن تيمية هنا هو: هل التزمت الأمة بهذه الوصية بعد وفاة الرسول حتى يستطيع الادعاء بأن أهل السنة يحبون أهل البيت ويوالونهم وأين فقه أهل البيت

وعلومهم وأحاديثهم عندهم..؟

٢٢- هذا اعتراف من أهل السنة ومن ابن تيمية بمسألة الكرامات التى تنادى بها وتعتقدها الشيعة والصوفية وتتهمان بالزندقة بسببها يقول ابن تيمية: ومن أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء وما يجرى الله على أيديهم من خوارق العادات. إلا أن المضحك فى هذا الأمر أن شارح العقيدة الواسطية استدرك على ابن تيمية قائلا: إن الكرامة إنما تكون لأولياء الله بحق. وليس للطرق الصوفية المبتدعة الذين وصفهم بقوله هؤلاء أولياء الشيطان. ويبدو أن أهل السنة أرادوا أن يفوتوا على خصومهم الفرصة بالاعتراف بمسألة الكرامات التى لها شواهد كثيرة فى الكتاب والسنة والواقع. وحتى لا يتهموا بسطحية الاعتقاد..

٢٣- يقول أهل السنة: إن أفضل أزواج النبى خديجة وعائشة. ولولا الشك والملامة لقالوا عائشة وحدها لكنهم ربطوا عائشة بخديجة حتى يبتلع المسلم الطعم. والثابت أنه لا توجد رواية صحيحة عن النبى تساوى عائشة بخديجة وترفعها فوق زوجات النبى الأخريات لكنها السياسة التى رفعت عائشة لأنها من خصوم على كما رفعت ابن عمر وأبو هريرة على أبى ذر وعمار وسلمان أتباع الإمام على..

٢٤- هذه قضية من الأجدر أن تترك بدون تعليق فهى واضحة وضوح الشمس وهى تفسر لنا بما لا يدع مجالا للشك موقف أهل السنة المتحالف والمتعايش على الدوام مع الحكام الأمر الذى يدل على أن عقيدة أهل السنة عقيدة حكومية. وقضية طاعة الحكام والحج والصلاة والجهاد معهم رغم فجورهم يقول بها ابن تيمية الذى يصورونه بالفقيه الثائر ضد السلطة. راجع العقيدة الواسطية وراجع أيضا الفتاوى الكبرى له أيضا حيث هاجم الحسين لخروجه وأثنى على يزيد بن معاوية وأنكر الروايات التى تطعن فيه.. (الفتاوى حـ ٢٧ باب البغاة)..

٢٥- يعتقد أهل السنة بتكميم الألسنة والأفواه والإعراض عن حركة التاريخ وعدم الخوض فى أحداثه التى تتعلق بالصحابة لأن ذلك سوف يفتح باب الفتنة فى زعمهم والفتنة هنا المقصود بها الخوض فى الصحابة واتخاذ موقف من بعضهم أو الميل إلى جانب أحدهم والانحراف عن الآخر فهذه أمور تعد من القواصم كما يعبر صاحب كتاب العواصم من القواصم الذى كتبه خصيصا لهذا الغرض السامي. وكما يعبر ابن تيمية فى عقيدته حيث يقول:

ويمسكون عما شجر بين الصحابة - أى أهل السنة - ويقولون إن هذه الآثار المروية فى مساويهم منها ما هو كاذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه والصحيح منه هم فيه معذورون إما

مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره. بل يجوز عليهم الذنوب فى الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر عنهم إن صدر. حتى أنهم يغفر لهم السيئات مالا يغفر لمن بعدهم لأن لهم من الحسنات التى تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم.. ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون:

قد تاب منه..

أو أتى بحسنات تمحوه..

أو غفر له بفضل سابقته..

أو بشفاعة الرسول (ﷺ)..

أو ابتلى ببلاء فى الدنيا كفر به عنه..

فإذا كان هذا فى الذنوب المحققة فكيف الأمور التى كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور..

إن أقل إعمال للعقل فى هذا الكلام سوف يصل بصاحبه إلى القناعة بعصمة جميع الصحابة كبيرهم وصغيرهم على السواء وهم ألوف مؤلفة.. وإذا كان الأمر كذلك فلماذا يحكمون بضلال الشيعة لأنها تقول بعصمة اثنى عشر إماما فقط وليس ألوفا من الخلق فيهم الحابل والنابل وفيهم من تدل الشواهد على فسقه وفجوره.؟ إذا كان اهل السنة يعتبرون من تسبب فى مصرع آلاف المسلمين فى وقعة الجمل أو وقعة صفين مجتهداً مأجوراً فلماذا لا يعتبرون الذين يخالفونهم هذا الاعتقاد مجتهدين؟ لماذا يتسامحون مع مريقى الدماء ولا يتسامحون مع مخالفيهم فى الفكر..؟ والجواب لأن هؤلاء صحابة والصحابة معصومون يفعلون ما يشاءون ومغفور لهم مقدماً. إننى لا أجد تعبيراً أشخص به هذه الحالة سوى قولى إنها عبادة الرجال. انظر الباب الأخير من الكتاب..

٢٦ـ راجع لنا حقيقة هذا الموقف بتوسع فى كتابنا: الحركة الإسلامية فى مصر.

وكتابنا الشيعة فى مصر ط القاهرة.

٢٧ـ راجع كتب التاريخ وخاصة كتاب البداية والنهاية لابن كثير وانظر كيف يدافع القوم عن معاوية وولده. وتأمل دفاع ابن كثير عن يزيد بعد موقعة الحرة عام ٦٢ هـ والتى استباح فيها جيش يزيد مدينة الرسول. وانظر دفاع ابن تيمية عنه فى الفتاوى الكبرى وكذلك ابن خلدون فى مقدمتة .

٢٨ـ التأويل والتبرير سلاح أهل السنة الدائم فى مواجهة الخصوم الذين يشهرون فى وجوههم النصوص. فهم قد برروا أفعال عائشة وعثمان ومعاوية وابن العاص والمغيرة بن شعبة واعتبروهم مجتهدين مثابين. ومن جهة أخرى قاموا بتأويل النصوص الواردة فى آل البيت والتى أثبتت لهم خصوصية ومكانة تقتضى من المسلمين أن يتبعوهم ويوالوهم ويقروا لهم بالإمامة.. ومن هذه النصوص قوله تعالى(إنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا..) الأحزاب. وقول الرسول(ﷺ): (تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وعترتى أهل بيتى..) رواه مسلم..

ويمكن مراجعة هذه النصوص بتوسع فى كتاب المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين وكتاب خصائص الإمام على للنسائى. وكتاب فضائل الإمام على للشيخ محمد جواد مغنية وكتابنا حركة آل البيت..

وبالنسبة لقضية التأويل والتبرير راجع كتاب العواصم من القواصم وتأمل كيف أنهم يريدون تحويل آرائهم لمعتقدات..

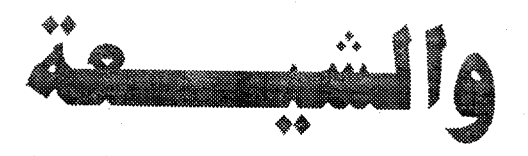
٢٩ـ لم تتح للشيعة على مر التاريخ فرصة البروز الرسمى كما أتيحت للسنة. فقد كان أهل السنة محل رضا الحكام وقبولهم. ولم تستمتع الشيعة بنعمة الأمن كما استمتعوا. فقد كانت تواجه على الدوام بالحديد والنار وتواجه كل صور البطش والكيد والتنكيل من قبل الحكام الذين كان يحرضهم أهل السنة تارة ويحرضون هم أهل السنة تارة أخرى. والتراث السنى مكتظ بعشرات الكتب التى تهاجم الشيعة وتطعن فى عقائدها والتى هى محل تداول بين المسلمين اليوم كما أن التراث الشيعى يكتظ بعشرات الكتب التى تدافع عن الشيعة والتى اعتبرها السنة تهاجمهم..

ومن كتب السنة التى تهاجم الشيعة: كتب الفرق والصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمى. وكتب العقائد وكتاب منهاج السنة لابن تيمية الذى يرد فيه على كتاب منهاج الكرامة للعلامة الحلى أحد فقهاء الشيعة المعاصرين له..

ومن كتب الشيعة التى تدافع: كتاب نهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلى. وكتاب الإيضاح لابن شاذان ـ ط إيران..

ومن الكتب المعاصرة: هوية التشيع للشيخ الوائلى وأصل الشيعة وأصولها والمراجعات وشبهات حول الشيعة وفى ظلال التشيع وروح التشيع.. ط بيروت..

الفصل الثاني



السنة حاضرة والشيعة غائبة..

هذه الجملة تلخص لنا حركة التاريخ الخاص بالسنة والشيعة..

السنة كانت دائمة الحضور وقد منحت الفرصة كاملة للبروز والانتشار..

والشيعة كانت دائمة الغياب بفعل الحصار والبطش والارهاب..

لأن السنة كانت على وئام مع الحكام وتدين لهم بالسمع والطاعة برهم وفاجرهم فقد منحت حرية الدعوة وشرعية التواجد..

ولأن الشيعة تحمل راية آل البيت الذين يخشاهم الحكام وتدين بالطاعة والولاء لأئمتهم الأطهار لم تنل رضا الحكام وأخرجت من دائرة الإسلام فغابت عن الأنام..

ولأن السنة كانت ظاهرة فقد أصبحت معروفة..

ولأن الشيعة كانت غائبة فقد أصبحت مجهولة..

ولكون الشيعة خصم للسنة غائب عن الأنظار فقد كثرت من حوله الشائعات ولفقت له شتى الاتهامات التى تحولت بمرور الزمن إلى حقائق بنيت على أساسها مواقف ودانت بها مذاهب وصاحب الحق غائب..

هكذا يجسم لنا التاريخ قضية السنة والشيعة وكيف تحولت إلى لعبة سياسية فى أيدى حكام بنى أمية وبنى العباس وسائر الحكام..

وسوف تستمر السنة أداة الحكام على مر الزمان فى مواجهة الشيعة وبدونها لن يجدوا الشرعية التى تبرر استمرارهم فى الحكم..

والسنة بدورها سوف تظل تتحصن بالحكام وتستمد منهم القدرة والدعم على مواجهة الشيعة والاستمرار فى الصدارة..

السنة تحتاج إلى الحكام. والحكام يحتاجون إلى السنة، تحالف مصيرى دائم.

والضحية هى الشيعة..

من هنا يبدأ تاريخ السنة والشيعة. وهنا ينتهى..

. كيف نشأت أهل السنة؟

كان المسلمون فى العصر الأول لا يخوضون فى الآيات المتشابهة ويعتقدون بها كما هى من دون تساؤلات أو استفسارات عن المراد منها أو ما ترمى إليه، وقد امتد هذا العصر حتى مطلع القرن الثالث من الهجرة..

وحتى هذه الفترة لا نستطيع القول أنه كانت هناك عقيدة مدونة..

إلا أن الأمر اختلف بعد عصر الترجمات وانفتاح الأمة على تراث اليونان. عند ذلك بدأ الصدام الفكرى بين المسلمين حول الآيات المتشابهات. وهناك قطاع من الفقهاء توقف عن الخوض فى هذه الآيات مثل مالك..[١]

ولقد جنت هذه الترجمات على الأمة وعلى عقيدتها وعلى عقول المسلمين حيث كان الغالبية من المترجمين من اليهود والنصارى وشابت هذه الترجمات الأخطاء والتناقضات والتحريفات.

فى ظل هذا الجو نشأ ما سمى علم الكلام وهو علم خاص بالعقيدة وقد نشأ كرد فعل لخوض الفلاسفة والمتكلمين فى الآيات المتشابهات.. إلا أنه لم يحظ بتأييد أهل العلم من المذاهب الأربعة وغيرهم..

وإذا كانت هناك ثلاثة اتجاهات فى الساحة الإسلامية هى اتجاه الشيعة واتجاه الخوارج ثم الاتجاه الرسمى الحكومى قبل عصر الترجمات وظهور علم الكلام ـ فقد ظهر على الساحة بعد عصر الترجمات عشرات الاتجاهات المتناحرة فيما بينها وفي مقدمتها المعتزلة والمشبة والمعطلة..

ويبدو أن هذه الاتجاهات التى استثمرت المنطق والفلسفة فى إجراء عملية تحرر فى طريقة التفكير الإسلامى قد استفزت الحكام الذين خشوا من أن تأخذ هذه الاتجاهات امتدادها فى الوسط الجماهيرى..[٢]

وهنا برزت الحاجة إلى ظهور اتجاه جديد يواجه هذه الاتجاهات ويحد من انتشارها ويعزل الجماهير عنها. فكان أن ظهر اتجاه أهل السنة فى البداية على يد الأشعرى الذى انشق عن المعتزلة بعد أن قضى أربعين عاما يدعو لاتجاههم...[٣]

ثم ظهر فى نفس الفترة اتجاه الماتريدى ليشكل مع الأشعرى جناحصا أهل السنة فى العصر العباسى المليء بالصراعات الفكرية والعقائدية وليصبح هذا الاتجاه هو الاتجاه السائد، اتجاه الأغلبية من المسلمين. بينما أصبحت الاتجاهات الأخرى محصورة فى زاوية مظلمة من زوايا المجتمع يتبعها

الأقلية من الناس..

ولعل مثل هذه الطفرة أو القفزة الفكرية لأهل السنة فوق الاتجاهات الأخرى تفرض سؤالا هاما هو كيف لاتجاه ناشىء جديد أن يسود وينتشر على حساب اتجاهات ذات وجود وعمق تاريخى مثل الشيعة والمعتزلة وفى فترة قياسية..

إن الإجابة على هذا السؤال تكمن فى عدة عوامل:

أولا: اندماج هذا الاتجاه فى إطار المذاهب الأربعة المنتشرة بين المسلمين وتحركه من خلالها وتحت لافتتها..[٤]

ثانيا: دعم الحكام لهذا الاتجاه وتيسير السبل أمامه..[٥]

ثالثا : ضرب الاتجاهات الأخرى وإجهاضها..[٦]

ورغم قوة ونفوذ أصحاب المذاهب الأربعة الذين أعلنوا خلافهم مع الأشعرى إلا أنهم لم يحولوا دون انتشار هذا الاتجاه ولم يعرقلوا مسيرته مما يثير علامات استفهام حول هذا الموقف..

أما عن طبيعة الخلاف بين فقهاء المذاهب الأربعة وبين الأشعرى فهذا ما سوف نستعرضه عند الحديث عن التوحيد عند أهل السنة..

ويبدو أن اتجاه الماتريدى قد حاز رضا وقبول فقهاء عصره أكثر من اتجاه الأشعرى لكونه أكثر اقترابا من النقل وأبعد عن العقل بينما اتجاه الأشعرى يقوم على العقل والنقل وتارة يغلب العقل على النقل وتارة يغلب النقل على العقل، والظاهر من تتبع حركة نشأة فرقة السنة أنها لم تظهر على هيئة كيان واحد وفى فترة زمنية محددة كما هو حال الشيعة والمعتزلة والخوارج. إنما ظهرت تارة على يد السلف فى القرن الأول. وتارة على يد فقهاء المذاهب، خاصة مالك وابن حنبل فى القرن الثالث. وتارة على يد الأشعرى والماتريدى فى القرن الرابع. وتارة على يد ابن تيمية فى القرن الثامن..

فالتيار الأول من تيارات السنة لم تكن تشغله المسائل الكلامية.

والتيار الثانى تيار المذاهب كان يتوقف عن الخوض فى هذه المسائل وقد نبذ علم الكلام.

والتيار الثالث تيار الأشعرى خاض فى الأسماء والصفات واستفز الأطراف الأخرى.

أما تيار ابن تيمية فقد حاول التحرر من الأطر السابقة فوقع فى التشبيه والتجسيم.

ثم ظهر بعد ذلك التيار الصوفى وتبنى نهجا مخالفا لهذه التيارات..

وهذه التيارات الخمسة المختلفة فيما بينها تحمل شعار أهل السنة وتزكى كتب الفقه والعقائد الصادرة عن هذه التيارات مفهوم الفرقة بينها.. .[٧]

ويحاول البغدادى الخروج من هذا التناقض محاولا شرح عقيدة أهل السنة معدداً أصنافهم بقوله:

أولا: من أحاطوا العلم بأبواب التوحيد والنبوة وأحكام الوعد والوعيد والثواب والعقاب وشروط الاجتهاد والإمامة والزعامة وسلكوا فى هذا النوع من العلم طرق الصفاتية من المتكلمين الذين تبرأوا من التشبيه والتعطيل ومن بدع الرافضة والخوارج وسائر أهل الأهواء الضالة..

ثانيا: أئمة الفقه من أهل الرأى والحديث الذين تبرأوا من القدر والاعتزال.

وأثبتوا رؤية الله بالأبصار من غير تشبيه ولا تعطيل وسائر العقائد فى الخلفاء وطاعة الامراء والمسح على الخفين وتحريم المتعة ووقوع الطلاق الثلاث..

ثالثا: الذين أحاطوا علماً بطرق الأخبار والسنن المأثورة عن النبى (ﷺ) وميزوا بين الصحيح والسقيم منها وعرفوا أسباب الجرح والتعديل ولم يخلطوا علمهم بذلك بشىء من بدع أهل الأهواء الضالة..

رابعا: الذين أحاطوا علما بأكثر أبواب الأدب والنحو والتصريف ولم يخلطوا علمهم بشىء من بدع القدرية أو الرافضة أو الخوارج..

خامسا: الذين أحاطوا علما بوجوه قراءات القرآن ووجوه تفسير آياته وتأويلها وفق مذهب أهل السنة دون تأويلات أهل الأهواء الضالة..

سادسا: الزهاد والصوفية ودينهم التوحيد ونفى التشبيه ومذهبهم التفويض إلى الله تعالى والتوكل عليه والإعراض عن الاعتراض عليه..

سابعا: المرابطون فى ثغور المسلمين يحمون الوطن الإسلامى ويظهرون فى ثغورهم مذهب أهل السنة والجماعة.. .[٨]

ويبدو من طرح البغدادى أنه زاد الأمور تعقيداً وأسهم فى تشتيت أهل السنة وتأكيد الفرقة بينهم. كما يبدو التخبط فى طرحه من خلال إدخال الأدب والنحو والصرف فى العقائد ومحاولة الربط بينهما.. ولست أدرى ما هى صلة النحو والصرف والأدب بالقدرية والخوارج والرافضة..؟ هل يريد القول أنه لا يجوز أخذ هذه العلوم الثلاثة من المنتمين لهذه الفرق..؟ ثم ما هو سبب الربط بين المرابطين فى الثغور وبين مذهب أهل السنة والجماعة..هل يريد القول أنه لا يجوز جهاد الذين لا يلتزمون بمذهب أهل السنة؟ أم أن المرابطين يمثلون اتجاها من اتجاهات أهل السنة..؟

ثم إذا كان البغدادى يقول لنا إن هذه الاتجاهات جميعها هى أهل السنة والجماعة فكيف تم جمع هذه الاتجاهات فى إطار واحد على الرغم من تباينها..؟

إن البغدادى لم يجب على هذا السؤال. كما لم يجبنا لماذا ظهر الأشعرى على هذه الاتجاهات جميعاً وأصبحت له السيادة فى دائرة أهل السنة..؟

والإجابة على السؤال الثانى هى نفس الإجابة على السؤال التالى: لماذا ظهر تيار ابن تيمية من دون تيارات السنة فى العصر الحديث واخترق الحركات الإسلامية وبدا وكأن المسلمين فى كل مكان ينطقون بلسانه..؟[٩]

هوامش

١- انظر فصل التوحيد عند أهل السنة..وانظر كتب الفرق..

٢- كان كثيراً ما يلجأ الحكام لعلماء أهل السنة طلبا للفتوى وإصدار الردود على مثل هذه الاتجاهات خاصة اتجاه آل البيت. انظر العواصم من القواصم لأبى بكر بن العربى وهو كتاب كتب خصيصاً بتوجيه الحكام لمنع الخوض فى خلافات الصحابة وانحرافاتهم وانظر تاريخ الخلفاء للسيوطى وانظر كتب الأشعرى وردود ابن تيمية على خصومه وتحريضه الحكام علي المخالفين لأهل السنة وتحريض الحكام له على المخالفين. راجع الفتاوى الكبرى له. وانظر كتب التاريخ، وانظر الحروب الفكرية التى كانت سائدة بين أهل السنة وخصومهم وكيف استثمرها الحكام. وكيف دعم الحكام تيار الأشعرى.

وانظر الحرب العقائدية بين الدولة العباسية السنية والدولة الفاطمية الشيعية وكيف استثمر العباسيون فقهاء السنة فى هذه الحرب. راجع لنا: الشيعة فى مصر وانظر دور الحكام الذين تلوا المأمون العباسى فى دعم أهل السنة والبطش بالمخالفين.

٣- انظر تاريخ الفرق عند أهل السنة. وانظر دراسات فى العقيدة الإسلامية لمحمد جعفر شمس الدين..

٤- تبنى كثير من الفقهاء مذهب الأشعرى كالغزالى والجوينى والباقلانى والرازى والبغدادى.

٥- انظر كتب الفرق ودراسات فى العقيدة الإسلامية. وكتب التاريخ..

٦- انظر المراجع السابقة. وانظر لنا جريمة الرأى فى التاريخ الإسلامى..

٧- انظر فصل التوحيد..

٨- الفرق بين الفرق..

٩- دور الحكام فى دعم عقيدة الأشعرى واضح فى كتب التاريخ. كما هو واضح دعم حكام آل سعود اليوم لعقيدة ابن تيمية..

وكان الحكام يستخدمون عقيدة الأشعرى فى ضرب اتجاه المعتزلة. وقد أصبح اتجاه الأشعرى هو الاتجاه السائد فى العالم الإسلامى بفضل دعم العباسيين فرغم هجوم الحنابلة على الأشعرية حيث أعتبروا استخدامهم للحجج العقلية بدعة منكرة ورغم المعارضة الشديدة من قبل الماتريدية والمعتزلة والشيعة، انتشر المذهب الأشعرى وساد.. وقد نصر السلاجقة الأشاعرة حيث تلقوا العون الرسمى من الوزير نظام الملك وفى مقابل ذلك تحالف الأشاعرة مع السلاجقة ضد الفاطميين.. كما نصر الايوبيون الاشاعرة على سائر الاتجاهات الاخرى بعد إسقاطهم الدولة الفاطمية فى مصر. أنظر الشيعة فى مصر..

. متى ظهرت الشيعة..؟

بدأ التشيع أول بداياته فى عهد الرسول (ﷺ) وكانت هناك مجموعة من الصحابة تشايع الإمام على من أشهرهم أبو ذر الغفارى وسلمان الفارسى والمقداد بن الأسود الكندى وعمار بن ياسر وجابر بن عبد الله وغيرهم..(١)

وليس صحيحاً أن حركة التشيع بدأت بعد وقعة صفين فإذا لم يكن للشيعة وجود قبل صفين فمن الذى كان يقاتل فى صف على وقد كان معه عدد كبير من الصحابة؟

والذين يطرحون مثل هذا التصور إنما يريدون أن يبرهنوا على أن التشيع نشأ بدوافع سياسية وليست دينية وهذا قول تدحضه النصوص الكثيرة التى وردت من الإمام على خاصة وفى آل البيت بشكل عام..

ومن هذه النصوص قول الرسول (ﷺ): إنى تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتى أهل بيتى وقوله لعلى: أنت منى بمنزلة هارون من موسى. وقوله: لأعطين الراية لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وأعطاها لعلى وحديث أنا مدينة العلم وعلى بابها. وحديث جابر: كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله بشيئين صلاة العتمة وبغض الإمام على. وحديث على: عهد إلى رسول الله أنه لا يحبنى إلا مؤمن ولا يبغضنى إلا منافق. وغير ذلك من النصوص التى تكتظ بها كتب السنن والتى تشير وتؤكد أن للإمام على مكانة دينية وخاصية قيادية توجب على المسلمين التشيع له..(٢)

وهناك من يدعى أن ظهور الشيعة كان على يد جعفر الصادق حيث تنسب له الشيعة وتتسمى باسمه حتى اليوم..

وهذا ادعاء فيه مغالطة وقلة وعى بتاريخ الشيعة وحركتها إذ أن الشيعة كانت قائمة ولها وجودها قبل جعفر الصادق الذى تسلم إمامة الشيعة عن أبيه الباقر الذى تسلمها عن أبيه على بن الحسين الذى تسلمها من الحسين فهى سلسلة من الأئمة تنتهى بالإمام على وتدل على أن حركة التشيع كانت قائمة طوال عهود الأئمة الذين سبقوا جعفر الصادق..(٣)

وسبب هذا الالتباس فى الفهم يكمن فى حقيقة تاريخية وهى أن الإمام جعفر الصادق استثمر المناخ السياسى الانفتاحى فى عصره وبرز بعلوم آل البيت على ساحة العلن وفتح مدرسة آل البيت لجميع المسلمين وقد مر عليها الكثير من فقهاء السنة مثل مالك والشافعى وأبو حنيفة. وبدأت حركة تدوين علوم الشيعة نشطة وتجوب الآفاق مما أوحى للبعض وكأن مذهب الشيعة قد تم تقنينه وإعداده فى هذه الفترة..(٤)

يقول الشيخ كاشف الغطاء: إن أول من وضع بذرة التشيع فى حقل الإسلام هو نفس صاحب

الرسالة الإسلامية ولم يزل غارسها يتعاهدها بالسقى والعناية حتى نمت وإزدهرت فى حياته ثم أثمرت بعد وفاته.. (٥)

ويقول الشيخ المظفر: لا غرو لو قلنا أن الدعوة إلى التشيع ابتدأت من اليوم الذى هتف فيه المنقذ الأعظم (ﷺ) صارخا بكلمة لا إله إلا الله فى شعاب مكة وجبالها إلى أن يقول: فكانت الدعوة إلى التشيع لأبى الحسن (الإمام على) من صاحب الرسالة تمشى منه جنبا لجنب مع الدعوة للشهادتين.. (٦)

وهناك إشارات وردت على لسان الرسول(ﷺ) تؤكد وجود حركة التشيع فى زمانه من هذه الأحاديث:" أن هذا ـ على ـ وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة وحديث: قال لى جبريل: ذلك على وشيعته السابقون إلى الجنة. وحديث أن عليا وشيعته غدا لهم الفائزون يوم القيامة. وحديث: يا على إن الله قد غفر لك ولأهلك ولشيعتك ومحبى شيعتك(٧)

وقد ادعى كتاب الفرق من السلف أن أول من أظهر التشيع هو عبد الله بن سبأ ولايزال خصوم الشيعة من المعاصرين يرددون هذا القول وهذا قول مردود فعلى فرض التسليم بصحة وجود ابن سبأ هذا فإن الشيعة يتبرأون منه ومن أعماله وأقواله وهذا واضح فى كتبهم أما وأن الثابت ان ابن سبأ هذا شخصية وهمية أخترعت لضرب الشيعة والطعن فى معتقداتها.. (٨)

أما الذين يقولون بأن الشيعة نشأت بعد اجتماع السقيفة عندما تحالفت فئة من الصحابة مع على ورفضت بيعة أبي بكر فهم يريدون بهذ القول أن يفرغوا التشيع من محتواه ويظهروه وكأنه نشأ كرد فعل لاغتصاب الخلافة..

وإذا كان هناك من تحالف مع على من الصحابة فى تلك الفترة فهل هذا الموقف اتخذ من فراغ أم أن له جذوره التى تسبق فترة السقيفة..؟

والذين يقولون بفارسية التشيع وأن أصوله فارسية يلتقون مع الذين يقولون أن أصوله يهودية فهؤلاء وهؤلاء يريدون أن يجتثوا شجرة التشيع من الجذور وأن ينسفوها نسفاً.. وليست هذه إلا آراء مغرضة لا تقوم على برهان صحيح..

والأولى أن يتهم أهل السنة بهذا الاتهام حيث أن المصادر الرئيسية التى يعتمدون عليها من تأليف الفرس..

وعلى رأس هذه المصادر البخارى الذى ينتمى لمدينة بخارى ومسلم النيسابورى..

وأبو داود والترمذى وابن ماجه فكل هؤلاء كانوا ينتمون لبلاد فارس حسب التقسيم الجغرافى آنذاك..

وهم الذين دونوا السنة وأحاديث الرسول(ﷺ) التى يعتمد عليها أهل السنة فى بناء عقيدتهم وتأسيس أحكامهم..

وإذا كان أو حنيفة النعمان فارسيا وهو صاحب المذهب المشهور فهل يمكن القول أن مذهب الأحناف أصوله فارسية..؟ (٩)

الفصل الثالث

التوحيد

لن نناقش هنا قضية الإيمان بالله ووجوده لدى أهل السنة والشيعة فهى قضية مفروغ منها وليست محل خلاف بين الطرفين أو غيرهما من طوائف المسلمين.

إنما مرتكز البحث هنا هو موقف أهل السنة والشيعة من مسألة التوحيد وتصوره حولها استناداً للمراجع المعتمدة لدى كل من الاتجاهين..

وسوف نعرض لرؤية أهل السنة من خلال ثلاثة اتجاهات:

- اتجاه السلف..

- اتجاه الخلف..

- اتجاه ابن تيمية..

والسلف هم من كانوا قبل الخمسمائة. وقيل القرون الثلاثة الأولى. الصحابة والتابعون وتابعو التابعين. وهؤلاء ينقل عنهم أهل السنة ان لهم رؤية فى الاسماء والصفات هى التى تمثل العقيدة الصحيحة الواجب الالتزام بها واتباعها..

أما الخلف فهم من كانوا بعد الخمسمائة وقيل بعد القرون الثلاثة، وهم الذين خاضوا فى الأسماء والصفات وأولوها بما ينفى التشبيه والتجسيم. فإذا ورد فى القرآن والسنة. ما يشعر بإثبات الجهة أو الجسمية أو الصورة أو الجوارح عملوا على تأويل ذلك لوجوب تنزيهه تعالى عما دل عليه ما ذكر بحسب ظاهره..

أما اتجاه ابن تيمية فهو اتجاه شذ عن السلف والخلف وإن كان قد ألصق نفسه بالسلف وادعى سيره على نهجهم. وهو الاتجاه الذى تبنته الحركة الوهابية وقامت ببعثه بعد أن لفظه الخلف وحاكموه وكفروه على ما سوف نبين..

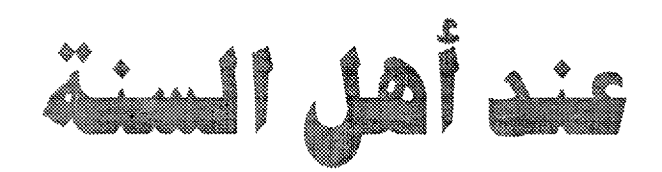
وكل الأطروحات الوهابية القديمة والمعاصرة إنما تعكس فكر ابن تيمية ومعتقداته ومن ثم فإن الحديث عن عقيدة ابن تيمية يعتبر حديثا عن عقيدة الوهابيين كذلك الحديث عن عقيدة الوهابيين

يعد حديثاً عن عقيدة ابن تيمية..

وقد ركزنا فى هذا الباب على عقيدة ابن تيمية ووضعها عند أهل السنة. لما لهذه العقيدة ولصاحبها من دور وتأثير على مسلمى اليوم الذين تشبعوا بهذه العقيدة تحت ضغط المد الوهابى السعودى الذى اخترق التجمعات الإسلامية فى كل مكان..

وبالنسبة للشيعة فإن قضية التوحيد عندهم تنبع من مصدر واحد وهو الأئمة وعلى رأسهم الإمام على (ع). فمن ثم لايوجد فى دائرة الشيعة ذلك الخلاف والتناحر حول المسائل العقائدية المتعلقة بأسماء الله وصفاته ومكانه واستوائه سبحانه..

التوحيد



التوحيد عند السلف

يقول القرطبى: وقد كان السلف الأول لايقولون بنفى الجهة ولاينطقون بذلك. بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله. ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقه. وخص العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته. وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لاتعلم حقيقته. قال مالك: الاستواء معلوم - يعنى فى اللغة - والكيف مجهول. والسؤال عنه بدعة. وكذا قالت أم سلمة..(١)

ويقول الغزالى: اعلم أن الحق الصريح الذى لامراء فيه عند أهل البصائر هو مذهب السلف. أعنى مذهب الصحابة والتابعين. وهأنا أورد بيانه وبيان برهانه. فأقول: حقيقة مذهب السلف وهو الحق عندنا أن كل من بلغه حديث من الأحاديث من عوام الخلق يجب عليه سبعة أمور: التقديس والتصديق ثم الاعتراف بالعجز ثم السكوت ثم الإمساك ثم الكف ثم التسليم لأهل المعرفة..

أما التقديس فأعنى به تنزيه الرب سبحانه وتعالى عن الجسمية وتوابعها..

وأما التصديق فهو الإيمان بما قاله (ﷺ) وأن ما ذكره حق وهو فيما قال صادق وأنه حق على الوجه الذى قاله وأراده..

وأما الاعتراف بالعجز فهو أن يقر بأن مراده ليست على قدر طاقته وأن ذلك ليس من شأنه وحرفته..

وأما السكوت فإنه لا يسأل عن معناه ولا يخوض فيه ويعلم أن سؤاله عنه بدعة وأنه فى خوضه فيه مخاطر بدينه وأنه يوشك أن يكفر لو خاض فيه من حيث لا يشعر..

وأما الإمساك فأن لا يتصرف فى تلك الألفاظ بالتصريف والتبديل بلغة أخرى والزيادة والنقصان منه والجمع والتفريق بل لا ينطق إلا بذلك اللفظ وعلى ذلك الوجه من الإيراد والإعراب والتصريف..

وأما الكف فأن يكف باطنه عن البحث عنه والتفكر فيه..

وأما التسليم لأهله فأن لا يعتقد أن ذلك إن خفى عليه لعجزه فقد خفى على رسول الله (ﷺ) أو على الأنبياء أو على الصديقين والأولياء..

فهذه سبع وظائف اعتقد كافة السلف وجوبها على العوام لا ينبغى أن يظن بالسلف الخلاف فى شىء منها..(٢)

وسئل الشافعى عن الاستواء فقال: آمنت بلاتشبيه وصدقت بلا تمثيل.. واتهمت نفسى فى

الإدراك. وأمسكت عن الخوض فيه كل الامساك..[٣]

وقال أبو حنيفة: من قال لا أعرف الله فى السماء هو أم فى الأرض هو، فقد كفر لأن هذا يوهم أن لله مكاناً ومن توهم أن لله مكانا فهو مشبه..[٤]

ويقول ابن خلدون: .. ثم وردت فى القرآن آى أخرى قليلة توهم التشبيه مرة فى الذات وأخرى فى الصفات

أما السلف فغلبوا أدلة التنزيه لكثرتها ووضوح دلالتها وعلموا استحالة التشبيه وقضوا بأن الآيات من كلام الله فآمنوا بها ولم يتعرضوا لمعناها ببحث ولاتأويل..

وهذاله ولاتتعرضوا لتأويلها ولالتفسيرها لجواز أن تكون ابتلاء فيجب الوقف والإذعان له..[٥]

ويقول الفخر الرازى: حاصل هذا المذهب أن هذه المتشابهات يجب القطع بها بأن مراد الله تعالى منها شىء غير ظواهرها.. ثم يجب تفويض معناها إلى الله تعالى ولا يجوز الخوض فى تفسيرها..[٦]

ويقول التفتازانى فى معرض كلامه عن تنزيه الله عز وجل عن مشابهته للحوادث: أن ذلك وهم محض وحكم على غير المحسوس بأحكام المحسوس والأدلة القطعية قائمة على التنزيهات. فيجب أن يفوض علم النصوص إلى الله تعالى على ما هو دأب السلف إيثاراً للطريق الأسلم. أو تؤول بتأويلات صحيحة على ما اختاره المتأخرون دفعاً لمطاعن الجاهلين وجذباً لطبع القاصرين سلوكاً للسبيل الأحكم..[٧]

وسئل يحيى بن معاذ الرازى: أخبرنا عن الله تعالى..؟

قال: إله واحد..

فقيل: كيف هو..؟

قال: إله قادر..

قيل: فأين هو..؟

قال: بالمر صاد..

فقيل: لم نسألك عن هذا..

قال: ما كان غير هذا صفة المخلوقين. فأما صفة الخالق فالذى أخبرت عنه..[٨]

ويقول ابن قائد النجدى: مذهب سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه. وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولاتعطيل. ومن غير تكييف ولاتمثيل. فيثبتون له ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات وينزهونه عما نزه عنه نفسه من مماثلة المخلوقات إثباتاً بلا تمثيل وتنزيها بلاتعطيل قال تعالى: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) الشورى.. (٩)

وقال بعضهم: المعطل يعبد عدماً. والمشبه يعبد صنماً. والموحد يعبد إلها واحداً صمداً.. (١٠)

وحديث الجارية المشهور التى سألها الرسول (ﷺ): أين الله ؟ قالت فى السماء.. يستدل به أهل السنة على أن الله فى السماء. لكنهم يستدركون أن هذا لايعنى أن الله فى جوف السماء وأن السموات تحصره وتحويه. فإن هذا لم يقله أحد من سلف الأمة وأئمتها. بل هم متفقون أن الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه. ليس فى مخلوقاته شيء من ذاته ولافى ذاته شيء من مخلوقاته. وقد قال مالك: إن الله فى السماء وعلمه فى كل مكان.. (١١)

يتفق أصحاب المذاهب الأربعة وغيرهم أن الله لم يزل متكلماً كيف شاء وإذا شاء بلا كيف يأمر بما شاء ويحكم.. (١٢)

ينقل عن الشافعى قوله: آمنت بما جاء عن الله على مراد الله. وبماجاء عن رسول الله (ﷺ) على مراد رسول الله.. (١٣)

ويقول البيهقى: أما وحدانيته فى ذاته سبحانه فمعناها أن ذاته العلية لاتتركب من أشياء مادية ولا عقلية ولامن أصول غير مادية فلا تحوم حول حماها المقادير والمساحات والأشكال ونحوها وقد برهنه القرآن ببيان أن له سبحانه الغنى الأكمل ووجوب الوجود لتركب فى الذات واتصافها بالمقدار ولوازمه يستلزمان الحاجة إلى الغير والافتقار إلى السوى وينافيان وجوب الوجود ويقتضيان الاتصاف بالإمكان، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فهو واجب الوجود وهو الأول والآخر وهو الغنى الحميد.. (١٤)

▪ بين السلف والخلف

سوف نورد هنا عدداً من النصوص القرآنية والنبوية ونبين موقف السلف والخلف منها

فمما يوهم الجهة قوله تعالى: (يخافون ربهم من فوقهم)..

السلف يقولون فوقية لا نعلمها..

والخلف يقولون المراد بالفوقية التعالى فى العظمة..

وقوله تعالى (الرحمن على العرش أستوى)..

السلف يقولون أستواء لا نعلمه..

والخلف يقولون المراد به الاستيلاء والملك..

ومما يوهم الجسمية قوله تعالى: (وجاء ربك)..

وقول الرسول (ﷺ): ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا.. (١٥)

السلف يقولون مجيء ونزول لا نعلمه..

والخلف يقولون المراد من الآية: وجاء عذاب ربك أو أمر ربك الشامل للعذاب والمراد من الحديث ينزل ملك ربنا فيقول عن ربنا..

ومما يوهم الصورة قول الرسول (ﷺ):.. إن الله خلق آدم على صورته.. (١٦)

السلف يقولون صورة لا نعلمها..

والخلف يقولون المراد بالصورة الصفة من سمع وبصر وعلم وحياة..

ومما يوهم الجوارح قوله تعالى: (ويبقى وجه ربك..) الرحمن..

وقوله (يد الله فوق أيديهم)..

وقول الرسول (ﷺ): أن قلوب بنى آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن..)

فالسلف يقولون لله وجه ويد وإصبع لا نعلمها..

والخلف يقولون المراد من الوجه الذات ومن اليد القدرة والمراد من قوله بين إصبعين من أصابع الرحمن بين صفتين من صفاته وهاتان الصفتان القدرة والإرادة..

ومما يوهم الرؤية لله تعالى قوله (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)

وقول الرسول (ﷺ): «انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر».. (١٧)

فالسلف مجمعون على رؤية الله يوم القيامة..

والخلف يقولون أن النظر فى الآية هو الانتظار..

واتجاه الخلف أو أصحاب التأويل شن عليهم ابن تيمية هجوماً شديداً و اضطر فى مواجهتهم إلى إنكار المجاز فى القرآن واعتبر اللغة حقيقة فقط مدعياً أن تقسيم اللغة إلى حقيقة ومجاز، بدعة على

ما سوف نبين عند استعراض اتجاه ابن تيمية.. ويبدو أن هذا الموقف من قبل ابن تيمية محاولة منه لتفويت الفرصة على خصومه من أهل التأويل الذين يبنون موقفهم من آيات الأسماء والصفات على أساس المجاز كما هو واضح من خلال المقارنات السابقة..

ومن جانب آخر شن خصوم ابن تيمية عليه هجوما شديدا واتهموه بفساد العقيدة وتحريمه بعض المباح ومخالفته للأئمة الأربعة والتحدث بلسان السلف ونسبة الجهة والتجسيم والتشبيه لهم.. (١٨)

والأشاعرة وهم يمثلون أبرز الاتجاهات فى دائرة أهل السنة فيما يختص بقضايا التوحيد لهم رؤية فى الأسماء والصفات تختلف فى بعض جوانبها عن رؤية السلف كما أن ابن تيمية هاجمها وطعن فى الأشعرى.. (١٩)

وكذلك الأمر بالنسبة للماتريدى وهو من الاتجاهات البارزة أيضاً فى دائرة أهل السنة ويتبنى اتجاها وسطاً بين الأشاعرة والمعتزلة والبعض يرى أن الخلاف بينه وبين الأشعرى خلاف لفظى.. (٢٠)

وقيل إن الأشعرى تارة يميل إلى العقل وتارة يميل إلى النقل، أما الماتريدى فيجرى فى جميع أحواله على نهج واحد يعتمد على العقل والنقل لا يغلب أحدهما على الآخر.. وقد أطلق لقب «أهل السنة» على جماعة الأشاعرة والماتريدية، ثم دخل بعد ذلك ضمن هذا التعريف أصحاب المذاهب الأربعة والأوزاعى والثورى وأهل الرأى والإجماع والقياس وغيرهم..

أما ابن تيمية ومن سار على نهجه فقد اختلف مع هذه الاتجاهات جميعاً فى كثير من القضايا التى تتعلق بالتوحيد والمعاملات..

. أهل السنة والفرق الأخرى

إن علامة الاستفهام التى تثيرها كتب الفرق أن هذه الكتب تضع فرقة أهل السنة فى موضع القيمومة على الفرق الأخرى..

وتتعمد هذه الكتب إظهار أهل السنة بمظهر أهل الحق والفرقة الناجية التى خولت صلاحيات تعطيها الحق فى محاكمة الفرق الأخرى وإصدار الحكم عليها..

ومع كون أهل السنة يعدون خصوما لهذه الفرق وينطبق عليهم ما ينطبق على الآخرين. إلا أنهم لا يتحلون بصفة تميزهم عن الآخرين وتمنحهم القيمومة عليهم..

ويبدو أن تحالف أهل السنة مع القوى الحاكمة على مر التاريخ. ذلك التحالف الذى منحهم الشرعية والاستقرار على ساحة الواقع واستقطاب القطاع الأكبر من جماهير المسلمين قد جعلهم

يغترون بأنفسهم ويتعالون على الفرق الأخرى..

إن أهل السنة ينظرون لمخالفيهم نظرة استعلاء وهذه النظرة نابعة من اعتقادهم أنهم جماعة الحق وأنهم الفرقة الناجية. وبالطبع مثل هذا الاعتقاد لا بد أن يقودهم إلى الاستهانة بالآخرين والشك فى عقائدهم..

وهذا يفسر لنا منطق المحاكمة وليس المناقشة الذى يحكم أى حوار يدور بين أهل السنة والشيعة..

ومن خلال تجاربى الطويلة فى الوسط الإسلامى وشتى الحوارات التى أجريتها مع مختلف التيارات خرجت بقناعة أن جميع تيارات أهل السنة لا تحاور بهدف متجرد أو تناقش بمنطق الباحث عن الحق. وإنما يحكم النقاش دائما منطق الخصومة والتعالى. فهم يناقشون بهدف إخضاع الطرف الآخر أو إصدار حكم فيه..

وكنت كثيراً ما أشترط بداية قبل الدخول فى أى حوار أو نقاش مع طرف سنى أن يتم التخلى عن منطق صاحب حق يناقش صاحب باطل. فإن هذا الحوار لن يجدى بهذه الصورة ولن يؤدى إلا إلى زيادة التباعد والخصومة. فالحكم ببطلان رؤية المناقش بداية يعنى أن الأمر محسوم من قبل المناقش. وهو فى هذه الحالة لن يكون إلا صورة من صور المحاكمة الفكرية..[٢١]

وهذا المنطق الذى ساد الوسط الاسلامى السنى اليوم فى مواجهة الشيعة إنما يعود سببه إلى هيمنة الفكر الوهابى المتعصب النابع من خط ابن تيمية الذى يكن عداء شديداً للشيعة وللمخالفين له بوجه عام..

وخط ابن تيمية القديم أو الخط الوهابى الحديث إنما ينبع تعصبه من كونه يعتقد أنه يمثل عقيدة السلف ويتحدث بلسانهم. وليس هذا الأمر فى حقيقته إلا مجرد ادعاء لا يمثل الحقيقة فى شئ على ما سوف نبين عند استعراض موقف ابن تيمية والوهابيين من قضية التوحيد..

إن طبيعة التساؤلات التى كانت توجه إلى بمجرد التعرف على هويتى الفكرية إنما تكشف مدى تعمق منطق المحاكمة لدى الطرف السنى..

فأول سؤال كان يوجه إلى هو: لماذا تسبون الصحابة..؟

وما هو موقفكم من أبى بكر وعمر..؟

ولماذا تبيحون زواج المتعة..؟

وهل لديكم قرآن سرى..؟

ولماذا تفضلون الأئمة على الأنبياء..؟

فإذا كان جواب هذه التساؤلات بالنفى مع الإقرار بعدم وجود قرآن سرى وعدم تفضيل الأئمة على الأنبياء والاعتراف بخلافة أبى بكر وعمر حكم بصحة عقيدتنا. وإذا كان الجواب بغير ذلك حكم بفسادها..

أى أن مقياس صحة الاعتقاد أو فساده عند أهل السنة إنما يقوم على أساس الموقف من الرجال خاصة أبى بكر وعمر. فهؤلاء الرجال العدول المقدسون المساس بهم يعتبر مساسا بالدين..(٢٢)

ومن الواضح أن مثل هذه القضايا التى تطرحها هذه التساؤلات المتعلقة بالرجال لا تتعلق بصلب العقيدة ولا ينبنى على أساسها كفر أو إيمان، لكنها عند أهل السنة بلغت هذا الحد وأصبحت من صلب العقيدة..(٢٣)

ومنطق أهل السنة فى حوارهم مع الآخرين إنما يذكرنا بأسلوب محاكم التفتيش ولعل هذا المنطق أحد الأسباب الرئيسية التى أدت إلى فشل الحركة الإسلامية وعزلها عن الجماهير. لكون هذه الحركة تتبنى هذا المنطق وهى متشبعة بالفكر الوهابى وتمارسه عمليا على الملأ مما شكك الجماهير فى مدى تبنيها لحرية الفكر واحترام الرأى الآخر بل دفعها إلى الخوف من تطبيق إسلامى على هذه الصورة..

وهذا المنطق أيضا هو الذى فتح الباب أمام خصوم الحركة الإسلامية وعلى رأسهم العلمانيون للطعن فى الطرح الذى تتبناه والتشكيك فيه..

• التوحيد والسياسة:

هل تدخلت السياسة فى صياغة عقيدة التوحيد ودعمها عند أهل السنة..؟

إن استقراء أحداث التاريخ ومواقف الحكام من أهل السنة تشير إلى صحة هذا الادعاء.. فعندما كانت فرقة الخوارج تقف فى مواجهة الأمويين وتقول بكفر مرتكب الكبيرة. وجد الأمويون فى اتجاه المرجئة مخرجا لهم فى مواجهة هذا الاتجاه الذى سبب لهم حرجا كبيرا لاعتكافهم على المعاصى كبيرها وصغيرها. كما وجدوا فى أهل السنة الحصانة التى يريدونها لأنهم لا يكفرون مرتكب الكبيرة..

والمتأمل فى قصة الجهم بن صفوان الذى تنسب إليه فرقة الجبرية يجد أنه تناول فكرة الجبر من الجعد بن درهم. والجعد بن درهم أخذها من اليهود كما يروى..

ومن المعروف أن الجعد بن درهم كان على صلة وثيقة بالقصر الأموى وقد تسلم مهمة حساسة

داخله وهى تربية الخلفاء الأمويين..

ورغم ذلك كانت النتيجة هى إعدام الجهم لا الجعد..[٢٤]

ويبدو من خلال حركة الجبرية هذه أنها كانت تتركز فى الشام أكثر من أى مكان آخر مما يشير إلى أن الأمويين كانوا يستثمرونها لصالحهم حتى تبرر الناس أفعالهم ومنكراتهم من جهة وحتى تواجه بها الفرق الأخرى التى تنابذهم كالقدرية بزعامة غيلان الدمشقى ومعبد الجهنى..[٢٥]

ويظهر هذا الأمر أيضا فى تبنى بعض حكام بنى العباس خط الأشعرى وتبنى البعض الآخر خط الخلف. كما تبنى المأمون والمعتصم والواثق منهج المعتزلة واصطدموا بأهل السنة وبطشوا بهم مما أدى إلى خلق رد فعل لدى الخلفاء الذين خلفوهم فاحتضنوا أهل السنة ودعموهم. وقد تبنى بعض حكام المماليك خط ابن تيمية وعلى رأسهم محمد ابن قلاوون صديق ابن تيمية..[٢٦]

وفى الحقبة النفطية المعاصرة تبنى حكام السعودية خط الوهابية الذى تفرخ من مدرسة ابن تيمية ويعتبر امتدادا لها. ودعموه وعملوا على نشره فى كل مكان من بقاع العالم الإسلامى حتى أصبح يمثل اعتقاد الحركات الإسلامية. فى مصر وأفغانستان واليمن والخليج وأوروبا وكل بقعة يتواجد بها المسلمون.. وعلى الرغم من حجم الخلاف بين مدرسة ابن تيمية والمدارس الأخرى السنية التى تمثل الإجماع فى مواجهتها فإن طرح ابن تيمية الشاذ هو الذى ساد على حساب الاتجاهات الأخرى والسبب كما هو واضح هو دعم حكام آل سعود..[٢٧]

من هنا نشأ التعصب والجمود الذى صبغ الحركة الإسلامية المعاصرة. كما نشأ التطرف والتكفير فى مواجهة المخالفين.. ووقعت الحركة الإسلامية المعاصرة فى مأزق فكرى جعلها تتخبط فى حركتها وتصورها وشغلها بالفروع أو بتعبير آخر شغلها بالمسلمين أكثر من شغلها بأعداء الإسلام مما جعلها فريسة سهلة ولقمة سائغة للقوى الحاكمة المتربصة.

وهذه نتيجة طبيعية لتبنى خط ابن تيمية الذى يرفع شعار التوحيد الخالص ويزندق مخالفيه ويصطرع مع العامة تارة ومع العلماء تارة ومع الفرق تارة أخرى وفى النهاية هو فى خدمة الحكام..

وهكذا تحولت صورة التوحيد الذى طرحه ابن تيمية إلى الصورة المثلى المعبرة عن الإسلام ولم يعد هناك وجود للطرح الآخر إلا على صفحات الكتب. وبدا الأمر للشباب المسلم الناشىء وبسطاء المسلمين أن هذا هو الإسلام وأن ان تيمية هو شيخ الإسلام الذى نهض لنصرة التوحيد والذى ترفع الحركات الإسلامية رايته فى مواجهة المسلمين قبل أن ترفعها فى مواجهة أعداء المسلمين.

ترفعها فى مواجهة الصوفية.

وترفعها فى مواجهة الشيعة..

وَترفعها أيضا فى مواجهة السنة الذين يخالفونها..

فكل هؤلاء مشركون لأنهم لا يقرون عقيدة ابن تيمية ويخالفون أصول التوحيد الذى جاء به شيخ الإسلام والذى أعلن هو وتابعه ابن عبد الوهاب أن نواقض الإسلام عشرة من لا يعرفها وقع فى الشرك الأكبر وكان فى عداد الهالكين وأول هذه النواقض الشرك فى عبادة الله ومنه الذبح لغير الله. والثانى من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة كفر إجماعا. والإجماع المقصود هنا هو إجماع الوهابية بالطبع والثانى و الثالث من لم يكفر المشركين أو يشك فى كفرهم أو صحح مذهبهم كفر. والمقصود بالمشركين هنا المسلمون الذين يخالفون الوهابية. الرابع من أعتقد أن غير هدى النبى (ﷺ) أكمل من هدية أو أن حكم غيره أحسن من حكمة فهو كافر. الخامس من أبغض شيئا مما جاء به الرسول ولو عمل به كفر. السادس من استهزأ بشئ من دين الرسول أو ثوابه أو عقابه كفر. السابع من فعل السحر أو رضى به كفر. الثامن من ظاهر المشركين وأعانهم على المسلمين كفر. التاسع من أعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعه محمد كما وسع الخضر الخروج عن شريعه موسى فهو كافر. العاشر من أعرض عن دين الله لايتعلمه ولايعمل به فقد كفر.. ولافرق فى جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره..[٢٨]

هذه هى أحدث صور التوحيد التى تفرخت عن أهل السنة وهى كما تبدو صورة قاتمة مخيفة تبرر استحلال دماء المخالفين من أهل القبلة وجهادهم وهو ما يشهد به تاريخ الحركة الوهابية فهى لم تشهر سيفاولم تطلق طلقة بندقية فى مواجهة الكفار الحقيقين وانما كانت سيوفها وبنادقها مسلطة دائماً على المسلمين..[٢٩]

وختاما نعرض امام القارىء فتوى من فتاوى أولاد عبد الوهاب توجب تخريب بيوت المسلمين وإشعال الفتن بينهم وذبح بعضهم بعضا باسم التوحيد..

تقول الفتوى: إن الرجل لايكون مسلماً إلا إذا عرف التوحيد ودان به وعمل بموجبه.. فمن قال لا أعادى المشركين أو عاداهم ولم يكفرهم. أو قال لا أتعرض اهل لااله إلا الله ولو فعلوا الشرك والكفر وعادوا دين الله. أو قال لا أتعرض القباب فهذا لايعد مسلماً. بل هو ممن قال الله فيهم (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا. أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا..)[٣٠]

ويلاحظ هنا أن الشرك هو التوسل وزيارة القبور ودين الله المقصودبه مذهب الوهابيه. أما المشركين فهم المسلمين..

ويقول الشهرستانى: إن السلف من أصحاب الحديث لما رأوا توغل المعتزلة فى علم الله ومخالفة السنة التى عهدوها من الأئمة الراشدين ونصرهم جماعة من بنى أمية على قولهم بالقدر وجماعة من خلفاء بنى العباس على قولهم بنفى الصفات وخلق القرآن تحيروا فى تقرير مذهب أهل السنة والجماعة فى متشابهات آيات الكتاب وأخبار النبى (ﷺ).. وداود بن على الأصفهانى وجماعة من السلف جروا على منهاج السلف المتقدمين عليهم من أصحاب الحديث مثل مالك بن أنس ومقاتل بن سليمان وسلكوا طريق السلامة، فقالوا نؤمن بما ورد به الكتاب والسنة ولا نتعرض للتأويل بعد أن نعلم قطعا أن الله عز وجل لا يشبه شيئا من المخلوقات. وأن كل ما تمثل فى الوهم فإنه خالقة ومقدره وكانوا يحترزون عن التشبيه إلى غاية أن قالوا من حرك يده عند قراءته خلقت بيدى أو أشار بإصبعه عند روايته قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن. وجب قطع يده وقلع إصبعه. وقالوا إنما توقفنا فى تفسير الآية وتأويلها لأمرين.

أحدهما: المنع الوارد فى التنزيل فى قوله تعالى (أما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله.....) فنحن نحترز من الزيغ..

والثانى: أن التأويل أمر مظنون بالاتفاق والقول فى صفات البارى بالظن غير جائز فلربما أولنا الآية على غير مراده فوقعنا فى الزيغ بل نقول كما قال الراسخون فى العلم كل من عند ربنا آمنا بظاهره وصدقنا بباطنه ووكلنا علمه إلى الله تعالى ولسنا مكلفين بمعرفة ذلك إذ ليس من شرائط الإيمان وأركانه..[٣١]

- التوحيد عند ابن تيمية:

يقسم ابن تيمية التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توحيد الأسماء والصفات..

الثانى: توحيد الربوبية..

الثالث: توحيد الألوهية..[٣٢]

والأول يعنى إثبات ما أثبته لنفسه فى كتابه وسنة رسوله من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل..

وقد ضل فى هذا الأمر طائفتان:

إحداهما المعطلة الذين أنكروا الأسماء والصفات أو بعضها زاعمين أن إثباتها لله يستلزم التشبيه..

والطائفة الثانية: المشبهة الذين أثبتوا الأسماء والصفات مع تشبيه الله تعالى بخلقه زاعمين أن هذا مقتضى دلالة النصوص لأن الله تعالى يخاطب العباد بما يفهمون..[٣٣]

أما القسم الثانى فيعنى أن الله هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير..

والثالث يعنى الاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين وإفراده وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين لله وحده وهو يتضمن القسمين الأولين..[٣٤]

ويثبت ابن تيمية لله العلو: علو الله تعالى من صفاته الذاتية وينقسم إلى قسمين:

علو ذات..

وعلو صفات..

فأما علو الذات فمعناه أن الله بذاته فوق جميع خلقه..

وأما علو الصفات فمعناه أنه ما من صفة كمال إلا ولله تعالى أعلاها وأكملها سواء كانت من صفات المجد والقهر أم من صفات الجمال والقدر..

فتارة يذكر العلو والفوقية والاستواء على العرش وكونه فى السماء مثل قوله تعالى: (وهو العلى العظيم)

وقوله: (سبح اسم ربك الأعلى)

وقوله: (يخافون ربهم من فوقهم)

وقوله: (الرحمن على العرش استوى)

وقوله: (ءأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض)

وقول الرسول (ﷺ): «والعرش فوق ذلك والله فوق العرش»..

وقوله (ﷺ): «ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء»..

وتارة بصعود الأشياء وعروجها ورفعها إليه..

مثل قوله تعالى: (إليه يصعد الكلم الطيب)

وقوله: (تعرج الملائكة والروح إليه)

وقوله: (بل رفعه الله إليه)

وقول الرسول (ﷺ): لايصعد إلى الله إلا الطيب

وقوله:(يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل..

وتارة بنزول الأشياء منه..

ونحو ذلك قوله تعالى: «تنزيل من رب العالمين».

وقوله: قل نزله روح القدس من ربك.

وقوله (ﷺ): ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير..[٣٥]

ويذهب ابن تيمية ان الله وجهاً حقيقياً يليق به موصوفاً بالجلال والإكرام وقد دل على ثبوته لله الكتاب والسنة..

فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: «ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام».

ومن أدلة السنة قول الرسول (ﷺ): وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك..

فوجه الله تعالى من صفاته الذاتية الثابتة له حقيقة على الوجه اللائق به ولا يصح تحريف معناه إلى الثواب..[٣٦]

ويذهب ابن تيمية ان لله تعالى يدين اثنتين مبسوطتين بالعطاء والنعم..

وهما من صفاته الذاتية الثابتة له حقيقة على الوجه اللائق به..

وقد دل على ثبوتهما الكتاب والسنة..

فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: «وما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى».

ومن أدلة السنة قول الرسول (ﷺ): يد الله مبلأى سماء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما فى يمينه..

وينقل ابن تيمية على لسان أهل السنة أنهم أجمعوا على أنهما يدان حقيقيتان لا تشبهان أيدى المخلوقين ولا يصح تحريف معناهما إلى القوة أو النعمة أو نحوذلك..[٣٧]

وينقل ابن تيمية على لسان أهل السنة أن لله عينين اثنتين ينظر بهما حقيقة على الوجه اللائق به وهما من الصفات الذاتية الثابتة بالكتاب والسنة.

فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: (تجرى بأعيننا)

ومن أدلة السنة قول الرسول (ﷺ): إن ربكم ليس بأعور..

فهما عينان حقيقيتان لا تشبهان أعين المخلوقات ولا يصح تحريف معناهما إلى العلم والرؤية..(٣٨)

كما ينقل على لسان أهل السنة قولهم أن الله يتكلم وأن كلامه صفة حقيقية ثابتة له على الوجه اللائق وهو سبحانه يتكلم بحرف وصوت كيف يشاء متى شاء فكلامه صفة ذات باعتبار جنسه وصفة فعل باعتبار آحاده..

ومن أدلة ذلك من الكتاب قوله تعالى: (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه)

وقوله تعالى: (وإذ قال الله يا عيسى أنى متوفيك ورافعك إلى).

وقوله: (وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً)

ففى الآية الأولى إثبات أن الكلام يتعلق بمشيئته وأن آحاده حادثة..

وفى الآية الثانية دليل على أنه بحرف فإن مقول القول فيها حروف..

وفى الآية الثالثة دليل على أنه بصوت إذ لايعقل النداء والمناجاة إلا بصوت..

ومن أدلة السنة قول الرسول (ﷺ): يقول الله تعالى: يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادى بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار..

وكلامه سبحانه هو اللفظ والمعنى جميعاً ليس هو اللفظ وحده أو المعنى وحده..(٣٩)

وعلى لسان أهل السنة يقول ابن تيمية إن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود تكلم به حقيقة وألقاه إلى جبريل فنزل به على قلب محمد (ﷺ).

وأدلة ذلك من الكتاب قوله تعالى: (وإن أحدا من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله..)

ومن أدلة السنة قوله (ﷺ): ألا رجل يحملنى إلى قومه لأبلغ كلام ربى فإن قريشا قد منعونى أن أبلغ كلام ربى عز وجل..(٤٠)

وينقل ابن تيمية انقسام أهل القبلة فى آيات الصفات وأحاديثها إلى ست طوائف..

طائفتان قالوا: تجرى على ظاهرها..

وطائفتان قالوا: تجرى على خلاف ظاهرها..

وطائفتان قالوا بالتوقف..

أما الطائفتان الذين قالوا تجرى على ظاهرها فهما:

- طائفة المشبهة الذين جعلوها من جنس صفات المخلوقين ومذهبهم باطل أنكره السلف..

- طائفة السلف الذين أجروها على ظاهرها اللائق بالله عز وجل ومذهبهم هو الصواب.

أما الطائفتان الذين قالوا تجرى على خلاف ظاهرها:

- أهل التأويل من الجهمية وغيرهم الذين أولوا نصوص الصفات إلى معان عينوها كتأويل اليد بالنعمة والاستواء بالاستيلاء ونحو ذلك..

- أهل التجهيل المفوضة الذين قالوا: الله أعلم بما أراد بنصوص الصفات لكننا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجية له تعالى وهذا القول متناقض.

أما الطائفتان الذين توقفوا:

- طائفة جوزوا أن يكون المراد بنصوص الصفات إثبات صفة تليق بالله وأن لا يكون المراد من ذلك وهؤلاء كثير من الفقهاء وغيرهم..

- طائفة أعرضوا بقلوبهم وألسنتهم عن هذا كله ولم يزيدوا على قراءة القرآن والحديث..(٤١)

ويدافع ابن تيمية عن الاتهامات التى وجهت لأهل السنة والألقاب التى وضعها أصحاب الاتجاهات عليهم بقوله: فكانت كل طائفة من هذه الطوائف تلقب أهل السنة بما برأهم الله من ألقاب التشنيع والسخرية.. إما لجهلهم بالحق حيث ظنوا صحة ماهم عليه وبطلان ما عليه أهل السنة..

وإما لسوء القصد حيث أرادوا بذلك التنفير عن أهل السنة والتعصيب لآرائهم مع علمهم بفسادها..

فالجهمية ومن تبعهم من المعطلة سموا أهل السنة (مشبهة) زعماً منهم أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه..

والروافض سموا أهل السنة (نواصب)..

والقدرية النفاة قالوا: أهل السنة (مجبرة) لأن إثبات القدر جبر عند هؤلاء النفاة..

والمرجئة المانعون من الاستثناء فى الإيمان يسمون أهل السنة (شكاكاً) لأن الإيمان عندهم إقرار القلب والاستثناء شك فيه عند هؤلاء المرجئة..

وأهل الكلام والمنطق يسمون أهل السنة (حشوية) ويسمونهم (غثاء)..[٤٢]

ولقد تبنى الخط الوهابى رؤية ابن تيمية هذه وطرحه فى مسائل العقيدة وعكف على شرحه وتبسيطه ونشره فى الآفاق بدعم آل سعود..

وهكذا أغرق الواقع الإسلامى بعشرات الكتب الوهابية التى تعكس عقيدة ابن تيمية وتعمل على حشو أذهان المسلمين بقضايا النذر والتبرك والتوسل والسحر والرقى والتمائم والذبح لغير الله وزيارة القبور وأضرحة المساجد وما شابه ذلك من الأمور التى أدت إلى زرع العداوة والبغضاء بين المسلمين ودفعت بالشباب المسلم الناشىء إلى تركيز جهوده على المسلمين والصدام معهم بدلاً من الصدام مع أعداء الاسلام والمسلمين فقد صورت له الوهابية أن هذا هو الإسلام وأن هذا هو طريق الفرقة الناجية ومن شذ عن هذا الطريق وجب معاداته وقتاله إن أمكن والحقيقة أن اتجاه ابن تيمية وتابعه محمد عبد الوهاب لا يمثلان سوى اتجاه شاذ فى دائرة أهل السنة..

وقد أفرد ابن تيمية فصلا فى «الفتوى الحموية» فى بيان صحة مذهب السلف وبطلان القول بتفضيل مذهب الخلف فى العلم والحكمة على مذهب السلف ووصف القائلين: طريق السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم. وصفهم بالغباء..

يقول صاحب فرقان القرآن: وقد اتفقت عقول المحققين من الأولين والآخرين والسلف والخلف على أن ما اتصف بصغر أو كبر فهو حادث ممكن، وكذلك اتفقت على أن الصورة والاتصاف بالأجزاء من سمات الحدوث ولم نر أحدا اجترأ على إنكار ذلك وبالغ فيه سوى ابن تيمية وهو قول إن دل على شىء فليس يدل إلا على إصابة صاحبه بهوى خرج به عن المعقول والمنقول.. واستمع إلى ما نقله الحافظ البيهقى عن الإمام أحمد الذى ينسب إليه هذا الرجل (ابن تيمية) ومن على شاكلته كل شنيعة - فى الكتاب الذى ألفه فى مناقب الإمام أحمد عن الإمام أبى الفضل التميمى رئيس الحنابلة ببغداد وابن رئيسها «أنكر أحمد على من قال بالجسم. وقال: إن الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذى طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف والله سبحانه خارج عن ذلك كله.. فلم يجز أن يسمى جسماً لخروجه عن معنى الجسمية ولم يجىء فى الشريعة ذلك فبطل.. ونقل الحافظ بن الجوزى عن الامام أحمد نحو ذلك فى كتابه «دفع شبه التشبيه» وأنت خبير بأن نفى الجسمية نفى للجهة والمكان فإنهما لازمان لها لذاتها لزوما مساويا. وإذا ثبت اللازم المساوى ثبت ملزومه لا يشك فى ذلك من يعرف معنى اللازم المساوى. فهو بمنزلة الحدوث للإمكان والانقسام

هوامـــــش

١ـ الجامع لأحكام القرآن ..

٢ـ إلجام العوام عن علم الكلام. الرسالة الرابعة من رسائل الغزالى المطبوعة تحت عنوان القصور العوالى من رسائل الإمام الغزالى ط القاهرة..

٣ـ حل الرموز أو زبد خلاصة التصوف للعز بن عبد السلام.

٤ـ المرجع السابق وسئل ابن حنبل عن الاستواء فقال: استوى كما أخبر لاكما يخطر للبشر..

٥ـ مقدمة ابن خلدون..

٦ـ أساس التقديس..

٧ـ شرح العقائد النسفي..

٨ـ حل الرموز..

٩ـ نجاة الخلف فى عقائد السلف. ط القاهرة..

١٠ـ المرجع السابق.

١١ـ المرجع السابق.

١٢ـ المرجع السابق.

١٣ـ انظر الفتوى الحموية والرسالة المدنية لابن تيمية والشافعى لمحمد ابى زهرة..

١٤ـ انظر الأسماء والصفات للبيهقى..

١٥ـ انظر شرح البيجورى على الجوهرة المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد..

١٦ـ المرجع السابق.

١٧ـ المرجع السابق.

١٨ـ انظر ابن تيمية ليس سلفيا ط. القاهرة عام ٧٠. والدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر جـ١ ص١٤٧. أنه نودى فى دمشق من اعتقد عقيدة ابن تيمية حل دمه وماله. وانظر أيضاً له الفتاوى الحديثية ص٨٦ وفيها تصريح الفقهاء أن ابن تيمية عبد خذله الله وأضله وأعماه وأصمه وأذله. وبذلك صرح الأئمة الذين بينوا فساد أحواله وكذب أقواله وانظر براءة الأشعريين من عقائد المخالفين فصل عقيدة ابن تيمية التى خالف بها جماعة المسلمين.. وانظر لنا محاكمة ابن تيمية..

١٩ـ انظر العقيدة الواسطية والفتوى الحموية لابن تيمية وكتب الفرق التى تعرض لعقيدة الأشعرى والإبانة فى أصول الديانة ومقالات الإسلاميين للأشعرى..

٢٠ـ انظر كتب الفرق وعلم الكلام..

٢١ـ انظر لنا الشيعة والسنة حوارات ومناقشات..

٢٢ـ انظر باب الرجال من هذا الكتاب..

٢٣ـ انظر باب الإمامة من هذا الكتاب..

٢٤ـ كان الجعد بن درهم مربياً لآخر خلفاء بنى أمية مروان بن محمد. ويروى أن الجعد أعدم بعد ذلك فقد أعدم الجهم وأعدم الجعد انظر لنا شهداء الرأى فى التاريخ الإسلامى وفقه الهزيمة فصل العقيدة..

٢٥ـ انظر كتب الفرق والعقائد ودراسات فى العقيدة الإسلامية لمحمد جعفر شمس الدين.

٢٦ـ اضطهد بنى بويه الأشاعرة ثم نصرهم السلاجقة بعد ذلك ليتحالفوا معهم فى مواجهة الفاطميين الشيعة فى مصر وكان صلاح الدين شافعياً أشعرياً وفرض مذهب الأشعرى على المصريين كذلك فعل الظاهر بيبرس. وكتب ابن تيمية كتاب الجواب الباهر لزوار المقابر للسلطان محمد بن قلاوون المملوكى وأثنى عليه فى مقدمة الكتاب ومدحه كثيراً..

٢٧ـ طبعت الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣٧ مجلدا) على نفقة خادم الحرمين وتوزع مجانا والسؤال الذى يطرح نفسه هنا: ما هى مصلحة آل سعود فى نشر خط ابن تيمية وأفكاره..؟

٢٨ـ مجموعة التوحيد الرسالة الأولى ص٣٣ ط دار الفكر القاهرة وكذلك ذكر ابن باز هذه النواقض فى كتابه العقيدة الصحيحة ونواقض الإسلام طبع على نفقة فاعل خير ويوزع مجاناً.. وتأمل هذه النواقض العشرة وسوف يتبين لك أنها موجهة للمخالفين للوهابية من الصوفية والشيعة..

٢٩ـ تاريخ الوهابية حافل بالمذابح لأهل القبلة على مستوى الجزيرة العربية وخارجها والمذابح التى ارتكبوها فى النجف وكربلاء حيث أحرقوا المساجد ونهبوها وقتلوا الأطفال والنساء أثناء غاراتهم على بلاد (الشرك) هذه المذابح مشهورة ومعروفة للجميع وقد سلط الله عليهم حاكم مصر محمد على الذى غزا الجزيرة العربية وشتت جموعهم ومزقهم شر ممزق لكنه لم يستطع القضاء على دعوتهم..

ويكفى العلم أن محمد عبد الوهاب وابن سعود من نجد التى ذمها الرسول (ﷺ) حيث قال: يخرج من نجد قرنا شيطان.

٣٠ـ مجموعة التوحيد رسالة بيان النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك..

٣١ـ الملل والنحل جـ١..

٣٢ـ التوحيد لابن عبد الوهاب والعقيدة الواسطية والعقيدة الصحيحة لابن باز..

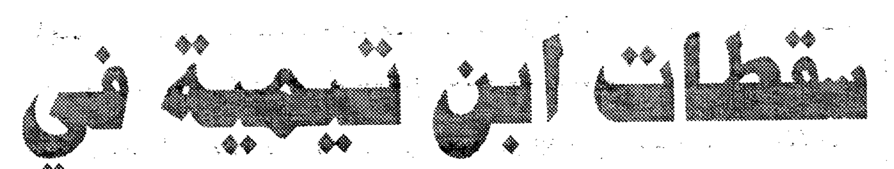
٣٣ـ رسائل فى العقيدة لمحمد بن عثيمين الرسالة الثانية: فتح رب البرية بتلخيص الحموية..

٣٤ـ العقيدة الواسطية..

٣٥ـ رسائل فى العقيدة الرسالة الثانية..

٣٦: ٤٢ المرجع السابق..

٤٣ ـ فرقان القرآن ط ـ القاهرة..



العقيدة

ونحن هنا لم نتصيد هذه السقطات بأنفسنا إنما السلف هم الذين تصيدوها من العلماء والفقهاء المعاصرين له وحتى تلامذته ومن جاء بعدهم. هؤلاء هم الذين أخذوها عليه وطعنوا فيه بسببها..

وسقطات ابن تيمية منها ما كان بسبب ردود الأفعال تجاه خصومه المخالفين له.

ومنها ما كان بسبب أطروحات الفرق والاتجاهات الأخرى المناوئة لأهل السنة.

ومنها ما كان من اجتهاداته الخاصة به..

وقد اخترنا هنا سقطات ابن تيمية الخاصة بالعقيدة لارتباطها بموضوع البحث وهى تعد بمنظور السلف أخطر سقطاته..[١]

ونحن نوجه الكلام هنا إلى هؤلاء الذين جعلوا ابن تيمية شيخ الإسلام ومنارة الحق وناصر السنة وقائد المسيرة الإسلامية على مر الزمان.. [٢]

• ابن تيمية يقول بفناء النار..

قال السبكى: .. اعتقاد المسلمين أن الجنة والنار لا تفنيان. وقد نقل أبو محمد بن وينكر ابن تيمية بشدة على الذين يدعونه إلى نفى التحيز والجهة قائلاً: وكيف يجوز أن يدعى الناس ويؤمرون باعتقاد فى أصول الدين ليس له أصل عمن جاء بالدين. هل هذا إلا صريح تبديل الدين.. إنهم طلبوا اعتقاد نفى الجهة والتحيز عن الله.. ومعلوم أن الامر بالاعتقاد لقول من الأقوال. إما أن يكون تقليداً للأمر. أو لأجل الحجة والدليل..

ويرى ابن تيمية أن الاعتقاد بنفى الجهة والحيز عن الله تعالى حرام باطل على التقديرين بإجماع المسلمين. وأن فعل ذلك من أفعال الأئمة المضلين..[٥]

حزم الإجماع على ذلك وأن من خالفه كافر بالإجماع. ولا شك فى ذلك فإنه معلوم من الدين بالضرورة وتواردت الأدلة عليه..

واستعراضُ السبكى لآيات الجنة والنار وتظافر هذه الآيات ونظائرها يفيد القطع بإرادة حقيقتها ومعناها. وأن ذلك ليس مما استعمل فيه الظاهر فى غير المراد به. ولذلك أجمع المسلمون على اعتقاد ذلك وتلقوه خلفاً عن سلف عن نبيهم (ﷺ) وهو مركوز فى فطرة المسلمين معلوم من الدين بالضرورة. بل وسائر الملل غير المسلمين يعتقدون ذلك. ومن رد ذلك فهو كافر، ومن تأوله فهو كمن تأول الآيات الواردة فى البعث الجسمانى. وهو كافر أيضا بمقتضى العلم وإن كنت لا أطلق لسانى بذلك. وقد وقفت على التصنيف المذكور - لابن تيمية - وذكر فيه ثلاثة أقوال فى فناء الجنة والنار. أحدها أنهما تفنيان. وقال إنه لم يقل به أحد من السلف. والثانى أنهما لا تفنيان. والثالث أن الجنة تبقى والنار تفنى.

ومال إلى هذا واختاره. وقال إنه قول السلف. ومعاذ الله. وأنا أبرىء السلف من ذلك ولا أعتقد أن أحداً منهم قاله. وإنما روى عن بعضهم كلمات تتأول كما تتأول المشكلات التى ترد وتحمل على غير ظاهرها..(٣)

وقد دافع تلميذ ابن تهمية ابن القيم عن موقف أستاذه هذا وحشد الكثير من الأدلة التى تؤيد رؤية ابن تيمية بفناء النار..(٤)

* **ابن تيمية يثبت الجهة والمكانية لله تعالى..**

يقول ابن تيمية فى الفتاوى الكبرى: وأما قولهم. - أى الذين يتهمون ابن تيمية بعدم نفى التحيز عن الله - الذى نطلب منه أن يعتقده أن ينفى عن الله التحيز. .فالجواب من وجوه:

احدها: أن هذا اللفظ ومعناه الذى أرادوه ليس هو فى شىء من كتب الله المنزلة من عنده ولا هو مأثور عن أحد من أنبياء الله ورسله. لاخاتم المرسلين ولا غيره. ولاهو محفوظ عن أحد من سلف الأمة وأئمتها أصلاً..

إن هذا الكلام ليس من دين الله. ولامن الإيمان. ولامن سبيل المؤمنين. ولامن طاعة الله ورسوله. واذا كان كذلك فمن التزم اعتقاده فقد جعله من الإيمان والدين. وذلك تبديل للدين. كما بدل مبتدعة اليهود والنصارى ومبتدعة هذه الأمة دين المرسلين .

نظرا لكثرة سقطات ابن تيمية وادعاءاته باتباع السلف والتقيد بإجماع الأمة أفردنا له هذا الفصل..

وقال ايضاً تحت عنوان: تنازع الناس فى الجهة والتحيز.. وقد علم أن ما ثم موجود الا الخالق. والمخلوق. والخالق مباين للمخلوق ـ سبحانه وتعالى. ليس فى مخلوقاته شىء من ذاته. ولافى ذاته شىء من مخلوقاته. فيقال لمن نفى: أتريد بالجهة ماوراء العالم. فلاريب أن الله فوق العالم مباين للمخلوقات..

وكذلك يقال لمن قال: الله فى جهة..

أتريد بذلك: أن الله فوق العالم..

أو تريد به أن الله داخل فى شىء من المخلوقات..

فإن أردت الأول فهو حق..

وإن أردت الثانى فهو باطل..(٦)

وقال ولما كان قد استقر فى نفوس المخاطبين أن الله هو العلى الأعلى. وأنه فوق كل شىء. كان المفهوم من قوله أنه فى السماء. أنه فى العلو. وأنه فوق كل شىء..(٧)

وقال كلاماً كثيراً مثل ذلك فى منهاج المسلم والفتاوى الكبرى لايتسع المجال لذكرها هنا. حتى أنه تجاوز القول وادعى أن الله سبحانه، لو شاء لاستقر على ظهر بعوضة..(٨)

كما أثبت الحد لله تعالى وحكم على من لايعترف به بالكفر(٩)

*** ابن تيمية يقول بالتجسيم..**

يقول ابن تيمية: وأما لفظ الجسم والجوهر والتحيز والجهة ونحو ذلك فلم ينطق كتاب ولاسنة بذلك فى حق الله لا نفياً ولا إثباتاً. وكذلك لم ينطق بذلك أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين من أهل البيت. وغير أهل البيت. فلم ينطق أحد منهم بذلك فى حق الله لانفياً ولا إثباتاً..(١٠)

وقال: الكلام فى وصف الله بالجسم نفياً وإثباتاً بدعة لم يقل أحد من سلف الأمة وأئمتها إن الله ليس بجسم كما لم يقولوا إن الله جسم.(١١)

وقال: وأماذكر التجسيم وذم المجسمة فهذا لايعرف فى كلام أحد من السلف والأئمة. كما لايعرف فى كلامهم أيضاً القول بأن الله جسم أو ليس بجسم..(١٢)

ويزعم ابن تيمية التركيب فى ذات الله تعالى ويسفه آراء القائلين بالوحدانية ونفى الانقسام.

ويعتبرهم أضر على الأمة من الخوارج المارقين الذين يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الأوثان وأن هذا الكلام هو أصل جهم الذى أسس عليه ضلالته. وهو عن أعظم أصول أهل الشرك والإلحاد التى أفسدوا بها التوحيد..(١٣)

يقول فى معرض رده على هؤلاء: وأما المعنى الذى ذكروه بنفى الانقسام فيلزم على قولهم أن لايكون شىء قط من المخلوقات يقال إنه واحد.. فإذا لايصح أن يقال لشىء من الموجودات أنه واحد وهذا خلاف الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها وإجماع أهل اللغة والعقل..(١٤)

ويقول: قولك لأنه مقدس عن التجزىء والتبعيض والتعدد والتركيب والتأليف يقال هذه ألفاظ مجملة. فإن أردت المعنى المعروف فى اللغة لهذه الألفاظ مثل أن تريد أنه ينفصل بعضه عن بعض. ولايتجزأ فيفارق جزءاً منه جزء كما هو المعقول من التجزى يتعدديتعدد كون إلهين أو ربين أوخالقين ولم يركب فيؤلف فيجمع بين أبعاضه كما فى قوله: (فى أى صورة ماشاء ركبّك) أو ما يشبه هذه الأمور فهذا كله ينافى صمدانيته. ولكن لاينافى قيام مايثبته من الأصوات. كما لا ينافى قيام سائر الصفات. وإن أردت بهذه الألفاظ أنه لا يتميز منه شىء من شىء. فهذا باطل باتفاق العقلاء. وهو لازم لمن نفاه لزوماً لا محيد عنه..(١٥)

ومثل هذا الكلام إنما ينافى ما عليه السلف كما ذكرنا سابقاً. وهو يكشف مدى تناقض ابن تيمية حيث يدعى على السلف أنهم لم يخوضوا فى قضية التجسيم ثم يخوض هو فيها بما يوقعه فى متاهة التجسيم. ثم هو ينفى على نفاة الجسمية كما ينفى على نفاة التركيب. ونفى النفى إثبات..

* **ابن تيمية ينكر المجاز..**

وقد أنكر ابن تيمية المجاز بقوله: وقولهم ان دل بلا قرينة فهو حقيقة. وإن لم يدل إلا معها فهو مجاز. فقد تبين بطلانه..(١٦)

وقال: وتقسيم اللغة إلى حقيقة ومجاز تقسيم مبتدع محدث لم ينطق به السلف. والخلف فيه على قولين. وليس النزاع فيه لفظيا. بل يقال نفس هذا التقسيم باطل لا يتميز هذا عن هذا. ولهذا كان كل ما يذكرونه من الفروق يبين أنها فروق باطلة..(١٧)

وبالطبع فإن إنكار المجاز سوف يؤدى إلى اعتبار كل ما ورد فى القرآن بخصوص أسماء الله وصفاته يحمل على وجه الحقيقة. وهو مايمثل رؤية ابن تيمية. وهو يغلق الباب بالتالى أمام أى محاولة لتأويل نصوص الأسماء والصفات بما ينفى التشبيه والتجسيم. تلك المحاولات التى قام بها الخلف وطعن فيها ابن تيمية على ما ذكرنا..

من هنا فإنه يقول: والبارى سبحانه وتعالى فوق العالم فوقية حقيقية ليست فوقية الرتبة..[١٨]

ويقول بثبوت حديث: إن الله خلق آدم على صورة الرحمن.[١٩]

وحول حديث النزول فهم ابن تيمية هذا الحديث فهماً ظاهرياً يستلزم التجسيم وأنكر أن يكون فى القرآن أو السنة لفظ نزول ليس فيه معنى النزول المعروف. ولأنهما جاءا بلغة العرب. ولاتعرف العرب نزولاً إلا بهذا المعنى. ولو أريد غير هذا المعنى لكان خطاباً بغير لغتها. واستعمالا للفظ المعروف له معنى فى معنى آخر. وهذا لايجوز.[٢٠]

وكذلك قال ابن تيمية بالجهة والتحيز على ماذكرنا على أساس النصوص القرآنية التى تشير إلى ذلك فى ظاهرها مثل قوله تعالى: «وهو القاهر فوق عباده».. وقوله: «يخافون ربهم من فوقهم».. وقوله: «إليه يصعد الكلم الطيب». وقول الرسول (ﷺ) للجارية.. أين الله..؟

فقالت فى السماء أو أشارت إلى السماء وغير ذلك من النصوص.[٢١]

*** ابن تيمية يقول بقيام الحوادث بالله تعالى..**

يقول ابن تيمية: فإن قلتم لنا فقد قلتم بقيام الحوادث بالرب قلنا لكم نعم. وهذا قولنا الذى دل عليه الشرع والعقل.. فإذا قالوا لنا: فهذا يلزم منه أن تكون الحوادث قامت به. قلنا: ومن أنكر هذا قبلكم من السلف والأئمة..؟ ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك مع صريح العقل. وهو قول لازم لجميع الطوائف. ومن أنكره فلم يعرف لوازمه وملزوماته[٢٢]

ويقول: ان الرب تقوم به الأفعال فيتصف به طرذاً لماذكر فى الكلام وإن الفاعل من قام به الفعل..[٢٣]

يقول الشيخ هراس: وجوز قيام الحوادث بذاته تعالى الكراميه. وفرقوا بين الحادث والمحدث. فالأول عندهم: هو ما يقوم بذاته تعالى من الأمور المتعلقة بمشيئته تعالى واختياره. وأما الثانى: فهو ما يخلقه الله عز وجل منفصلا عنه. وقد تبعهم ابن تيمية فى تجويز قيام الحوادث بالذات وغلا فى مناصرة هذا المذهب والدفاع عنه ضد مخالفيه من المتكلمين والفلاسفة وادعى أنه هو مذهب السلف مستدلا بقول الإمام أحمد وغيره: لم يزل الله متكلما إذاشاء فإنه إذا كان كلامه تعالى وهو صفة قائمة به، متعلقا بمشيئته واختياره. دل ذلك على جواز قيام الحوادث بذاته لأن ما يتعلق بالمشيئة والاختيار لا يكون إلا حادثا.[٢٤]

ويقول هراس: فإن ابن تيمية يرى أن الله يتكلم بحرف وبصوت تكلم بالقرآن العربى بألفاظه

ومعانيه بصوت نفسه كما تكلم بالتوراة العبرية كذلك. ونادى موسى بصوت سمعه وينادى عباده يوم القيامة بصوت كذلك.. فهلا يرى ابن تيمية أن ذلك يستلزم حركة في ذات البارى وأن الحركة عرض لا يقوم إلا بجسم فيلزم على ذلك كون البارى جسما(٢٥)

ويروى ابن تيمية فى كتاب له: قال الخلال إن محمد بن على بن بحر أن يعقوب بن بحتان حدثهم أن أبا عبد الله سئل عمن زعم أن الله لم يتكلم بصوت. قال بلى تكلم بصوت. وهذه الأحاديث كما جاءت نرويها لكل حديث وجه يريدون أن يموهوا على الناس بأن من زعم أن الله لم يكلم موسى فهو كافر..(٢٦)

ويقول ابن تيمية: قلنا قد أعظمتم على الله الفرية حين زعمتم أن الله لا يتكلم فشبهتموه بالأصنام التى تعبد من دون الله. لأن الأصنام لا تكلم ولا تتحرك ولا تزول من مكان. فقد حكى عنهم منكرا عليهم نفيهم عن الله تعالى أن يتكلم أو يتحرك أو يزول من مكان إلى مكان..(٢٧)

ويقول : لأن الحى القيوم يفعل ما يشاء. ويتحرك إذا يشاء. ويهبط ويرتفع إذا يشاء.

ويقبض ويبسط. ويقوم ويجلس إذا شاء لأن ذلك أمارة ما بين الحى والميت. لأن كل متحرك لا محالة حى. وكل ميت غير متحرك لا محالة.(٢٨)

* **ابن تيمية يحرم زيارة قبر الرسول..**

يقول ابن تيمية إن شد الرحال لزيارة النبى معصية. وأن من ناداه مستغيثا به (ﷺ) بعد وفاته أشرك. فتارة يجعله شركا أصغر وأخرى جعله شركا أكبر وقد تصدى له علماء عصره وسفهوا رأيه وعقدوا له مجلس مناظرة تراجع فيها عن قوله هذا..(٢٩)

وعد أحد الفقهاء هذه المقالة عن ابن تيمية أنها من أبشع المسائل المنقولة عنه. كما هاجمه أحد تلامذته..(٣٠)

وقد أبرز ابن تيمية هذه المسألة بوضوح وما يتعلق بقضية التوسل فى كتاب له تحت عنوان (قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة)..

وأشار فى كتابه المذكور وغيره من أقواله وفتاواه إلى تكفير المسلمين على أساس أن توحيد الربوبية لا يستلزم التوحيد فى العبادة ولا يكفى فى النجاة..(٣١)

وكان الدليل الذى استند إليه ابن تيمية فى تحريم زيارة النبى هو الحديث الذى يقول: «لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد، المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى» وبنى موقفه على أساس

ظاهر النص كما هى طريقته فى التعامل مع النصوص.[٣٢]

ونقل صاحب تفسير «النهر الماد» المعاصر لابن تيمية أنه قرأ كتابا لابن تيمية يقول فيه: إن الله يجلس على الكرسى وقد أخلى منه مكانا يقعد فيه معه رسول الله (ﷺ).. وذكر نفس الكلام تلميذه ابن القيم حيث نقل على لسان القاضى قوله: صنف المروزى كتابا فى فضيلة النبى وذكر فيه إقعاده على العرش..[٣٣]

هوامش

١ـ انظر الدرة المضيئة فى الرد على ابن تيمية للسبكى الكبير ت ٧٥٦هـ. وانظر المواعظ والاعتبار ببقاء الجنة والنار. والتحقيق فى مسائل التعليق. وشفاء السقام فى زيارة خير الأنام. وانظر لنا محاكمة ابن تيمية. وفقه الهزيمة فصل الرجال.

٢ـ ولم لا وهو قاد مسيرة الوهابية وآل سعود ولا يزال يقودها ويقود الحركات الإسلامية السلفية فى كل مكان.

٣ـ المواعظ والاعتبار..

٤ـ انظر كتاب حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح جـ٢. وانظر رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار. للصنعانى. وهى رد على ابن تيمية وتلميذه ابن القيم. وقد رد واحد من الوهابيين السعوديين المعاصرين على كشف الأستار بكتاب أسماه: القول المختار لبيان فناء النار. ورد عليه آخر من مدرسي جامعة أم القرى بمكة برسالة أسماها: كشف الأستار لإبطال ادعاء فناء النار. حاول فيها أن ينفى عن ابن تيمية القول بفناء النار. ويذكر أن الشيخ الألبانى هو الذى قام بتحقيق كتاب الصنعانى المذكور وخطأ ابن تيمية وابن القيم فى قولهما..

٥ـ الفتاوى الكبرى مجلد رقم ٥ ص ١٨/ ٢٠..

٦ـ الرسالة التدمرية..

٧ـ المرجع السابق..

٨ـ انظر بيان تلبيس الجهمية جـ ١/٥٦٨..

٩ـ انظر موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول. هامش منهاج السنة جـ ٢/ ٢٩.

قال ابن تيمية: فهذا كله وما أشبهه شواهد ودلائل على الحد ومن لم يعترف به فقد كفر بتنزيل الله وجحد آيات الله.. وقد رد الذهبى تلميذ ابن تيمية هذا القول فى كتابه سير أعلام النبلاء جـ ١٦/ ٩٧ بقوله: وتعالى الله أن يحد أو يوصف إلا بما وصف به نفسه، أو علمه رسله بالمعنى الذى أراد بلا مثل ولا كيف (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير..)

١٠ـ منهاج السنة حـ ١ ص ٢٤٢

١١ـ الفتاوى حـ ٥ ص ١٩٢..

١٢ـ موافقة صحيح المنقول هامش الجزء الأول من منهاج السنة ص ١٤٨. وقال أيضا:

والنفاة متفقون على أن ظواهر النصوص تجسيم عندهم. وليس عندهم بالنفى نص فهم معترفون بأن قولهم هو البدعة. وقول منازعيهم أقرب إلى السنة.. وهذا كلام واضح فى نقد الذين ينفون التجسيم لأنه ليس عندهم بالنفى نص فمن ثم قولهم بدعة فى نظر ابن تيمية..

١٣ـ الفتاوى حـ ٩٤/١٩٣/٥..

١٤ـ المرجع السابق ص ١٩٥...

١٥ـ المرجع السابق..

١٦ـ انظر كتاب الإيمان. ص ١٠٩ وما بعدها. وقد وضع ابن القيم فصلا فى كتابه الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة تحت عنوان فصل فى كسر الطاغوت الثالث الذى وضعه الجهمية لتعطيل حقائق الأسماء والصفات وهو طاغوت المجاز. ويلاحظ أن اسم كتاب ابن القيم هذا هو اسم مجازى. تأمل..

١٧ـ المرجع السابق ص ٦٩..

١٨ـ انظر الرد على أساس التقديس حـ١/١١١.

١٩ـ انظر المرجع السابق. وقد ضعف الألبانى هذا الحديث. ورد عليه أحد الوهابيين بكتاب أسماه: عقيدة أهل الإيمان فى خلق آدم على صورة الرحمن. وقام بتقريظه عبد العزيز بن باز. تأمل. كيف يعقل أن آدم وذريته خلقوا على صورة الله سبحانه. أليس هذا هو التشبيه بعينه..

٢٠ـ انظرالإيمان لابن تيمية..

٢١ـ منهاج السنة حـ١ص٢٢٤..

٢٢ـ منهاج السنة حـ١/٢٢٤..

٢٣ـ الفتاوى حـ٥ ص١٠٤/١٠٥..

٢٤ـ ابن تيمية السلفى ص ١٣٣/١٣٤..

٢٥ ـ المرجع السابق ..

٢٦ ـ شرح العقيدة الاصفهانية ص٢٨..

٢٧ ـ الفتاوى حـ ٥ص ١٠٧ :١٠٩..

٢٨ ـ شرح العقيدة الاصفهانية ص ٣٤..

٢٩ ـ انظر قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة . وانظر رد الذهبى عليه. سير أعلام النبلاء جـ٤/٤٨٤. وانظر الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة حـ١ ص١٥٤ : ١٧٠. ترجمة رقم ٤٠٩. وفيها تفاصيل الجلسة التى تراجع فيها ابن تيمية عن قوله..

٣٠ ـ قال بذلك ابن حجر : والحاصل أنهم ألزموا ابن تيمية بتحريم شد الرحال إلى زيارة قبر سيدنا رسول الله (ﷺ) وأنكرنا صورة ذلك. وفى شرح ذلك من الطرفين طول . وهى من أبشع المسائل المنقولة عن ابن تيمية . انظر فتح البارى حـ ٣/ ٦٦ .. وسير أعلام النبلاء حـ ٤/ ٤٨٤..

٣١ ـ قاعدة جليلة فى التوسل و الوسيلة .. وانظر رد ابن حجر الهيتمى عليه فى كتابة : الجوهر المنظم فى زيارة القبر الشريف النبوى المكرم ..

٣٢ ـ الحديث رواه البخارى. انظر شرحه فى فتح البارى حـ ٦٦/٣. وذكر أن الفقهاء يخالفون ابن تيمية فى فهمه الحديث على هذا النحو ويعتبرونه فهماً شاذاً.

٣٣ ـ النهر الماد ٣٥٤/١ للحافظ أبو حيان : وذكر ذلك ابن القيم فى كتابه بدائع الفوائد حـ ٣٩/٤. وقد نسب ابن القيم هذا القول إلى ابن جرير الطبرى ومجاهد وأبى الحسن الدارقطنى. ورد هذا الكلام الألبانى فى كتابه « مختصر العلو » ..

ـ فتوى الشيخ سليم البشرى:

استفز بروز التيار الوهابى فى مصر فى أوائل هذا القرن الكثير من العلماء بكثير من أطروحاته التى تشير إلى التجسيم وإثبات الجهة ونسبة ذلك إلى ابن تيمية مما دفع بأحد العلماء إلى توجيه سؤال إلى الشيخ البشرى يسأله رأيه حول هذا الأمر الذى يدعى نسبته إلى السلف..

يقول الشيخ البشرى: قد أرسلتم بتاريخ ٢٢محرم سنة ١٣٢٥هـ مكتوباً مصحوباً بسؤال عن حكم من يعتقد ثبوت الجهة له تعالى. فحررنا لكم الجواب الآتى وفيه الكفاية لمن اتبع الحق وأنصف. جزاكم الله عن المسلمين خيراً: اعلم أيدك الله بتوفيقه وسلك بنا وبك سواء طريقه. أن مذهب الفرقة الناجية وما عليه أجمع السنيون أن الله تعالى منزه عن مشابهة الحوادث مخالف لها فى جميع سمات الحدوث ومن ذلك تنزهه عن الجهة والمكان كمادلت على ذلك البراهين القطعية. فإن كونه فى جهة يستلزم قدم الجهة أو المكان وهما من العالم وهو ماسوى الله تعالى وقد قام البرهان القاطع على حدوث كل ما سوى الله بإجماع من أثبت الجهة ومن نفاها. ولأن المتمكن يستحيل وجود ذاته بدون المكان مع أن المكان يمكن وجوده بدون المتمكن لجواز الخلاء، فيلزم إمكان الواجب ووجوب الممكن وكلاهما باطل لأنه لو تحيز لكان جوهراً لاستحالة كونه عرضا. ولو كان جوهراً فإما أن ينقسم وإما أن لا ينقسم وكلاهما باطل. فإن غير المنقسم هو الجزء الذى لايتجزأ وهو أحقر الأشياء. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. والمنقسم جسم وهو مركب والتركيب ينافى الوجوب الذاتى. فيكون المركب ممكنا يحتاج إلى علة مؤثرة. وقد ثبت بالبرهان القاطع أنه تعالى واجب الوجود لذاته غنى عن كل ما سواه مفتقر إليه كل ما عداه. سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.. هذا وقد خذل الله أقواما أغواهم الشيطان وأذلهم فاتبعوا أهواءهم وتمسكوا بما لايجدى فاعتقدوا ثبوت الجهة لله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. واتفقوا على أنها جهة فوق. إلاأنهم افترقوا فمنهم من اعتقد أنه جسم مماس للسطح الأعلى من العرش وبه قال الكرامية واليهود. وهؤلاء لانزاع فى كفرهم. ومنهم من أثبت الجهة مع التنزيه. وأنه كونه فيها ليس ككون الأجسام. وهؤلاء ضلال فساق فى عقيدتهم وإطلاقهم على الله مالم يأذن به الشارع. ولامرية أن فاسق العقيدة أقبح وأشنع من فاسق الجارحة بكثير سيما من كان داعية أو مقتدى به. وممن نسب إليه القول بالجهة من المتأخرين ابن تيمية الحرانى الحنبلى الدمشقى من علماء القرن الثامن فى ضمن أمور نسبت إليه خالف الإجماع فيها عملاً برأيه وشنع عليه معاصروه بل البعض منهم كفروه. ولقى من الذل والهوان مالقى وقد انتدب بعض تلامذته للذب عنه وتبرئته مما نسب إليه وساق له عبارات أوضح معناها وأبان غلط الناس فى فهم مراده.. واستشهد بعبارات له أخرى صريحة فى دفع التهمة عنه وأنه لم يخرج عما عليه الإجماع. وذلك هو المظنون بالرجل لجلالة

قدره ورسوخ قدمه. وما تمسك به المخالفون القائلون بالجهة أمور واهية وهمية لاتصلح أدلة عقلية ولا نقلية قد أبطلها العلماء بما لا مزيد عليه. وما تمسكوا به ظواهر آيات واحاديث موهمة كقوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى) وقوله: (إليه يصعد الكلم الطيب) وقوله: (تعرج الملائكة والروح إليه) وقوله (أأمنتم من فى السماء إن يخسف بكم الأرض) وقوله (وهو القاهر فوق عباده) وكحديث: «أنه تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة». وفى رواية: فى كل ليلة جمعة فيقول: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ وكقوله للجارية الخرساء: أين الله فأشارت إلى السماء. حيث سألت بأين التى للمكان ولم ينكر عليها الإشارة إلى السماء بل قال إنها مؤمنة. ومثل هذه يجاب عنها بأنها ظواهر ظنية لاتعارض الأدلة العقلية اليقينية الدالة على انتفاء المكان والجهة فيجب تأويلها وحملها على محامل صحيحة لاتأباها الدلائل والنصوص الشرعية إما تأويلا إجمالياً بلا تعيين للمراد منها كما هو مذهب السلف وإماتأويلا تفصيلياً بتعيين محاملها وما يرادمنها كما هو رأى الخلف. وكقولهم إن الاستواء بمعنى الاستيلاء كما فى قول القائل:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق.

وصعود الكلم الطيب إليه قبوله ورضاه به لأن الكلم عرض يستحيل صعوده. وقوله (من فى السماء) أى: أمره وسلطانه أو ملك من ملائكته موكل بالعذاب وعروج الملائكة والروح إليه صعودهم إلى مكان يتقرب إليه فيه وقوله (فوق عباده) أى بالقدرة والغلبة فإن كل من قهر غيره وغلبه فهو فوقه أى عال عليه بالقهر والغلبة كما يقال أمر فلان فوق أمر فلان أى أنه أقدر منه وأغلب ونزوله إلى السماء محمول على لطفه ورحمته وعدم المعاملة بما يستدعيه علو رتبته وعظم شأنه على سبيل التمثيل. وخص الليل لأنه مظنة الخلوة والخضوع وحضور القلب. وسؤاله للجارية (بأين) استكشاف لما يظن بها اعتقاده من المعبود كما يعتقد الوثنيون، فلما أشارت إلى السماء فهم أنها إرادة خالق السماء فاستبان أنها ليست وثنية وحكم بإيمانها وقد بسط العلماء فى مطولاتهم تأويل كل ما ورد من أمثال ذلك عملا بالقطعى وحملاً للظن عليه فجزاهم الله عن الدين وأهله خير الجزاء. ومن العجيب أن يدع مسلم قول جماعة المسلمين وأئمتهم ويتشدق بترهات المبتدعين وضلالتهم أما سمع قول الله تعالى (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) فليتب إلى الله تعالى من تلطخ بشىء من هذه القاذورات ولا يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر. ولا يحملنه العناد على التمادى والإصرار عليه فإن الرجوع إلى الصواب عين الصواب والتمادى على الباطل يفضى إلى أشد العذاب. (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً)*

* نص الفتوي من كتاب فرقان القرآن ط ـ القاهرة بدون ناشر

التوحيد
عند الشيعة

ـ التوحيد عند الإمام علي (ع):

يمثل طرح الإمام على حول قضية التوحيد الأصل الذى تعتمد عليه الشيعة فى تحديد رؤيتها تجاه هذه القضية..

وطرح الإمام دقيق فى مدلولاته مطابق فى كل جوانبه القرآن والأحاديث المروية عن طريق آل البيت..

ويعد الإمام على أول من خاض فى المعارف الإلهية من أمة محمد وأول من أوضح معالمها والمتأمل فى نهج البلاغة يكتشف أن هذا الكتاب يحوى طرحاً فلسفياً بالنسبة للإلهيات لا يفوقه أى طرح آخر..

وقد أخذت منه المدارس الفلسفية الإسلامية وارتوت من معينه وأسست عليه تصوراتها وأطروحاتها ..

ولا يزال أصحاب العقول يقفون فى انبهار أمام هذا الكتاب ولسان حالهم يقول أن مثل هذا الكتاب لايمكن أن يكون منسوباً إلا للإمام على..

وأن ما يحويه هذا الكتاب بين دفتيه لا يمكن أن يكون إلا نتاج مدرسة النبوة.. والإمام فى طرحه أعطى مساحة للعقل وألزمه بالنص فى آن واحد وهذا من وجوه الإعجاز البلاغى فى طرحه..

فعندما يتحدث الإمام عن استحالة رؤية الله عقلاً يقول: وامتنع على عين البصير ثم يقول ولا تحيط به الأبصار.. ولا تراه النواظر.(١)

وكلامه هذا يطابق العقل كما يطابق النص الواضح من قوله تعالى: (لا تدركه الأبصار) وقوله (لن ترانى).

وكل ما خلق الله للإنسان من أدوات إنما تؤكد الاستحالة العقلية. فإن هذه الأدوات المادية وهى الحواس لا تدرك إلا المادة من جنسها..

والإمام بقوله هذا قد أرسى قاعدة عدم الرؤية إلا أن هذا لايعنى إطلاقاً عدم وجوده سبحانه: فهو المعروف من غير رؤية وأحق وأبين مما ترى العيون..[٢]

ويؤكد الإمام وحدانية الله وتفرده سبحانه، فى وصيته للإمام الحسن (ع) بقوله: واعلم يابنى أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت أفعاله وصفاته ولكنه إله واحد كما وصف نفسه لايضاده فى ملكه أحد ولا يزول أبداً ولم يزل..[٣]

وبأدق الألفاظ وأكمل العبارات وأوجز الكلمات يطرح الإمام قضية توحيد صفات الله بقوله: فمن وصفه فقد حده ومن حده فقد عده..

فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه..

فلسنا نعلم من كنه عظمتك إلا أنا نعلم أنك حى قيوم لا تأخذك سنة ولانوم.. لم ينته إليك نظر ولم يدركك بصر..[٤]

وقد سئل الإمام: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين..؟

فقال: أفأعبد مالا أرى..؟

فقال السائل: وكيف تراه..؟

قال: لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان.. قريب من الأشياء غير ملامس، بعيد منها غير مباين، متكلم بلا روية مريد لابهمة. صانع لا بجارحة. لطيف لا يوصف بالخفاء كبير لا يوصف بالجفاء بصير لا يوصف بالحاسة. رحيم لا يوصف بالرقة تعنو الوجوه لعظمته. وتجب القلوب من مخافته..[٥]

إن الإمام يؤكد الصفات الثبوتية لله سبحانه وتعالى مثل الإرادة والبصر ويؤكد تباينه تعالى عن الأشياء وعدم تشبيهه بالمخلوقات وصفة الإرادة والبصر من الصفات الذاتية لله والتى هى عين ذاته ولا يجوز فصلها عنه سبحانه، فهى أساس كمال الذات ونفيها يعنى نقص الذات أما اللطف والصنع والرحمة فهى من صفات الأفعال الحادثة على ذاته مثل الرزق.. ولا يجوز القول بأنها عين الذات لأن ذلك يستلزم حدوث الذات..

وقول الإمام هذا إنما يلخص عقيدة الشيعة فى الأسماء والصفات والتى تقول بأن صفات الله هى

عين ذاته وتعتبر صفات الذات أصلا وصفات الأفعال فرعا مشتقا من هذا الأصل فالصنع والرزق فرع مشتق من الأصل وهو القدرة.. والسمع والبصر فرع مشتق من الأصل وهو العلم..

وقول الإمام: قريب من الأشياء غير ملامس بعيد عنها غير مباين. صانع لا بجارحة لطيف لا يوصف.. بصير لا يوصف.. رحيم لا يوصف.. إنما يؤكد عقيدة الشيعة التي ترفض التشبيه والتجسيم والتي دفعتها إلى رفض الأحاديث المنسوبة للرسول (ﷺ) والتي تشير في ظاهرها إلى التشبيه والتجسيم مثل حديث نزول الله وحديث رؤية الله وحديث ضحك الله وفرحه ووضع قدمه في النار وغيرها..

ثم يقول الإمام(ع): كل شيء خاشع له. كل شيء قائم به. غني كل فقير وعز كل ذليل وقوة كل ضعيف ومفزع كل ملهوف. من تكلم سمع نطقه ومن سكت علم سره ومن عاش فعليه رزقه ومن مات فإلية منقلبه، لم ترك العيون فتخبر عنك بل كنت قبل الواصفين من خلقك. لم تخلق الخلق لوحشة ولا استعملتهم لمنفعة ولا يسبقك من طلبت ولا يفلتك من أخذت ولا ينقص سلطانك من عصاك ولا يزيد في ملكك من أطاعك. ولا يرد أمرك من سخط قضاءك ولا يستغني عنك من تولى عن أمرك. كل سر عندك علانية. وكل غيب عندك شهادة. أنت الأبد فلا أمدلك وأنت المنتهى فلا محيص عنك وأنت الموعد فلا منجى منك إلا إليك. بيدك ناصية كل دابة وإليك مصير كل نسمة سبحانك ما أعظم شأنك سبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك وما أصغر عظيمة في جانب قدرتك وما أهون ما نرى من ملكوتك وما أحقر ذلك فيما غاب عنا من سلطانك وما أسبغ نعمك في الدنيا وما أصغرها في نعم الآخرة.. (٦)

ولأن الظلم أحد مداخل الشرك وسلم الوصول إلى الشك في حكمة الله وقضائه وقدره ركز الإمام عليه وحدد معالمه كاشفاً حقيقة العدل ودوره في توطيد الاعتقاد الصحيح وتحقيق الاستقرار الإيماني..

يقول الإمام عن الله سبحانه وتعالى: وارتفع عن ظلم عباده وقام بالقسط في خلقه وعدل عليهم في حكمه.. (٧)

يقول الدكتور اليحفوفي: ومن الضروري جداً أن يكون الله عادلاً والأدلة العقلية على هذه الضرورة كثيرة نذكر منها دليلا واحدا مفاده أن الباعث للظلم - الذي هو ضد العدل - أحد أشياء. إما الجهل بقبح الظلم أو الحاجة إليه لتثبيت ملك أو سلطان أو العجز عن تفاديه وكل هذه الأمور ممتنعة عليه تعالى. لأن كونه عالماً يقتضي علمه بقبح القبيح. وكونه غنيا مطلقا يقتضي عدم حاجته للغير وكونه القادر على كل شيء يقتضي قدرته على تفادي الظلم وإذا كان الظلم مستحيلاً عليه تعالى فإن العدل يكون ضرورياً.. (٨)

من هنا اعتبر الشيعة العدل أحد مشتقات التوحيد وأصلا من أصول العقيدة مما ميزهم عن أهل السنة الذين جوزوا على الله سبحانه ما ينافى العدل..(٩)

ويحدد الإمام المفهوم الحق للقضاء والقدر مبدداً ذلك الفهم الخاطىء الذى طرأ على ذهن أحد أتباعه فى مسيرة إلى أهل الشام: ويحك ظننت قضاء لازماً وقدراً حاتما ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد. إن الله سبحانه أمر عباده تخييراً ونهاهم تحذيراً..(١٠)

والمتواتر عن أهل البيت الذى تلتزم به الشيعة الإمامية هو لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين..

وكما يقول الإمام أن الله سبحانه أمر عباده تخييراً ونهاهم تحذيراً.. ولم يعص مغلوباً ولم يطع مكرهاً..(١١)

هوامش

١ـ نهج البلاغة جـ١

٢ـ المرجع السابق جـ١/١٥٨. جـ٢/٢٨٠..

٣ـ المرجع السابق جـ٢/٤٤..

٤ـ المرجع السابق جـ١/٢٩٠..

٥ـ المرجع السابق جـ٢/٥٣٤..

٦ـ المرجع السابق جـ٢/٢٢٧..

٧ـ المرجع السابق جـ١/٣٥..

٨ـ بحوث فى نهج البلاغة جـ١/ الفلسفة الإلهية ط بيروت..

٩ـ يرفض أهل السنة وعلى رأسهم الأشعرى الحسن والقبح العقليين ويعتبرون الحسن ما حسنه الشرع والقبح ما قبحه الشرع وقد انبنى على هذه القاعدة جواز وقوع العبد فى الشر والقبيح بتوجيه من الله تعالى باعتبار أن الخالق لا يخلق شيئاً إلا وله عاقبة حميدة وان لم نطلع عليها فجزمنا بأن ما نستقبحه من الأفعال قد يكون له فيها حكم ومصالح كما فى خلق الأجسام الخبيثة الضارة بخلاف الكسب فإنه قد يفعل الحسن وقد يفعل القبيح على حد قول التفتازانى فى شرح العقائد النسفية وتذهب الأشاعرة إلى أن كل المعاصى الواقعة فى الوجود من الشرك والظلم والجور والعدوان وأنواع الشرور تتم برضا الله

انظر مقالات الإسلاميين والإبانة فى أصول الديانة وكتب العقائد عند أهل السنة..

١٠ ـ الكافى للكلينى..

نهج البلاغة جـ ٢/ ١٥٣...

*** التوحيد عند الشيعة**

- الأسماء والصفات:

يعتقد الشيعة أن الله تعالى متصف بجميع صفات الكمال منزه عن جميع صفات النقص وعن كل ما يقتضى الحدوث..

وأن صفاته الثبوتية ثمان:

قادر مختار..

عالم..

حى..

مريد كاره..

مدرك..

قديم أزلى باق أبدى..

متكلم..

صادق..

أما الخالق والرازق والمحيى والمميت وأمثالهما فهى من صفات الأفعال..

وصفاته السلبية سبع:

ليس بمركب..

ليس بجسم..

ليس محلاً للحوادث..

ليس بمرئى لا فى الدنيا ولا فى الآخرة..

ليس له شريك..

ليس بمحتاج..

نفى المعانى والصفات عنه..

ومعنى حياته أنه ليس مثل الجمادات لا أنه ذو روح.

ومعنى مدرك أنه يبصر لا بعين ويسمع لا بأذن بل يدرك جميع المبصرات والمسموعات..

ومعنى متكلم أنه ينطق لا بلسان بل يوجد الكلام فى بعض مخلوقاته كالشجرة حين كلم موسى وكجبريل حين أنزله بالقرآن..

ومعنى أنه ليس محلا للحوادث أى للأمور والصفات الحادثة..

ومعنى نفى المعانى والصفات عنه أن صفاته ليست مغايرة لذاته بل هى عين ذاته لئلا يلزم تعدد القدماء.

ويعتقدون أن الله تعالى منزه عن المكان والجهة والأعضاء والجوارح والشم والذوق واللون وكل لوازم الجسم وعن اللذة والألم..

ويعتقدون أن كل ما ورد من النقل مما ظاهره خلاف ذلك مثل قوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى - إلى ربها ناظرة - وجاء ربك - يدالله فوق أيديهم - ومكروا ومكر الله - ولوشاء ربك لآمن من فى الارض - ولوشاء الله ما اقتتلوا.. وغير ذلك. يجب تأويله ورده إلى ما حكم به العقل أو يكال علمه إليه تعالى)..[١]

إن الشيعة ينفون التشبيه والتجسيم والرؤية ونسبة القبح إلى الله كما ينفون الجهة والتكلم..

يقول الإمام على عن الرؤية: لم تره العيون بمشاهدة الأبصار. ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان..[٢]

وقال الصادق: «لاجسم. ولاصوره. ولايحس ولايجس. ولايدرك بالحواس الخمس. لاتدركه الأوهام. ولاتنقصه الدهور ولاتغيره الازمان.. إن الله تعالى لايشبه شيئاً. ولايشبهه شىء. وكل ما وقع فى الوهم فهو بخلافه»..[٣]

وقال: هو سميع بصير. سميع بغير جارحة وبصير بغير آلة.

بل يسمع بنفسه ويبصر بنفسه..[٤]

وقال الرضا: كلام الخالق لمخلوق ليس ككلام المخلوق لمخلوق. ولا يلفظ بشق فم ولسان..[٥]

وقال الإمام على حين سمع رجلا يقول والذى احتجب بسبع طباق. فعلاه بالدرة. ثم قال ياويلك، إن الله أجل من أن يحتجب عن شىء سبحان الذى لا يحويه مكان. ولايخفى عليه شىء فى الأرض ولافى السماء..[٦]

وقال الصادق: إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بزمان. ولامكان. ولاحركة. ولا انتقال. ولاسكون. بل هو خالق الزمان. والمكان. والحركة. والسكون والانتقال..(٧)

وقال الكاظم: إن الله تبارك وتعالى أجل وأعظم من أن يحد بيد. أو رجل. أو حركة أوسكون. أويوصف بطول أو قصر. أو تبلغه الأوهام.أو تحيط بصفته العقول..(٨)

وهذه الأقوال الواردة على لسان الأئمة إنما تحدد موقف الشيعة من النصوص التى تتحدث عن أسماء وصفات الله سبحانه. وهو موقف على ما هو واضح يختلف مع موقف أهل السنة اختلافاً جذرياً..

يقول الشيخ محمد جواد مغنية: وأما قوله تعالى: «إلى ربها ناظرة» فالمراد به النظر بالعقل والبصيرة لا بالعين والبصر.. إن الله سميع بصير. ولكن لابآلة ولاجارحة. ومعنى سمعه وبصره أنه محيط بما يصلح أن يسمع ويبصر.. وأن التكلم من صفات الله الإضافية كالخلق والرزق. لا من الصفات الذاتية القديمة كالعلم والقدرة والحياة.. والإمامية ينكرون التجسيم أشد الإنكار ويؤولون اليد فى الآيات بالقدرة والعرش بالاستيلاء والوجه بالذات ومجىء الله بمجىء أمره..(٩)

إن صفاته عين ذاته فالله قادر بالذات لابقدرة زائدة. وعالم بالذات لابعلم زائد. وحى بالذات لابغيرها. وعلى هذا قياس سائر الصفات الذاتية.. ولو افترض أن صفاته غير ذاته فإما أن تكون قديمة. وإما حادثة. وعلى الأول يلزم تعدد القديم. وعلى الثانى يلزم أن يكون الله قد وجد فى الأزل بدون علم ولاحياة ولاقدرة. ولاشىء أبداً. لأن المفروض أن هذه الصفات قد حدثت بعده. وكلاهما محال. فتعين أن صفاته عين ذاته ونفس حقيقته ولاشىء زائد عليها وقائم بها..(١٠)

- العدل:

جعل الشيعة العدل أصلاً من أصول الاعتقاد وإن كان هناك خلاف على جعل العدل أصلاً مستقلاً وإدخاله ضمنا فى التوحيد لتعلقه به..

والعدل يدخل فيه بحث القضايا المتعلقة بالجبر والاختيار ونسبة الظلم إلى الله سبحانه والقضاء والقدر والحسن والقبح..

يقول السيد الشيرازى إن عدل الله واسع وليس بمعناه الضيق الذى يتبادر إلى الأذهان. هو عادل فى بريته فلا يحكم جوراً. عادل فى قضائه فلايغنى ولا يفقر ولايشفى ولايمرض ولايميت ولايحيى

ولايعز ولايذل ولايعطى ولايمنع ولا.. إلا بالعدل.(١١)

وسئل الإمام على عن العدل والتوحيد فقال: التوحيد أن لا تتوهم. والعدل أن لاتتهم..(١٢)

وسئل الإمام الصادق (ع) عن العدل فقال: أما العدل فأن لاتنسب إلى خالقك ما لامك عليه. ولأمره - أى العبد - بشيء إلا وقد علم أنه يستطيع فعله. لأنه ليس من صفته العبث والجور والظلم. وتكليف العباد مالا يطيقون..(١٣)

وأفعال العبد نوعان: نوع تتعلق به إرادة واختيار كالذهاب والإياب والكتابة والقراءة. ونوع لا إرادة للعبد فيه ولا اختيار كالتنفس والنمو والحركة الدموية. والإنسان مخير غير مسير فى النوع الأول. ومسير غير مخير فى النوع الثانى.(١٤)

وأفعال العبد الحسنة يأمر بها الله والقبيحة ينهى عنها وهو يعلمها. والعبد باختياره إن شاء فعل وإن شاء ترك..(١٥)

والأفعال منها ما هو حسن بحكم العقل لاباعتبار حكم الشرع كالصدق النافع وما إليه ومنها ما هو قبيح كذلك كالكذب الضار. ومنها ما لايستقل العقل بالحكم عليه سلباً وإيجاباً فنحتاج حينئذ إلى الشرع كوجوب الوفاء بعقد البيع وأكل لحم الميتة..(١٦)

والشيعة لكونها تعتقد أن الله عادل حكيم لايفعل قبيحاً ولايخل بواجب تقول أنه لولم يكن كذلك لنسب إليه النقص سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً. وأيضاً لوجاز عليه فعل القبيح لجاز عليه الكذب فيرتفع الوثوق بوعده ووعيده وترتفع الأحكام الشرعية وينقض الغرض المقصود من بعث الأنبياء والرسل.(١٧)

وحول القضاء والقدر يقول الإمام على: إن الله عز وجل كلف تخييرا. ونهى تحذيرا. وأعطى على القليل كثيراً. ولم يعص مغلوباً. ولم يطع مكرها. ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً. ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار.

- توحيد العبادة:

يقول الإمام الرضا فى دعائه: اللهم إنى برىء من الحول والقوة ولا حول ولاقوة إلا بك.

اللهم إنى أعوذبك وأبرؤ إليك من الذين ادعوا لنا ماليس لنا بحق..

اللهم إنى أبرؤ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نقله فى أنفسنا..

اللهم لك الخلق ومنك الرزق وإياك نعبد وإياك نستعين..

اللهم أنت خالقنا وخالق آبائنا الأولين وابائنا الآخرين..

اللهم لاتليق الربوبية إلا بك. ولاتصلح الإلهية إلا لك فالعن النصارى الذين صغروا عظمتك والعن المضاهئين لقولهم من بريتك..

اللهم إنا عبيدك وأبناء عبيدك لانملك لأنفسنا نفعاً ولاضراً ولاموتاً ولاحياة ولانشوراً..

اللهم من زعم أنا أرباب فنحن منه براء.. ومن زعم أن إلينا الخلق وعلينا أو إلينا الرزق فنحن براء منه كبراءة عيسى ابن مريم - عليه السلام - من النصارى..

اللهم إنا لم ندعهم إلى ما يزعمون فلاتؤاخذنا بما يقولون.. واغفر لنا ما يدعون ولا تدع منهم على الأرض ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً..(١٩)

إن هذا الدعاء الوارد على لسان إمام من أئمة الشيعة إنما يحدد صورة العبودية لله الخالصة وينفى كل صور الشرك التى تعلق بها البعض ونسبها إلى آل البيت. وهى الصورة التى يعرضها الدعاء إنما تلخص مفهوم العبادة عند الشيعة غير أن الشيعة لا تربط بين العبادة وبين مسألة التوسل وتعتقد أن التوسل أمر لا يتناقض مع العبودية لله.. وأن تعظيم الأنبياء وأولياء الله بينه وبين العبادة بون شاسع وفرق جد كبير.(٢٠)

ولا خلاف بين الشيعة والسنة فى عدم جواز عبادة غير الله إنما الخلاف يكمن فى بعض الأعمال التى اعتبرتها بعض الاتجاهات داخل أهل السنة من الشرك وتعد عبادة لغير الله..

هوامش

١ـ أعيان الشيعة. المجلد الأول. ق٢ ص٣:٤..

٢ـ العقائد الإسلامية.. محمد مهدى الشيرازى.

٣ـ المرجع السابق..

٤ـ المرجع السابق..

٥ـ المرجع السابق..

٦ـ المرجع السابق..

٧ـ المرجع السابق..

٨ـ المرجع السابق..

٩ـ معالم الفلسفة الإسلامية.. محمد جواد مغنية..

١٠ـ المرجع السابق..

١١ـ العقائد الإسلامية..

١٢ـ المرجع السابق..

١٣ـ المرجع السابق..

١٤ـ معالم الفلسفة الإسلامية..

١٥ـ العقائد الإسلامية..

١٦ـ معالم الفلسفة الإسلامية..

١٧ ـ النكت الاعتقادية.. الشيخ المفيد..

١٨ ـ العقائد الإسلامية..

١٩ ـ معالم التوحيد فى القرآن الكريم.. الشيخ جعفر السبحانى نقلاً عن الاعتقادات للصدوق..

٢٠ـ المرجع السابق..

النتائج:

* نخلص من عرض قضية التوحيد عند أهل السنة إلى ما يلى:

- أن عقيدة التوحيد عند أهل السنة عبارة عن رد فعل فى مواجهة الاتجاهات المخالفة..

- ان تباين الاتجاهات حول قضية التوحيد يساوى فرقة أهل السنة ببقية الفرق ويفقدها عنصر القيمومة على هذه الفرق..

- أنه ليست هناك قاعدة ثابتة للتعامل مع الآيات المتشابهة..

- أن السياسة تدخلت فى صياغة ماهية التوحيد عندهم..

- أن توحيد ابن تيمية يمثل مدرسة شاذة فى دائرة.. أهل السنة..

- أن التوحيد السائد بين المسلمين اليوم هو التوحيد الوهابى..

وأن صور التوحيد الأخرى لا مكان لها إلا فى صفحات الكتب..

ونخلص من عرض قضية التوحيد عند الشيعة إلى ما يلى:

- أن التوحيد عند الشيعة ابتعد عن متاهة التجسيم والتشبيه..

- إن التوحيد عند الشيعة أكثر أرتباطا بالقرآن والعقل..

- إن التوحيد عند الشيعة ثابت المعالم لا خلاف عليه فى حدود المذهب..

- أن الشيعة لا ترى أن التوسل بالأنبياء والصالحين يتناقض مع التوحيد.

النبـــوة

- الإيمان بالنبى هو الركن الثانى من أركان الإسلام. وهو ركن لا خلاف فيه بين الفرق الإسلامية. إنما الخلاف يكمن فى نظرة كل فرقة إلى النبى كشخصية تؤدى دورها فى محيط الرسالة..

وسوف نعرض هنا لمجمل الخلاف حول هذا الأمر ثم نستعرض موقف كل من السنة والشيعة.

يقول فخر الرازى : إن الاختلاف فى هذه المسألة واقع فى أربعة مواضع.

الأول: ما يتعلق بالأعتقادية. واجتمعت الأمة على أن الأنبياء معصومون عن الكفر والبدعة إلا الفضيلية من الخوارج فإنهم يجوزون الكفر على الأنبياء. وذلك لأن عندهم يجوز صدور الذنوب عنهم. والروافض فإنهم يجوزون عليهم إظهار كلمة الكفر على سبيل التقية..

الثـانى: ما يتعلق بجميع الشرائع والأحكام من الله تعالى. وأجمعوا على أنه لا يجوز عليهم التحريف والخيانة فى هذا الباب لا بالعمد ولا بالسهو. وإلا لم يبق الاعتماد على شىء من الشرائع..

الثـالث: ما يتعلق بالفتوى. وأجمعوا على أنه لا يجوز تعمد الخطأ. فأما على سبيل السهو فقد اختلفوا فيه.

الرابع: ما يتعلق بأفعالهم وأحوالهم. وقد اختلفوا فيه على خمسة مذاهب.

١ - الحشوية : وهو أنه يجوز عليهم الإقدام على الكبائر والصغائر..

٢ - أنه لا يجوز منهم تعمد الكبيرة البتة.وأما تعمد الصغيرة فهو جائز. بشرط أن لا تكون منفرة. وأما إن كانت منفرة فذلك لا يجوز عليهم..

٣ - أنه لا يجوز عليهم تعمد الكبيرة والصغيرة. ولكن يجوز صدور الذنب منهم على سبيل الخطأ فى التأويل..

٤ - أنه لا يجوز عليهم الصغيرة ولا الكبيرة لا بالعمد ولا بالتأويل الخطأ. أما السهو والنسيان فجائز ثم إنهم يعاتبون على ذلك السهو والنسيان. كما أن علومهم أكمل. فكان الواجب

عليهم المبالغة فى التيقظ..

٥ ـ أنه لا يجوز عليهم الكبيرة ولا الصغيرة لا بالعمد ولا بالتأويل ولا بالسهو ولا بالنسيان..

واختلفوا أيضا فى وقت وجوب العصمة:

فقال بعضهم : إنها من أول الولادة إلى آخر العمر..

وقال الأكثرون : هذه العصمة إنما تجب فى زمان النبوة. أما قبلها.. فهى غير واجبة وهو قول أكثر أصحابنا..[١]

وما يجب التركيز عليه هنا من بين هذه الأقوال هو ما يتعلق بالسنة والشيعة منه

النبوة عند أهل السنة

يعتقد أهل السنة أن إرسال الرسل إنما هو بمحض فضل من الله تعالى وواجب فى حقهم الأمانة أى حفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمنهى عنه.

أما المحرم فلم يقع منهم إجماعا وما أوهم المعصية فمؤول.. وواجب فى حقهم الصدق والفطانة والتبليغ ويستحيل فى حقهم ضد هذه الصفات.. أما السهو فممتنع عليهم فى الأخبار البلاغية وغير البلاغية. وجائز عليهم فى الأفعال البلاغية أما النسيان فهو ممتنع فى البلاغيات قبل تبليغها قولية كانت أو فعلية. أما بعد التبليغ فيجوز نسيان ما ذكر الله تعالى أما نسيان الشيطان فمستحيل عليهم. ويجوز على ظواهرهم ما يجوز على البشر مما لا يؤدى إلى نقص وأما بواطنهم فمنزهة عن ذلك متعلقة بربهم..(٢)

ويقول ابن حزم: والسهو منهم قد ثبت بيقين وأيضا فإن ندب الله تعالى لنا إلى التأسى بهم لا يمنع من وقوع السهو منهم لأن التأسى بالسهو لا يمكن إلا بسهو منا.. إننا مأمورون إذا سهونا أن نفعل كما فعل رسول الله (ﷺ) إذا سها..(٣)

ويعتبر ابن تيمية أن إنكار السهو من الغلو فى عصمة الأنبياء وأن هذا القول لم يوافق عليه أحد من أهل السنة.. .(٤)

وقال الأشاعرة يجوز على الأنبياء الكبائر والصغائر سهوا. إلا الكفر والكذب وعلى هذا طوائف أخرى من أهل السنة.

وهذا التصور الذى يطرحه أهل السنة بالنسبة لقضية العصمة إنما هو مرتبط بفترة ما بعد البعثة. أما فترة ما قبل البعثة فقد جوزوا عليهم الكبائر والصغائر عمدا وسهوا..(٥)

وقال القاضى عياض: وأما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف. والصواب أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك فى شىء من ذلك..

وقال القشيرى: والذى صار إليه المعظم أن الله ما بعث نبيا إلا كان مؤمنا به قبل البعثة.. وإجماع أهل السنة على جواز وقوع النسيان من الرسول (ﷺ) لكنهم اختلفوا فيما يكون النسيان. هل

ينسى فى التبليغ عن الله ما يتعلق بالأحكام والأفعال..؟

قال القاضى عياض: عامة العلماء والأئمة النظار كما هو ظاهر القرآن والحديث.

لكن شرط الأئمة أن الله تعالى ينبه على ذلك ولا يقره عليه وقال البعض: من شرط التنبيه اتصاله بالحادثة على الفور.

وقال آخرون: يجوز فى ذلك التراخى ما لم ينخرم العمر وينقطع تبليغه..(٦)

يقول ابن تيمية: .. والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة فلا يستقر فى ذلك خطأ باتفاق المسلمين.. وأما العصمة فى غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة فللناس فيه نزاع هل هو ثابت بالعقل أو بالسمع. ومتنازعون فى أن العصمة من الكبائر والصغائر أو من بعضها. أم هل العصمة إنما فى الإقرار عليها لا فى فعلها؟ أم لا يجب القول بالعصمة إلا فى التبليغ فقط؟ وهل تجب العصمة من الكفر والذنوب قبل المبعث أم لا؟ والكلام فى هذا مبسوط فى غير هذا الموضع. والقول الذى عليه جمهور الناس وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف إثبات العصمة من الإقرار على الذنوب مطلقا. والرد على من يقول أنه يجوز إقرارهم عليها. وحجج القائلين بالعصمة إذا حررت إنما تدل على هذا القول. وحجج النفاة لا تدل على وقوع ذنب أقر عليه الأنبياء فإن القائلين بالعصمة احتجوا بأن التأسى مشروع وذلك لا يجوز إلا من تجويز كون الأفعال ذنوبا. ومعلوم أن التأسى بهم إنما هو مشروع فيما أقروا عليه دون ما نهوا عنه. كما أن الأمر والنهى إنما تجب طاعتهم فيما لم ينسخ منه، فأما ما نسخ من الأمر والنهى فلا يجوز جعله مأمورا به ولا منهيا عنه، فضلا عن وجوب اتباعه والطاعة فيه. وكذلك ما احتجوا به من أن الذنوب تنافى الكمال أو أنها ممن عظمت عليه النعمة أقبح أو أنها توجب التنفير أو نحو ذلك من الحجج العقلية فهذا إنما يكون مع البقاء على ذلك وعدم الرجوع. وإلا فالتوبة النصوح التى يقبلها الله يرفع بها صاحبها إلى أعظم مما كان عليه. كما قال بعض السلف كان داود عليه السلام بعد التوبة خيرا منه قبل الخطيئة..

وقال: لو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه..(٧)

وشن ابن تيمية كعادته هجوما شديدا على المتأولين الذين يؤولون النصوص المتعلقة بالعصمة فيقول : والرادون لذلك - يقصد رأيه وما ينسب للسلف - تأولوا ذلك بمثل تأويلات الجهمية والقدرية والدهرية لنصوص الأسماء والصفات ونصوص القدر ونصوص المعاد. وهى من جنس تأويلات القرامطة والباطنية التى يعلم بالاضطرار أنها باطلة وأنها من باب تحريف الكلم عن مواضعه..(٨)

ويرفض ابن تيمية فكرة العصمة قبل البعثة ويرد على أصحاب هذا الاتجاه قائلاً: .. وبهذا يظهر

جواب شبهة من يقول: إن الله لا يبعث نبياً إلا من كان مؤمنا قبل النبوة فإن هؤلاء توهموا أن الذنوب تكون نقصاً وإن تاب التائب منها وهذا منشأ غلطهم فمن ظن أن صاحب الذنوب مع التوبة النصوح يكون ناقصاً فهو غالط غلطاً عظيماً فإن الذم والعقاب الذى يلحق أهل الذنوب لا يلحق التائب منها شيء أصلا لكن إن قدم التوبة لم يلحقه شيء وإن أخر التوبة فقد يلحقه ما بين الذنوب والتوبة من الذم والعقاب ما يناسب حاله والأنبياء كانوا لا يؤخرون التوبة بل يسارعون إليها ويسابقون إليها لا يؤخرون ولا يصبرون على الذنب بل هم معصومون من ذلك، ومن أخر ذلك زمنا قليلا كفر الله ذلك بما يبتليه به كما فعل بذى النون هذا على المشهور أن إلقاءه كان بعد النبوة . وأما من قال إن إلقاءه كان قبل النبوة فلا يحتاج إلى هذا والتائب من الكفر والذنوب قد يكون أفضل ممن لم يقع فى الكفر والذنوب.. بل من عرف الشر وذاقه فقد تكون معرفته بالخير ومحبته له ومعرفته بالشر وبغضه له أكمل ممن لم يعرف الخير والشر ويذوقهما كما ذاقهما. بل من لم يعرف إلا الخير فقد يأتيه الشر فلا يعرف أنه شر. فإما أن يقع فيه. وإما أن لا ينكره كما أنكره الذى عرفه..(٩)

يقول الأستاذ منصور عويس: وهكذا منطق ابن تيمية العجيب فى شأن الأنبياء (ﷺ) وكأنهم بشر عاديون ونسى أن الأنبياء لا يليق أن يطبق على شخصياتهم أمثال تلك الأقيسة التى جاء بها. ولا يصح أن يتحدث فى أمرهم بتلك البساطة وهذا الأسلوب. لأنهم صفوة عباد الله الذين اصطفاهم الله واختارهم. فمع إيماننا ببشريتهم نؤمن بما أضفاه الله عليهم من إصطفاء. إننا نؤمن بسمو اجتباء الله لهم واختياره إياهم والاصطفاء للنبوة البشر أحد فى كمالات بشرية. ولا يصل إليهم بشر فى سمو الأخلاق الإنسانية..(١٠)

• أهل السنة والقرآن:

إن الحديث عن النبوة يفرض علينا الحديث عن القرآن الذى جاء به النبى (ﷺ) ما هى ملامحه. وكيف ينظر أهل السنة إلى كتاب الله..؟

يروى البخارى كيف بدا الوحى إلى رسول الله (ﷺ)..؟

.. إن الحارث بن هشام سأل رسول الله فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحى..؟

فقال الرسول: أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى وقد وعيت ما قال..

وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول..

وقالت عائشة: أول ما بدى به رسول الله من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم.. ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو فى غار حراء..

وكان يتعبد الليالى ثم يعود إلى خديجة ويتزود ثم يرجع ويكرر ذلك حتى جاءه الحق وهو فى الغار..

ورجع الرسول إلى خديجة يرجف فؤاده قائلا: زملونى.. زملونى.. وزملوه حتى ذهب عنه الروع..

وأخبر خديجة بالأمر فأخذته إلى ورقة بن نوفل النصرانى.. وقال ورقة هذا الناموس الذى نَزّل الله على موسى..

وتنبأ بإخراج الرسول من مكة ومعاداة قومه له..

وقابل الرسول هذه النبوءات بالدهشة..

ثم ظهر الوحى مرة أخرى بعد فترة انقطاع ينادى الرسول من السماء..

ورفع الرسول بصره فوجد الملك الذى جاءه بحراء جالسا على كرسى بين السماء والأرض فرعب منه ورجع إلى خديجة قائلا: زملونى..

وأنزل الله تعالى : (يا أيها المدثر قم فأنذر)

ثم حمى الوحى وتتابع..

وكان الرسول يعالج من التنزيل شدة..

كان الوحى يلقاه كل ليلة فى رمضان..

هذه هى قصة الوحى كما وردت فى البخارى وهى تعكس لنا صورة تحمل الكثير من الملاحظات حول الوحى وحول شخصية الرسول وحول دور ورقة..

الملاحظة الأولى: هذا الوحى الذى يأتى تارة كصلصلة الجرس ويكون شديدا على الرسول. وتارة يأتى فى صورة رجل فيعى الرسول كلامه..

فى الصورة الأولى لا يعى الرسول منه شيئا إلا بعد معاناة..

وفى الثانية يعى منه كل شىء..

فى الأولى يكون عنيفا..

وفى الثانية يكون لينا..

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا: لماذا يأتى الوحى بهذه الصورة المتناقضة إن الإجابة على هذا

السؤال تقودنا للخوض فى بحر لجى يغشاه موج من فوق موج.. تقودنا للخوض فى مسألة الروايات ومدى تأثيرها فى العقيدة وكيف أن العقيدة أصبحت تصاغ وتتشكل حسب الروايات وليس حسب نصوص القرآن القطعية..

تقودنا للخوض فى قضية الإسرائيليات ومدى الاختراق اليهودى لعقائد المسلمين. وهى قضية شائكة وليست محور بحثنا هذا. فقط ما أردنا بيانه هو أن هذه الملاحظات ليست إلا دعوة لإعمال العقل فى هذه النصوص.

الملاحظة الثانية : هذه الرؤى المنامية التى كانت أول صورة من صور الوحى يراها الرسول كيف تتواءم مع خروجه إلى الخلاء وخلوته فى غار حراء..؟

إذا كان ما يراه فى المنام وحيا. فمعنى هذا أن خروجه وخلوته صورة من صور العبث. وهى توحى بأنه لم يكن يثق فيما يرى ويضطر إلى الخروج والخلوة بحثا عن الحقيقة. فهل كان الرسول عابثا. وهل كان شاكا..؟

ثم كيف لرسول يتحرك لإبلاغ أمته رسالة ربه عن طريق الرؤى والمنام..؟

وهو لم يخبر حتى ماذا رأى فى هذه المنامات من أمر الوحى..؟

أليست قضية المنامات هذه ثغرة للخصوم والمناوئين لدعوته كى ينفذوا منها لضرب الدعوة والتشكيك فيها..؟

الملاحظة الثالثة: ذهاب الرسول المتكرر إلى غار حراء. ما هى دوافعه..؟

هل كان الرسول يأمل أن يختاره الله ويهىء نفسه لهذا الدور؟

ومن أين أتاه الأمل؟

ولماذا اختار غار حراء ليكون ميدان تحقيق رغبته..؟

وإذا كان الأمر كذلك لماذا فر الرسول مرعوبا من الوحى..؟

هل اعتبره مفاجأة له..؟

أم لم يكن يتوقعه من الأصل..؟

وما معنى أن يفر نبى من أمام الوحى هارعا نحو زوجته مرتين..؟

والإجابة على هذه التساؤلات تضع الرسول بين أمرين: إما أن يكون هذا الرسول مهزوزا ضعيفا ليس على مستوى الرسالة.

وإما أن يكون جاهلا أقحم نفسه فيما لا شأن له به..

ويدفعان إلى التشكيك بالوحى ونحن لا نهدف إلى

وكان لابد من هذه الوقفة مع قضية الوحى قبل استعراض رؤية أهل السنة للقرآن..

يقول القرطبى فى تفسيره: كان القرآن فى مدة النبى (ﷺ) متفرقا فى صدور الرجال. وقد كتب الناس منه فى صحف وفى جريد وفى لخاف وظرر وغير ذلك..[١١]

فلما استحر القتل بالقراء يوم اليمامة فى زمن أبى بكر.. وقتل منهم فى ذلك اليوم فيما قيل سبعمائة. أشار ابن الخطاب على أبى بكر بجمع القرآن مخافة أن يموت أشياخ القراء كأبَىّ وابن مسعود وزيد. فندبا زيد ابن ثابت إلى ذلك، فجمعه غير مرتب السور بعد تعب شديد..[١٢]

وروى البخارى عن زيد بن ثابت قال: أرسل إلىّ أبو بكر يوم مقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال ابو بكر: إن عمر أتانى فقال إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس. وأنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن. فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه. وإنى لأرى أن تجمع القرآن. قال أبو بكر: فقلت لعمر كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله..؟ فقال هو والله خير. فلم يزل يراجعنى حتى شرح الله لذلك صدرى. ورأيت الذى رأى عمر. قال زيد: وعنده عمر جالس لا يتكلم. فقال لى ابو بكر: إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك. كنت تكتب الوحى لرسول الله. فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفنى نقل جبل من الجبال ما كان اثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله. فقال ابو بكر هو والله خير. فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدرأبى بكر وعمر. فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصارى ولم أجدهما مع غيره. (لقد جاءكم رسول من أنفسكم..) إلى آخرها. فكانت الصحف التى جمع فيها القرآن عند أبى بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر..

وقال الترمذى: فوجدت آخر سورة براءة مع خزيمة بن ثابت..

وفى البخارى عن زيد بن ثابت قال: لما نسخنا الصحف فى المصاحف فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله يقرؤها. لم أجدها إلا مع خزيمة الأنصارى (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه).. وروى الترمذى نفس الكلام..

يقول القرطبى عن الجمع الثانى للقرآن الذى قام به عثمان: أرسل إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك.. وكان سبب ذلك أن القوم اختلفوا وعظم اختلافهم وتشبثهم وأظهر بعضهم إكفار بعض والبراءة منه وتلاعنوا..[١٣]

وكان أن قام عبد الله بن الزبير وزيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام

بنسخ القرآن فى المصاحف ورد عثمان الصحف إلى حفصه وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سوى ذلك من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن تحرق. وكان هذا من عثمان بعد أن جمع المهاجرين والأنصار وجلة أهل الإسلام وشاورهم فى ذلك فاتفقوا على جمعه بما صح وثبت فى القراءات المشهورة عن النبى وإطراح ما سواها..

ونقل القرطبى عددا من الروايات التى تشير إلى ان هناك خلافات وقعت بين الصحابة حول مسألة جمع القرآن..

ومن هذه الروايات رواية تقول ان ابن مسعود كره لزيد نسخ المصاحف.

وقال: يا معشر المسلمين: أعزل عن نسخ المصاحف ويتولاه رجل - يريد زيد بن ثابت - والله لقد أسلمت وإنه لفى صلب رجل كافر.. (١٤)

ونقل الترمذى ان ابن مسعود خطب فى أهل العراق يقول: يا أهل العراق اكتموا المصاحف التى عندكم وغلوها. فإن الله عز وجل يقول: ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة.. فالقوا الله بالمصاحف.. (١٥)

ودافع أبو بكر الأنبارى عن موقف أبى بكر وعمر تجاه زيد وتقديمه على ابن مسعود فى جمع القرآن.. (١٦)

وقال يزيد بن هارون: المعوذتان بمنزلة لبقرة وآل عمران. من زعم أنهما ليستا من القرآن فهو كافر بالقرآن العظيم. فقيل له: فقول ابن مسعود فيهما.. ؟

فقال: لاخلاف بين المسلمين فى أن عبد الله بن مسعود مات وهو لا يحفظ القرآن كله.. (١٧)

وقال أنس بن مالك جمع القرآن على عهد رسول الله(ﷺ) أربعة كلهم من الأنصار:أبى بن كعب. ومعاذ بن جبل. وزيد بن ثابت. وأبو زيد.. (١٨)

ويبدو من خلال استقراء تاريخ القرآن أن هناك طعوناً كثيرة وجهت لمصحف عثمان من الصحابة والسلف. فمن المعروف أن الإمام على كان له مصحف يبدأ بسورة العلق وكان لابن عباس مصحف فيه كلمات لا توجد فى مصحف عثمان وكذلك أبى بن كعب.. (١٩)

وروى مسلم: بعث أبو موسى الأشعرى إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن. فقال أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم. وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها فى الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير أنى قد حفظت

منها لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا. ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب..[٢٠]

وقال عمر: لولا أن يقول الناس زاد عمر بن الخطاب فى كتاب الله لكتبتها: الشيخ والشيخة فارجموهما البتة..[٢١]

وروى الحاكم وابن جرير : أن عمر قال لما نزلت ـ آية الرجم ـ أتيت رسول الله (ﷺ) فقلت اكتبها. فكأنه كره ذلك. وقال عمر ألا ترى أن الشيخ إذا زنى ولم يحصن جلد وأن الشاب إذا زنى وقد أحصن رجم..[٢٢]

وعن أبى بن كعب قال: إن رسول الله (ﷺ) قال. إن الله: أمرنى أن أقرأ عليك القرآن. قال فقرأ (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) فقرأ فيها (لو أن ابن آدم سأل وأديا من مال فأعطيه لسأل ثانيا. فلو سأل ثانيا فأعطيه لسأل ثالثا. ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب. وأن ذلك الدين القيم عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يعمل خيرا فلن يكفره)..[٢٣]

وفى مسند أحمد عن أبى واقد الليثى قال كنا نأتى النبى (ﷺ) إذا أنزل عليه فيحدثنا. فقال لنا ذات يوم إن الله عز وجل قال: (إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم وادٍ لأحب أن يكون له ثان. ولو كان له واديان لأحب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ثم يتوب الله على من تاب..)[٢٤]

وروى الطبرانى والبيهقى أن من القرآن سورتين. الأولى منهما: (بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثنى عليك الخير ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك..).

والثانية منهما: (بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إياك نعبد ولك نصلى ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك الجد إن عذابك بالكفار ملحق..)[٢٥]

ويروى ابن عباس أن عمر قال وهو على المنبر: إن الله بعث محمدا بالحق. وأنزل عليه الكتاب. فكان مما أنزل الله آية الرجم. فقرأناها وعقلناها ووعيناها. فلذا رجم رسول الله (ﷺ) ورجمنا بعده. فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله. والرجم فى كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال.. ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: (إن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم. أو إن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم..)[٢٦]

ومثل هذه الروايات كثير تكتظ بها كتب القوم..

*** أهل السنة والحديث**

ما هو موقف أهل السنة من الروايات النبوية.. وكيف يتناولونها..؟

إن أهل السنة يعتبرون أحاديث الرسول (ﷺ) هى المصدر الثانى من مصادر الفقه والتشريع، ويعرفون الحديث بأنه الرواية الواردة عن الرسول، والتى تتناول كل ما صدر عنه بشكل عام فيما يخص عصر النبى حتى ولو كان منسوخا فيما لا يخص التشريع..

ويعرفون السنة بأنها ما ورد عن النبى من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية..

فالحديث هو الجانب النظرى من أقوال الرسول..

والسنة هى الجانب العملى منها.. (٢٧)

من هنا فإن الأساس الذى ترتكز عليه الرواية هو الصحابى، والصحابة عندهم متفاوتون فى الرواية عن الرسول (ﷺ)، ومرجع هذا التفاوت يعود إلى الفترة التى عاصر فيها هذا الصحابى رسول الله ومدى تفرغه لمجالسته بالإضافة إلى قوة حفظه..

وعلى هذا الاساس اعتبر أبو هريرة وعائشة من المكثرين فى الرواية عن الرسول لملاصقتهم به وتفرغهم له..

يروى أبو هريرة عن نفسه: وإن إخوانى من المهاجرين كان يشغلهم الصفق (البيع) بالأسواق. وإن إخوانى من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم. وكنت امرءاً مسكيناً ألزم رسول الله (ﷺ) على ملء بطنى. فأحضر حين يغيبون. وأوعى حين ينسون.. (٢٨)

ويروى أيضاً: وكنت أكثر مجالسة لرسول الله (ﷺ) أحضر إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا.. (٢٩)

أما عائشة فلأنها كانت زوجة النبى وأحب نسائه إليه كما يروون.. (٣٠)

ومن المعروف أن السنة دونت فى فترة متأخرة، والسبب فى ذلك يعود إلى أن الرسول نهى عن كتابة شىء غير القرآن.. (٣١)

إلا أن أهل السنة يروون ما يفيد الإذن بالكتابة من الرسول، وذلك فى رواية عبد الله بن عمرو بن العاص قوله: كنت أكتب كل شىء أسمعه من رسول الله (ﷺ) أريد حفظه فنهتنى قريش. وقالوا: أتكتب كل شىء تسمعه ورسول الله بشر يتكلم فى الغضب والرضا..؟

فأمسكت عن الكتابة، فذكرت لرسول الله، فأومأ بإصبعه إلى فيه. فقال: اكتب فوالذى نفسى

بيده ما يخرج منه إلاحق..[٣٢]

ولما كان النهى ثابتا والأمر ثابتا فقد عمل أهل السنة على التوفيق بين النصين المذكورين بأسلوب التأويل والتبرير الذى دأبوا عليه واعتبروا أن الإذن بالكتابة ناسخ لما قبله من النهى عن الكتابة..[٣٣]

ولنا ملاحظات حول الرواية الواردة على لسان ابن عمرو هى ما يلى:

إن قوله «فنهتنى قريش» يشير إلى ان الناهين هم طائفة المهاجرين. والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو لماذا لم تنهه الأنصار أيضاً..؟ ولماذا أخذ بقول قريش فقط..؟ وهل كانت هناك طائفية فى المدينة، كل طائفة لها موقف ووجهة مختلفة فى قضايا الدين..؟

وإذا كانت قريش هى القائلة: «ورسول الله بشر يتكلم فى الغضب والرضا».. فهل كانت الأنصار تقول بغير ذلك..؟

ولماذا أخذ ابن عمرو برأى هؤلاء وراجع الرسول. ولم يتجه لسماع رأى الأنصار..؟

وهل يعنى قول قريش هذا ترسيخ اعتقاد أهل السنة فى عصمة النبى ورؤيتهم العامة فى شخصيته..؟

وهل يشير هذا إلى أن عقيدة أهل السنة تقوم على أساس رؤية قريش دون رؤية الأنصار..؟[٣٤]

ثم ماذا يفيد قول الرسول (ﷺ) لابن عمرو وهو يشير إلى فيه: «اكتب فوالذى نفسى بيده ما يخرج منه إلاحق». هل يعنى تحدى قريش التى تشكك فى أقوال الرسول، وأنه من الممكن أن يتكلم فى الغضب كلاما غير كلامه فى الرضا..؟ وهل يعنى هذا أن الرسول له شخصية فى الغضب وشخصية فى الرضا..؟

ألايتناقض هذا مع قوله تعالى: (ما ينطق عن الهوى إن هو إلاوحى يوحى..)[٣٥]

قال عبد الله بن الزبير. قلت للزبير: إنى لا أسمعك تحدث عن رسول الله (ﷺ) كما يحدث فلان وفلان. قال: أما إنى لم أفارقه. ولكنى سمعته يقول: من كذب على فليتبوأ مقعده من النار..[٣٦]

وروى أنس بن مالك.. قال: إنه ليمنعنى أن أحدثكم حديثاً كثيراً أن النبى (ﷺ) قال: من تعمد علىّ كذباً فليتبوأ مقعده من النار..[٣٧]

وهذا الموقف من الرواية عن الرسول لم يكن ينحصر فى الزبير ومالك، إنما هو موقف كثير من الصحابة..[٣٨]

ومثل هذه الروايات إنما تشير إلى أن حملة الكذب على الرسول كانت تقوم بنشاطها فى حياته، وهى قد نشطت بعد مماته. فلايعقل أن يحذر الرسول من شيء غير ممكن الوقوع. وهذا الكذب بالطبع لابد من أن يبدأ اعلى لسان قوم ممن احتكوا بالرسول. فلايدعى أحد أنه سمع رسول الله يقول.. دون أن يكون المتلقى منه يعلم أنه قد عاصره..

وبصورة واضحة محددة فإن الرسول (ﷺ) كان يحذر من الكذب لعلمه أن هناك من يكذبون عليه من أصحابه. وهم سوف يستمرون فى الكذب عليه بعد وفاته. وأن التابعين سوف يتلقون هذا الكذب بالقبول لكونه صادرا عن أناس ثقات عاصروا الرسول.. (٣٩)

وهذا يفسر لنا موقف عمر بن الخطاب الذى كان كثير الاعتداء على الصحابة الذين يروون على لسان الرسول، وكان يطلب منهم شهودا يشهدون لهم على صحة ما يقولون. وكذلك فعل ابو بكر من قبله وعائشة.. (٤٠)

إلا أن أهل السنة لايرون تمييزا بين صحابى آخر.. ومن ثم فهم لايجيزون تجريح الصحابى ويقولون: من ثبتت صحبته ثبتت عد الته. فجميع الصحابة عندهم عدول بلا استثناء.. (٤١)

وهذا يقودنا إلى قضية جديدة تتعلق بموضوعنا وهى قضية المتن والسند.

أما المتن فيقصد به نص الحديث الوارد على لسان الرسول..

وأما السند فيقصد به سلسلة الرواة الذين اسندوه للصحابى الذى رواه عن الرسول

وفيما يتعلق بالمتن فإنهم لا يجيزون نقده ولا إعمال العقل فيه حتى ولو كان يخالف القرآن. فإنه يوفق بين نص الحديث ونص القرآن من غير نفى أو إنكار لنص الحديث مادامت طرقه صحيحة عندهم. حتى أنهم يقولون بجواز نسخ القرآن بالحديث.. (٤٢)

أما السند فيدخل جميع الرواة تحت طائلة الجرح والتعديل عدا الصحابى. أى يمكن الخوض فى سيرة وتاريخ وسلوك ومواقف راوى الحديث من اجل الوصول إلى تعديله وقبول روايته أو تجريحه ورفض روايته..

وهذا أمر جعلوا له علما قائما بذاته أسموه علم الجرح والتعديل وهدفه الوصول إلى صدق وأمانة الراوى حتى تقبل روايته.. (٤٣)

ويعرف أهل السنة عدالة الراوى بأحد أمرين:

الأول: أن يشتهر حال الراوى بالعدالة والتقوى بين الناس حتى لايغيب ذلك عن جمهور الأمة..

ومن ذلك مارواه تاج الدين السبكى فى كتابه (من ثبتت إمامته وعدالته. وكثر مادحوه ومزكوه. وندر جارحوه. وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه من تعصب مذهبى أو غيره، فإنا لانلتفت إلى الجرح فيه، ونعمل فيه بالعدالة).

الثانى: تزكية النقاد العارفين.. فإذا شهد للراوى عدد من العلماء او واحد على الأقل بأنه عدل فإنه ينتقل من دائرة الجهالة إلى دائرة العدالة..(٤٤)

وقال ابن أبى حاتم: ووجدت الألفاظ فى الجرح والتعديل على مراتب شتى. وإذا قيل للواحد: إنه ثقة أو متقن ثبت فهو ممن يحتج بحديثه. وإذا قيل له: إنه صدوق أو محله الصدق أو لابأس به فهو ممن يكتب حديثه وينظر فيه. وهى المنزلة الثانية. وإذا قيل شيخ، فهو بالمنزلة الثالثة، يكتب حديثه وينظر فيه، إلاأنه دون الثانية. وإذا قيل صالح الحديث فإنه يكتب حديثه للاعتبار. وإذا أجابوا فى الرجل بلين الحديث، فهو ممن يكتب حديثه وينظر فيه اعتباراً. وإذا قالوا ليس بقوى، فهو بمنزلة الأول فى كتبه إلاأنه دونه. وإذا قالوا ضعيف الحديث. فهو دون الثانى. لا يطرح حديثه بل يعتبر به. وإذا قالوا: متروك الحديث أو ذاهب الحديث أو كذاب فهو ساقط الحديث لايكتب حديثه وهى المنزلة الثالثة..(٤٥)

وقال ابن حجر مايشبه ذلك فى كتابه «تقريب التهذيب»، حيث قسم مراتب الجرح والتعديل إلى اثنتى عشرة مرتبة..(٤٦)

وقد انقسم فقهاء السنة حول نص الحديث.. هل هو لفظ رسول الله (ﷺ) أو هو معنى اللفظ. وذهب البعض إلى اشتراط تحرى لفظ المحدث. وأن يؤدى الحديث كما سمعه بالمحافظة على حروفه وكلماته دون تغيير، ولاإبدال كلمة فى موضع كلمة..

وذهب آخرون إلى جواز الرواية بالمعنى دون التقيد بالكلمات التى سمعها بل يبدل كلمة بكلمة فى معناها. ويأتى بما فى الحديث من حكم وأمر ونهى..(٤٧)

ويبدو أن الفتن والصدامات التى وقعت بعد وفاة الرسول (ﷺ) بين الصحابة، خاصة ماوقع بين عائشة والإمام على وبين الإمام ومعاوية، هذه الفتن قد ألقت بظلالها على الأحاديث، وبدأت تبرز عملية الدس والكذب على الرسول..

والظاهر أن هذا الدس والكذب كان على الجانب الآخر المواجه للإمام، فلا خلاف أن موقف الإمام هو الموقف الشرعى وأن الحق بجانبه. وهذه حقيقة يعترف بها أهل السنة بصعوبة، فهم على الرغم من اعترافهم بالإمام على، وأنه رابع الخلفاء الراشدين، هم يعترفون بمعاوية ويساوونه بالإمام..(٤٨)

وهذا الموقف المتأرجح من قبل أهل السنة تجاه الإمام على يعود سببه إلى الأحاديث التى رويت فى عائشة ومعاوية والمنسوبة إلى الرسول.. (٤٩)

وحتى يبرر أهل السنة موقفهم هذا تحصنوا بالنصوص القرآنية التى تزكى الصحابة ورفضوا الاعتراف بأن الفتن أثرت فى الأحاديث..

يروى مسلم عن مجاهد قوله: جاء بشير العدوى إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله (ﷺ) فجعل ابن عباس لايأذن لحديثه، ولاينظر إليه. فقال: ياابن عباس، مالى لا أراك تسمع لحديثى؟ أحدثك عن رسول الله ولاتسمع؟ فقال ابن عباس: إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول قال رسول الله ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا. فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا بما نعرف.. (٥٠)

وقال ابن سيرين: لم يكونوا يسألون عن الإسناد. فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم. فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم. وينظر إلى أهل البدع فلايؤخذ حديثهم.. (٥١)

ورواية ابن عباس والتابعى ابن سيرين وغيرها من الروايات التى تنطق بنفس المعنى إنما تؤكد ظهور ونمو حركة الوضع والكذب على الرسول لصالح أطراف مهزوزة شرعياً وتحتاج إلى مساندة النصوص.. (٥٢)

ومثل هذا الاتجاه المهزوز شرعا ما كان لينجح فى دعم موقفه بهذه النصوص المخترعة ومن دعم حركة الوضع دون أن تكون فى يده أداة نفوذ وقوة سلطان. فهو اتجاه يريد أن يسود وأن يهيمن ولابد من إضفاء الشرعية عليه..

وهذه سنة أصحاب النفوذ والسلطان فى كل زمان ومكان، لابد من أن يتحصنوا بالدين. وإذا كان الدين لايتجاوب معهم ولا يمنحهم الشرعية اخترعوا بقوة نفوذهم وسلطانهم دينا آخر على طريقتهم وتحصنوا به. وبمرور الزمن يتوارى الدين الصحيح تدريجيا ويصبح الدين الزائف هو السائد..

من هنا برزت السياسة وأصبحت لها بصماتها الواضحة على حركة تدوين الحديث وتأسيس علومه. ومهما حاول أهل السنة سترها فإنها تطل ما بين الحين والآخر من خلال أحاديث كثيرة ومن خلال علم الحديث ذاته ومن خلال كتب السنن..

فالبخارى روى لكثير من الرجال المتهمين، ولم يرو لأبناء الرسول من آل البيت الذين رووا عن الإمام جعفر الصادق.. (٥٣)

ومسلم صنع بابا أسماه فضائل أبو سفيان، وهو لايحوى أية فضيلة له، ولم يرو سواه فى هذا الباب.. (٥٤)

وعلم الجرح والتعديل استثنى الصحابة، وبنى على أساس أخلاقى فى شخصية الراوى، ولم يهتم بجوانبها الأخرى خاصة الجانب السياسى منها. فهو قد ركزعلى مسألة الصدق والأمانة وتغاضى عن علاقة الراوى بحكام زمانه مثلا. كما تغاضوا عن جرائمه فى حق المسلمين بحجة أنه فعلها متأولاً.. (٥٥)

ومن أمثلة ذلك أن البخارى روى لعمر بن سعد بن أبى وقاص وهو أحد الذين أسهموا فى مذبحة آل البيت فى كربلاء. كما روى لعمران بن حطان شاعرالخوارج الذى مدح قاتل الإمام على عبد الرحمن بن ملجم. وروى للحكم بن العاص المختلف على صحبته قاتل طلحة بن عبيد الله يوم الجمل.. (٥٦)

وأهل السنة عرفوا الصحابى تعريفاً سياسياً بعيدا كل البعد عن اللغة وعن الشرع. فهم اعتبروا كل من لقى رسول الله ولو ساعة أو رآه أو ولد فى عصره صحابيا ، وبهذا دخل ضمن هذا التعريف كم كبير من الناس لم يعايشوا عصر الرسالة وصاحبها.

وهذا التعريف يخالف اللغة والعرف، وعلى الرغم من ذلك اعتمده الفقهاء وأجمعوا عليه، ثم أضفوا على الجميع العدالة، ووضعوهم فى مرتبة خاصة مميزة وتناولوا الحديث من جميعهم بلاتمييز أو استثناء.. (٥٧)

وإذا كان القرآن قد زكى الصحابة، فهو لم يزكهم على وجه العموم، إنما زكى طوائف منهم وذم طوائف أخرى. لكن القوم أضفوا العدالة والملائكية على الجميع لأسباب سياسية حتى يعطى الجميع صلاحية التحدث باسم الرسول. وحتى يجد الخط الأموى بقيادة معاوية شرعية يستمدها من خلال صحابة الرسول.. (٥٨)

ولو كان تعريف الصحابى يقتصر على القرآن واللغة لماوجد معاوية وأنصاره من يقف إلى جوارهم إذ أن الصحابى الحقيقى الذى حدده القرآن وحددته اللغة لم يقف فى صف معاوية وليس من السهل أن يحتوى من قبل الخط الأموى.

من هنا لجأ الخط الأموى إلى الاعتماد على هذا الكم المشبوه المدعى صحبة رسول الله، والذى انبرى يروى باسم الرسول ليضفى المشروعية على هذا الخط .

وجاء القوم من بعد ذلك فاعتمدوا هؤلاء الناس كصحابة، واعتمدوا رواياتهم، واعتبروا أن المساس بهم يعد خروجاً عن العقيدة.

هوامش

١ـ عصمة الأنبياء ط بيروت. وانظر تفسير قوله تعالى (لاينال عهدى الظالمين) فى تفسير الرازى..

٢ـ شرح البيجورى على الجوهرة..

٣ـ الفصل فى الملل والنحل جـ ٤/٢..

٤ـ ابن تيمية ليس سلفياً..

٥ـ انظر عصمة الأنبياء وكتب العقائد..

٦ـ الجامع لأحكام القرآن جـ٧/تفسير قوله تعالى (وإماينسينك الشيطان فلاتقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) ..

٧ـ فتاوى ابن تيمية جـ٢/٢٨٢وما بعدها..

٨ـ المرجع السابق.. وتأمل هجومه على المتأولين. كأن ابن تيمية يغيظه الدفاع عن الرسل ورفع مكانتهم..

٩ـ المرجع السابق..

١٠ـ ابن تيمية ليس سلفياً..

١١ـ الجامع لأحكام القرآن ..

١٢ـ المرجع السابق. وانظر تاريخ القرآن للزنجانى..

١٣ـ الجامع لأحكام القرآن..

١٤ـ المرجع السابق. وانظر رفض ابن مسعود الاعتراف بمصحف عثمان فى البخارى..

١٥ـ انظر الترمذى. وكتب تاريخ القرآن..

١٦ـ انظر تاريخ القرآن لعبد الصبور شاهين والزنجانى وغيرهما..

١٧ـ انظر المراجع السابقة..

١٨ـ المراجع السابقة..

١٩ـ المراجع السابقة..

٢٠ـ مسلم جـ٣/ ١٠٠باب الزكاة.. وانظر موطأ مالك ومسند أحمد..

٢١ـ انظر مستدرك الحاكم، والإتقان فى علوم القرآن للسيوطى، والمراجع السابقة..

٢٢ـ المراجع السابقة..

٢٣ـ انظر مسند أحمد والمراجع السابقة..

٢٤ـ المراجع السابقة..

٢٥ـ المراجع السابقة..

٢٦ـ انظر البخارى جـ٨/٢٦. ومسلم جـ٥/١١٦. وللتوسع فى هذا الأمر انظر المراجع السابقة والبيان فى تفسير القرآن للخوئى، وآلاء الرحمن فى تفسير القرآن للبلاغى ومجمع البيان للطبرسى لترى كيف جنى القوم على القرآن برواياتهم..

٢٧ـ يعرف أهل السنة السنة بإنها ما ورد عن الرسول من قول أو فعل أو تقرير أو صفة وما عدا قول الرسول هو سنة عملية..

٢٨ ـ البخارى ٣/١٣٥ بهامش فتح البارى..

٢٩ـ مسند أحمد جـ١٤/١٢٢..

٣٠ـ انظر كتب علوم الحديث وكتب السنن وتلقيح فهوم الأثر..

٣١ـ يروى مسلم وأحمد أن رسول الله (ص) قال: لاتكتبوا عنى. ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه. وحدثوا عنى ولاحرج.. وقد دونت السنة فى عهد عمر بن عبد العزيز حين أمرالزهرى بجمع الأحاديث..

٣٢ـ رواه أبو داود٤/٦٠.. ويقول الخطابى فى معالم السنن: يشبه أن يكون النهى متقدماً وآخر الأمرين الإباحة. ويقولون إن الرسول(ص) صرح بالكتابة لأناس معينين. فمن هم هؤلاء..؟

٣٣ـ انظر معالم السنن للخطابى ٤/١٨٤..

٣٤ـ هناك دلائل تأريخية تفيد أن حزب قريش كانت له وجهة وموقف تجاه الرسول (ص) ورواياته تختلف عن وجهة وموقف الأنصار خاصة فيما يتعلق بقضية الإمامة وآل البيت. وقد برز هذا الموقف بعد وفاة الرسول واجتماع السقيفة. ومن الملاحظ أن أغلب شيعة

الإمام(ع) في عهد الرسول من الأنصار والمهاجرين من غير قريش. انظر لنا: السيف والسياسة في الإسلام..

٣٥- سورة النجم..

٣٦- البخاري جـ ١/ ٢٠٠ بهامش فتح الباري وأبو داود جـ٤/ ٦٣..

٣٧- المرجع السابق..

٣٨- روى عن أبي قتادة الأنصاري نفس الرواية، وهو يتبنى نفس الموقف، وكذلك المقداد وطلحة وابن عوف. وتأمل عدد الروايات على لسان أبي بكر في البخاري مثلا..

٣٩- قضية الكذب كانت واردة في عصر الصحابة، وهناك الكثير من الروايات التي تشير إلى ذلك، إلا أن أهل السنة يؤولون الكذب الوارد فيها على أنه الخطأ.

وهل الكذب ليس بخطأ. انظر لسان العرب مادة «كذب» ويروى مسلم جـ٣/ ١٤٤١ قول النبي (ص): كذب من قال ذلك. أي أخطأ من قال ذلك من الصحابة. انظر شرح النووي وقصة غزوة خيبر . وكذلك قول ابن عباس: كذب نوف حين ادعى أن صاحب الخضر ليس موسى بني اسرائيل. انظر البخاري/٩ ٢٤٠..

٤٠- تأمل قول عمر للأشعري حين سمعه يروى حديثاً لم يعرفه: فوالله لأوجعن ظهرك وبطنك أو لتأتين بمن يشهد لك على هذا. انظر مسلم جـ٣/ ١٦٩٦. وموطأ مالك جـ٢/ ٩٦٤. وكان عمر قد هدد أبي هريرة لكثرة رواياته، وكذلك عائشة. انظر أضواء على السنة المحمدية وأبو هريرة شيخ المضيرة لأبي ريه..

٤١- انظر فصل الرجال من هذا الكتاب.. وهذا التعريف يتناقض مع أحاديث الحوض المروية في البخاري والتي تشير إلى ردة الصحابة من بعد الرسول..

٤٢- انظر كتب علوم القرآن، وكتب التفسير السنية. ويذكر أن نقد المتن عند أهل السنة إنما ينحصر في دائرة الموضوعات الواضحة والتي تدخل ضمن الأحاديث الموضوعة. لكنهم لايتجهون بالنقد إلى الأحاديث التي تثبت صحتها بطرقهم رغم تناقضها مع القرآن والعقل..

٤٣- انظر تقريب التهذيب لابن حجر، وقاعدة في الجرح والتعديل للسبكي، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم..

٤٤ـ قاعدة فى الجرح والتعديل. وعلى هذا الأساس اعتمد أهل السنة رواية من اشتركوا فى مذبحة كربلاء كعمر بن سعد. واعتمدوا شاعر الخوارج عمران بن حطان الذى مدح قاتل الإمام على. والحكم بن العاص قاتل طلحة بن عبيد الله، وفرقوا بين الجرح بسبب السياسة والجرائم السياسية والجرائم الاخلاقية فجرحوا على أساس الأخلاق ولم يجرحوا على أساس السياسة..

٤٥ـ الفكر المنهجى عند المحدثين، د. همام سعيد. كتاب الأمة. ط قطر..

٤٦ـ الجرح والتعديل..

٤٧ـ انظر تقريب التهذيب جـ١/٤. وكيف تحفظ السنة طوال هذه القرون باللفظ، إنها بهذه الصورة تتساوى بالقرآن ..

٤٨ـ انظر العواصم من القواصم. والفصل فى الملل والنحل..

٤٩ـ قال إسحاق بن راهويه أستاذ البخارى: لم تصح فى معاوية منقبة. انظر باب ذكر معاوية بالبخارى، وتعليق ابن حجر فى فتح البارى. وانظر ماروى فى فضائل عائشة فى مسلم..

٥٠ـ مسلم جـ١/١٣..

٥١ـ مسلم.. المقدمة ص ١٥..

٥٢ـ انظر لنا فقه الهزيمة فصل السنة..

٥٣ـ انظر هدى السارى مقدمة شرح البخارى لابن حجر، وبها إحصائيات بكم الأحاديث التى رواها الصحابة وأمهات المؤمنين. وتقف السياسة وراء هذا الموقف الذى دفع بجامعى الأحاديث إلى البحث عن رواة فى مشارق الأرض ومغاربها بينهم وبين الرسول عشرات الأشخاص ويتركون أبناء الرسول(ص)..

٥٤ـ تأمل حديث أبوسفيان، وكيف أنه يطلب الفضل لنفسه من الرسول، فهو يطلب منه أن يقاتل المشركين كما كان يقاتل المسلمين. ومن المعروف أن أبا سفيان لم يشهر سيفاً فى حياة الرسول ولابعد مماته. ويطلب جعل ولده معاوية كاتباً للوحى وهو أمر لم يصح . ويطلب من الرسول أن يتزوج ابنته أم حبيبة. ومن المعروف أن الرسول تزوج أم حبيبة قبل الهجرة. تأمل..

٥٥ـ انظر علاقة الزهرى جامع السنة بعبد الملك بن مروان فى كتب تاريخ السنة. وانظر لنا فقه

الهزيمة فصل السنة. وأضواء على السنة..

٥٦ـ انظر المراجع السابقة. وهدى السارى دفاع ابن حجر عن البخارى..

٥٧ـ انظر فصل الرجال..

٥٨ـ انظر لنا السيف والسياسة..

النبوة
عند الشيعة

يعتقد الشيعة أن الرسول (ﷺ) معصوم عصمة كلية من ولادته وحتى مماته، فلا تجوز عليه الكبيرة ولا الصغيرة لا بالعمد ولا بالسهو ولا بالتأويل ولا بالنسيان..

ودليلهم على ذلك أنه لو عهد منه السهو والنسيان لارتفع الوثوق منه عند إخباراته، ولو عهد منه خطيئة لتنفرت العقول من متابعته فتبطل فائدة البعثة..(١)

وتتجلى عصمة الرسول فى مراحل ثلاث:

- مرحلة تلقى الوحى وحفظه وأدائه إلى الأمة..

- مرحلة القول والفعل، وعلى ذلك فهو من عباده المكرمين الذين لا يعصون الله ما أمرهم وهم بأمره يعملون..

- مرحلة تطبيق الشريعة وغيرها من الأمور المربوطة بحياته (ﷺ) لا يسهو ولا يخطىء فى حياته الفردية والاجتماعية..(٢)

ويقول الشيخ محمد جواد مغنية: الأنبياء معصومون عن الذنوب، كبيرها وصغيرها، قبل النبوة وبعدها. لا يصدر عنهم ما يشين لا عمدا ولا سهوا. وأنهم منزهون عن دناءة الآباء وعهر الأمهات، وعن الفظاظة والغلظة، وعن الأمراض المنفرة كالبرص والجذام، بل وعن كثير من الأعمال المباحة المنافية للتعظيم والتوقير كالأكل فى الطريق ونحوه.(٣)

وقد شغل علماء الإمامية بالنصوص القرآنية التى توهم مناقضتها للعصمة الكلية والتى استند إليها أهل السنة فى موقفهم منها. وقاموا بشرحها ومناقشة مدلولاتها على ضوء اللغة والعقل مثل قوله تعالى: (ووجدك ضالا فهدى) وقوله تعالى: (والرجز فاهجر) وقوله: (.. ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان..) وقوله: (فلا تكونن للكافرين ظهيرا) وقوله: (عبس وتولى) وقوله: (سنقرئك فلا تنسى)..(٤)

يقول السيد شبر : والعصمة عبارة عن قوة العقل من حيث لا يغلب مع كونه قادرا على المعاصى

كلها. كجائز الخطأ. وليس معنى العصمة أن الله يجبره على ترك المعصية، بل يفعل به ألطافا يترك معها المعصية باختياره مع قدرته عليها. كقوة العقل وكمال الفطانة والذكاء ونهاية صفاء النفس وكمال الاعتناء بطاعة الله تعالى: ولو لم يكن قادرا على المعاصى بل كان مجبورا على الطاعات لكان منافيا للتكليف وعدم الإكراه فى الدين. والنبى أول من كلف، حيث قال: فأنا أول العابدين وأنا أول المسلمين، وقال تعالى: (فاعبد ربك حتى يأتيك اليقين) ٩٩ الحجر. ولأنه لو لم يكن قادرا على المعصية لكان أدنى مرتبة من صلحاء المؤمنين القادرين على المعاصى التاركين لها.(٥)

إن شخصية الرسول عند الشيعة الإمامية هى شخصية متكاملة متجانسة مع روح الإسلام وطبيعة الوحى، وليست شخصية مهزوزة متقلبة ضعيفة الجذور متلونة أخلاقيا..

من هنا فإن الشيعة يرفضون وبقوة أى مساس بشخص الرسول كالسحر والخطأ والنسيان وتعرية حياته الخاصة ومشاركة بعض الصحابة له فى شئون الوحى ونسبة الكفر إلى والديه وعمه..(٦)

يقول السيد شبر : المشهور بين الإمامية ـ بل حكى عليه الإجماع ـ أنه يجب تنزيه الأنبياء عن كفر الآباء والأمهات وعهرهن. لئلا يعيروا ويعابوا فى ذلك، ولئلا يتنفر عنهم. فإن ما فى الآباء من العيوب يعود إلى الأبناء عرفا.. ويجب الإيمان بإيمان أبوى الرسول (ﷺ) وأبى طالب لإجماع الشيعة على ذلك. ورووا الروايات فى ذلك من طرق العامة والخاصة ولقوله تعالى: (إن الذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا) الأنفال /٧٤. وقد اتفق المخالف والموالف أن أول من أوى النبى (ﷺ) ونصره أبو طالب.(٧)

*** الشيعة والقرآن..**

يشاع عن الشيعة أن لديهم قرآنا سريا. كما يدعى عليهم أنهم يقولون بالنقيصة فى القرآن. وأن إحراق عثمان للمصاحف أدى إلى ضياع سور من القرآن نزلت فى على. وغير ذلك مما يقال بهدف إثارة الشبهات حول عقائدهم.. والحق أن مثل هذه الادعاءات لا أساس لها من الصحة. ولا يوجد فى كتب الشيعة المعتمدة ما يثبتها، بل المعروف عن الشيعة رفض القول بتحريف القرآن ونقصانه، وهم يتعبدون بالقرآن الذى بين أيدى المسلمين، وقد تصدى الكثير من علمائهم لتفسيره وبيانه..(٨)

غير أن الشيعة تختلف مع أهل السنة حول القرآن فى عدة أمور:

ـ **الأول: جمع القرآن:** حيث تعتقد أن الرسول ترك القرآن مجموعا ومنسوخا وأن هذا العمل من أول واجباته كرسول يودع أمته.

يقول الحجة البلاغى: من المعلوم عند الشيعة أن عليا أمير المؤمنين (ع) بعد وفاة الرسول (ﷺ) لم

يرتد برداء إلا للصلاة حتى جمع القرآن على ترتيب نزوله وتقدم منسوخه على ناسخه..[٩]

ـ **الثانى: فى القراءات** : لا تعترف الشيعة بالقراءات السبع، وما روى من أن القرآن أنزل على سبعة أحرف. فالقرآن تواتر بين عامة الناس جيلا بعد جيل واستمرت مادته وصورته وقراءته المتداولة على نحو واحد فلم يؤثر شىء على مادته وصورته.[١٠]

ـ **الثالث: فى النسخ**: لا ترى الشيعة أنه يمكن نسخ القرآن بالحديث، فالحديث فى الأصل يجب أن يعرض على القرآن ويوافقه حتى يمكن قبوله. فكيف يمكن القول بأن الحديث ينسخ القرآن..؟ كذلك الأمر بالنسبة إلى مسألة نسخ التلاوة على ما سوف نبين..

ـ **الرابع** : أن الشيعة يعتقدون أن معانى القرآن تعرضت للتحريف بسبب السياسة، من هذا فهم يختلفون مع أهل السنة حول مدلول الكثير من الآيات القرآنية. خاصة تلك التى تتعلق بعصمة الرسول وآل البيت..[١١]

يقول السيد الخوئى: يطلق لفظ التحريف، ويراد منه عدة معان على سبيل الاشتراك. فبعض منها واقع فى القرآن باتفاق المسلمين. وبعض منهالم يقع فيه باتفاق منهم أيضا. وبعض منها وقع الخلاف بينهم. وإليك تفصيل ذلك:

١ ـ نقل الشىء عن موضعه وتحويله إلى غيره ومنه قوله تعالى:

(من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه) النساء/٤٦

ولا خلاف بين المسلمين فى وقوع مثل هذا التحريف فى كتاب الله، فإن كل من فسر القرآن بغير حقيقته، وحمله على غير معناه فقد حرفه. وترى كثيرا من أهل البدع والمذاهب الفاسدة قد حرفوا القرآن بتأويلهم آياته على آرائهم وأهوائهم..

وقد ورد المنع عن التحريف بهذا المعنى وذم فاعله فى عدة من الروايات منها قول الإمام الباقر (ع) فى رسالته إلى سعد الخير: وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرفوا حدوده. فهم يروونه ولا يرعونه. والجهال يعجبهم حفظهم للرواية والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية..[١٢]

٢ـ النقص أو الزيادة فى الحروف أو فى الحركات مع حفظ القرآن وعدم ضياعه وإن لم يكن متميزا فى الخارج عن غيره..

والتحريف بهذا المعنى واقع فى القرآن قطعا، بمعنى أن القرآن المنزل إنما هو مطابق لإحدى القراءات، وأما غيرها فهو إما زيادة فى القرآن وإما نقيصة فيه..

٣ ـ النقص أو الزيادة بكلمة أو كلمتين مع التحفظ على نفس القرآن المنزل..

والتحريف بهذا المعنى قد وقع فى صدر الإسلام، وفى زمان الصحابة قطعا. ويدلنا على ذلك إجماع المسلمين على أن عثمان أحرق جملة من المصاحف وأمر ولاته بحرق كل مصحف غير ما جمعه. وهذا يدل على أن هذه المصاحف كانت مخالفة لما جمعه. وإلا لم يكن هناك سبب موجب لحرقها. وقد ضبط جماعة من العلماء موارد الاختلاف بين المصاحف منهم عبد الله بن أبى داود السجستانى. وقد سمى كتابه هذا بكتاب المصاحف. وعلى ذلك فالتحريف واقع لا محالة. إما من عثمان أو من كتاب تلك المصاحف.. وأن ما جمعه عثمان كان هو القرآن المعروف بين المسلمين الذى تداولوه عن النبى (ﷺ) يداً بيد، فالتحريف بالزيادة والنقيصة إنما وقع فى تلك المصاحف التى انقطعت بعد عهد عثمان. وأما القرآن الموجود الآن فليس فيه زيادة ولا نقيصة..

٤ ـ التحريف بالزيادة والنقيصة فى الآية والسورة مع التحفظ على القرآن المنزل والتسالم على قراءة النبى (ﷺ)إياها.

والتحريف بهذا المعنى أيضا واقع فى القرآن قطعا. فالبسملة ـ مثلا ـ قد وقع الخلاف فى كونها من القرآن بين علماء أهل السنة. واختار جمع أنها ليست من القرآن.

وأما الشيعة فهم متسالمون على جزئية البسملة من كل سورة غير سورة التوبة.

٥ ـ التحريف بالزيادة، بمعنى أن بعض المصحف الذى بأيدينا ليس من الكلام المنزل. والتحريف بهذا المعنى باطل بإجماع المسلمين. بل هو ممن علم بطلانه بالضرورة..

٦ ـ التحريف بالنقيصة. بمعنى أن المصحف الذى بين أيدينا لا يشتمل على جميع القرآن الذى نزل من السماء، فقد ضاع بعضه على الناس..

والتحريف بهذا المعنى هو الذى وقع فيه الخلاف فأثبته قوم ونفاه آخرون.(١٣)

ويرفض الشيعة الاعتراف بمسألة نسخ التلاوة، وأن الالتزام بصحة الروايات المتعلقة بهذه المسألة يقتضى الالتزام بوقوع التحريف فى القرآن..(١٤)

ومسألة نسخ التلاوة إنما ترتبط بموقف أهل السنة من مسألة نسخ القرآن بالحديث، أى نسخ الحكم. فهم كما يرون نسخ التلاوة أى بقاء الحكم الشرعى مع نسخ لفظه من القرآن، يرون أيضا نسخ الحكم مع بقاء التلاوة..

يقول السيد الخوئى: إن نسخ التلاوة هذا إما أن يكون قد وقع من الرسول (ﷺ) وإما أن يكون ممن

تصدى للزعامة من بعده. فإن أراد القائلون بالنسخ وقوعه من الرسول فهو أمر يحتاج إلى إثبات. وقد اتفق العلماء أجمع على عدم جواز نسخ الكتاب بخبر الواحد، بل قطع الشافعى وأكثر أصحابه وأكثر أهل الظاهر بامتناع نسخ الكتاب بالسنة المتواترة، وإليه ذهب أحمد بن حنبل فى إحدى الروايتين عنه. بل إن جماعة ممن قال بإمكان نسخ الكتاب بالسنة المتواترة منع وقوعه. وعلى ذلك فكيف تصح نسبة النسخ للنبى (ﷺ) بأخبار هؤلاء الرواة؟ مع أن نسبة النسخ إلى النبى تتنافى جملة مع الروايات التى تضمنت إن الإسقاط قد وقع بعده. وإن أرادوا أن النسخ قد وقع من الذين تصدوا للزعامة بعد النبى فهو عين القول بالتحريف. وعلى ذلك فيمكن أن يدعى أن القول بالتحريف هو مذهب أكثر علماء أهل السنة لأنهم يقولون بجواز نسخ التلاوة..(١٥)

* **الشيعة والحديث..**

يعتبر الشيعة أن السنة دونت فى فترة متقدمة على يد عدد من الصحابة الذين أخذوها عن الإمام على (ع)..

ومن هؤلاء الصحابة ابن عباس وسلمان الفارسى وأبو ذر الغفارى وأبو رافع.(١٦)

وفى فترة التابعين وتابعيهم كثر التشيع حتى غلب على أكثر رواة الحديث ولم يكن هناك بد لأى ناقل للحديث أو جامع له من أن يأخذ من الشيعة..

يقول الذهبى: إن البدعة ضربان كغلو التشيع أو التشيع بلا غلو ولا تحرق فهذا أكثر فى التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق، فلو رد حديث هؤلاء لذهبت جملة الآثار النبوية وهذه مفسدة بينة..(١٧)

وقد أخذ أبو حنيفة عن الإمام جعفر الصادق وكذلك مالك وكذلك الشافعى حتى أن أحد شيوخ البخارى كان من الشيعة..(١٨)

وكتب الحديث المؤلفة والمعتمدة عند الشيعة أربعة:

الأول: الكافى لأبى جعفر محمد الكلينى. وقد جمعه فى ثلاثين سنة. وعدد أحاديثه (١٦٠٩٩) حديثاً فى الأصول والفروع..

الثـــانى : كتاب من لا يحضره الفقيه لأبى جعفر بن بابويه القمى. وعدد أحاديثه (٩٠٤٤) حديثا..

الثالث: تهذيب الأحكام للشيخ أبى جعفر محمد الطوسى وعدد أحاديثه (١٣٥٩٠) حديثا..

الرابع: الاستبصار فى الجمع بين ما تعارض من الأخبار للطوسى أيضا. وعدد أحاديثه (٥٥١١) حديثا..[١٩]

وليس كل ما تحويه هذه الكتب الأربعة يعد صحيحا فى منظور الشيعة. وقد ألفت مؤخرا عدة مختصرات لهذه الكتب تحوى الأحاديث الصحيحة منها فقط. ومن هذه الكتب صحيح الكافى، وصحيح من لا يحضره الفقيه..[٢٠]

وعند الشيعة الحديث الذى يخالف القرآن والعقل يضرب به عرض الحائط حتى لو قيل على لسان إمام معصوم. إذ لا يقول الإمام ما يخالف القرآن والعقل. وهى قاعدة تنطبق على الرسول (ﷺ) أيضا.

ولرواية الحديث عند الشيعة طرق تختلف عن طرق السنة. وقد أدى هذا الخلاف فى طرق الرواية إلى وجود الكثير من الأحاديث عند الشيعة لا وجود لها عند السنة. وهذا لا ينفى وجود نسبة من الأحاديث المشتركة المروية فى كتب الجانبين.[٢١]

- رواية الصحابى..

لا تأخذ الشيعة برواية أى صحابى؛ لأن لها رؤيتها فى الصحبة تختلف عن رؤية السنة. فليس كل صحابى عند السنة هو صحابى عند الشيعة. بالإضافة إلى أن فكرة عدالة جميع الصحابة هى فكرة مرفوضة وغير معترف بها.[٢٢]

يقول الشيخ العاملى: ما ورد من طرقنا وطرق العامة من الذم العام فهو مخصوص بأصحاب الأحداث والمبدلين والمبتدعين قطعا. وإن كانوا هم الأكثر وأهل الصلاح هم الأقل من كل طائفة وفى كل زمان..[٢٣]

من هنا فإن الشيعة لا تأخذ بروايات صحابة معترف بهم من قبل السنة مثل معاوية وابن عمر وأبو هريرة وابن العاص والمغيرة بن شعبة وأبو بكر وعمر وعثمان وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وخالد بن الوليد وأنس بن مالك والأشعث بن قيس وطلحة بن عبياللهوعبد الله بن عمرو ومن النساء عائشة وحفصة وغيرهما.. وموقف الشيعة من هؤلاء يقوم فى أساسه على مواقفهم بعد وفاة الرسول (ﷺ) ومناصبتهم العداء للإمام على وآل البيت. ومخالفتهم للنصوص مما أضعف الثقة فيهم..[٢٤]

ومن الصحابة الذين تجلهم الشيعة وتعتمدهم عمار بن ياسر وسلمان الفارسى وأبو ذر الغفارى والمقداد بن الأسود وعبد الله ومحمد وعبد الرحمن بن بديل وقيس بن سعد بن عبادة وعمرو بن أبى سلمة وابن عباس والعباس وعقبة بن عمرو الأنصارى وعرفة الأزدى وعامر بن واثلة وحذيفة بن اليمان وحارثة بن النعمان الأنصارى وجابر بن عبد الله وثعلبة بن عمر وأبو عمرة الأنصارى وبلال بن رباح والبراء بن عازب وإبراهيم أبو رافع ومن النساء أم سلمة وخديجة وفاطمة.. (٢٥)

ولقد انعكس موقف الشيعة من رواة الصحابة هذا على رواة التابعين، حيث اتخذت نفس الموقف من هؤلاء الرواة. فكل تابعى يروى عن هؤلاء يشك فى روايته ولا يؤخذ بها..

أما التابعون الذين والوا آل البيت ونصروهم فقد عدلهم الشيعة وأخذوا برواياتهم، وهى روايات نقلت عن طريق أئمة آل البيت. أى الأئمة الاثنا عشر (ع)، فهم الفئة الوحيدة التى تملك التحدث باسم الرسول (ﷺ) وحدود النقل يجب أن تنحصر فى دائرتهم..

ولما كان الكثير من التابعين قد والى بنى أمية وناصرهم ـ على أساس موالاة الصحابة لهم مثل ابن عمر وأنس بن مالك وأبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وغيرهم ـ فإن هذا قد دفع بالشيعة إلى اتخاذ موقف عدائى منهم..

كذلك دعم موقف الشيعة هذا من رواة التابعين دور الحكام، والذى كان واضحا فى تلك الفترة فى استثمار علاقة كثير من التابعين بالصحابة فى اختلاق الروايات على لسان الرسول (ﷺ).

من هنا كان الرواة الذين اعتمدهم الشيعة من الموالين لآل البيت غير المعروفين عند أهل السنة، نظرا لكونهم يعيشون فى عزلة عن الأوساط العلمية المشروعة والمعلنة. بينما كان الرواة الذين اعتمدهم أهل السنة غير مقبولين عند الشيعة لمباركتهم العصرالأموى والعباسى ومخاصمتهم لآل البيت.

لأجل ذلك اختلفت طرق الفريقين فى تناول الأحاديث وروايتها. (٢٦)



هوامش

١ - النكت الاعتقادية.

٢ - معالم النبوة فى القرآن للشيخ جعفر السبحانى - ط بيروت.

٣ - معالم الفلسفة الإسلامية.

٤ - انظر عصمة الأنبياء . وكتب التفسير الخاصة بالشيعة مثل الميزان ومجمع البيان. وكتب العقائد الشيعية وتنزيه الأنبياء للشريف المرتضى - ط بيروت.

٥- حق اليقين جـ ١

٦ - هناك الكثير من الأحاديث عند أهل السنة تؤكد نظريتهم فى شخص الرسول وكونه يُسحر ويخطئ وينسى. كما أن هناك أحاديث تفضح الحياة الخاصة للرسول. انظر حديث الغرانيق فى مجمع الزوائد جـ ٧. والدر المنثور للسيوطى جـ ٤. وفيه اتهام صريح للرسول بالسهو فى القرآن حتى أنه قرأ فى سورة النجم : تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى .. بعد قوله تعالى (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) . ويروى مسلم والبخارى أن الرسول (ﷺ) صلى بالناس صلاة العصر ركعتين ودخل حجرته، ثم خرج فذكره بعض فأتمها.. وانظر حديث سحر الرسول فى البخارى حتى كان لا يدرى ما يقول ويأتى النساء ولا يأتيها. وانظر حديث الكسل فى مسلم باب الطهارة حين سئل الرسول عن رجل يجامع امرأته ولا ينزل وهل يوجب ذلك الغسل وإجابة الرسول بالنفى قائلا: «لا وأنا أفعل ذلك مع عائشة. وعائشة إلى جواره. وكذلك أحاديث شغف الرسول بنسائه، فى فترة الحيض وأنه أوتى قوة عشرين رجلا فى الجماع، وفى رواية سبعون، انظر البخارى ومسلم وطبقات ابن سعد.

وانظر توجيه عمر للرسول فى شأن الوحى وتنبيهه له بقوله: ألا تحجب نساءك، فينزل القرآن مؤيدا لعمر بآية الحجاب. وبدا وكأن عمر يذكر الرسول بحكم شرعى هو فى غفلة عنه وعن تطبيقه حتى على أهل بيته. انظر البخارى ، وهناك الكثير من آيات القرآن التى يعتقد أهل السنة أنها نزلت بتوجيه من عمر. انظر كتب أسباب النزول وكتب التفسير عند السنة.

ومن البديهى أن ينسب أهل السنة الكفر إلى والدى الرسول وعمه مادموا يعتقدون بعدم عصمته قبل البعثة، وأنه يجوز عليه ارتكاب الكبائر قبل بعثته، فلا تناقض عندهم أن يكون الرسول من أبوين كافرين أو فاسقين.

انظر لنا فقه الهزيمة فصل شخصية الرسول..

٧ ـ حق اليقين جـ ١. وانظر إيمان أبى طالب ـ ط بيروت. ونهج الحق وكشف الصدق.

٨ ـ انظر البيان فى تفسير القرآن للخوئى. ومجمع البيان للطبرسى، وأكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنة. ط طهران.

٩ ـ آلاء الرحمن فى تفسير القرآن.

١٠ ـ المرجع السابق. والبيان فى تفسير القرآن. ومجمع البيان.

١١ ـ انظر باب الرجال بهذا الكتاب ليتبين لك كيف أخضعت نصوص القرآن المتعلقة بآل البيت للسياسة. وكيف استغلت النصوص التى تثنى على بعض الصحابة فى التغطية على مساوىء الآخرين منهم. وانظر كيف طوع ابن كثير قوله تعالى (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) لصالح معاوية، وإضفاء المشروعية على قتاله للإمام بحكم أن معاوية ولى عثمان.. تفسير القرآن العظيم / سورة الإسراء آية ٣٣.

١٢ ـ الوافى / كتاب الصلاة.

١٣ ـ البيان فى تفسير القرآن.

١٤ ـ كان فى مصحف ابن عباس وأبى ابن كعب سورتا الخلع والحفد. وكان ابن عباس يقرأ قوله تعالى فى سورة النساء (فما استمتعتم به منهن ـ إلى أجل مسمى ـ فآتوهن أجورهن) بزيادة إلى أجل مسمى..

١٥ ـ البيان فى تفسير القرآن.

١٦ ـ أعيان الشيعة جـ ١ ق ٢.

١٧ ـ ميزان الاعتدال.

١٨ ـ أعيان الشيعة جـ١ ق ٢.. واسم شيخ البخارى هو عبيد الله بن موسى العبسى الكوفى انظر ميزان الاعتدال وتذكرة الحفاظ.

١٩ـ أعيان الشيعة جـ ١ ق ٢.

٢٠ ـ يتعمد خصوم الشيعة اصطياد روايات من الكافى وكتب الأحاديث الأخرى واستغلالها فى الطعن فى عقائدها والتشكيك فيها متناسين أن هذه الكتب فيها الغث والثمين.. وأن مثل

هذا الأمر ينطبق على كتب الحديث عند أهل السنة أيضا. والفارق بين السنة والشيعة فى هذا الأمر هو أن الشيعة لا يقرون بصحة جميع الأحاديث الواردة فى كتب الأحاديث ويجيزون الطعن فى الأحاديث ورفضها إذا خالفت القرآن والعقل. بينما هذا الأمر غير وارد عند أهل السنة ويرفض بشدة خاصة إذا تعلق الرفض والتشكيك بأحاديث البخارى ومسلم. وقد شنت حرب شعواء على الذين شككوا فى أحاديث سحر الرسول بالبخارى وكذلك الذين شككوا فى حديث الذبابة.

٢١ ـ شرعت دار التقريب بين المذاهب فى مصر فى جمع الأحاديث المشتركة بين السنة والشيعة، لكن هذا المشروع لم يتم.

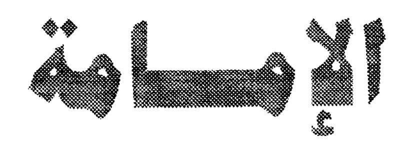
٢٢ ـ انظر فصل الرجال من هذا الكتاب..

٢٣ ـ رسالة فى معرفة الصحابة. ط طهران.

٢٤ ـ انظر فصل الرجال. وانظر لنا السيف والسياسة. وانظر أضواء على السنة المحمدية، وأبو هريرة لأبى رية وعبد الحسين شرف الدين.

٢٥ ـ انظر رسالة فى معرفة الصحابة، وكتب الرجال. والإصابة فى تمييز الصحابة وأسد الغابة.

٢٦ ـ إن الأصول التى وضعها علماء الحديث والدراية من الشيعة للحديث وأصنافه لا تختلف اختلافا جوهريا عن الأصول التى وضعها الباحثون فى علم الحديث من أهل السنة، إذا استثنينا بعض التفريعات والإصطلاحات.. انظر الموضوعات فى الآثار والأخبار. هاشم معروف الحسنى. ط بيروت.


الإمامة

قضية الإمامة قضية فرضت نفسها على واقع المسلمين بعد وفاة الرسول (ﷺ)، ومنذ اجتماع السقيفة الذى تمخض عن ظهور الخليفة أبى بكر والذى لم يحسم الخلاف حول هذه القضية بل زاد فى تعقيدها ليتمخض فى النهاية عن ظهور الملكية التى أصبحت سمة الحكم فى بلاد المسلمين حتى اليوم.

لقد قامت فكرة الخلافة على أنقاض فكرة الإمامة فى محاولة لتحل محلها وتكون بديلة عنها. إلا أن فكرة الإمامة ظلت باقية وتنادى بها اتجاهات أخرى خارج دائرة أهل السنة.

ومثل هذا الخلاف المحتدم حول هذه القضية إنما يشير إلى أهميتها وخطورتها وفاعليتها فى محيط الإسلام. ولو كانت مجرد قضية هامشية ما حظيت بكل هذا الاهتمام والجدل من قبل المسلمين طوال عصور الإسلام.

وهذه القضية هى محور الخلاف بين السنة والشيعة، وعليها تنبنى كل القضايا الخلافية الأخرى وتتفرع منها.

فموقف الشيعة من الصحابة ينبنى عليها.

وموقف السنة من الإمامة ينبنى عليه تعديلها لجميع الصحابة.

وموقف الشيعة من الأحاديث التى روتها السنة ينبنى عليها.

وموقف السنة فى قضية التوحيد ينبنى على هذه الأحاديث.

وموقف الشيعة من الحكام ينبنى عليها.

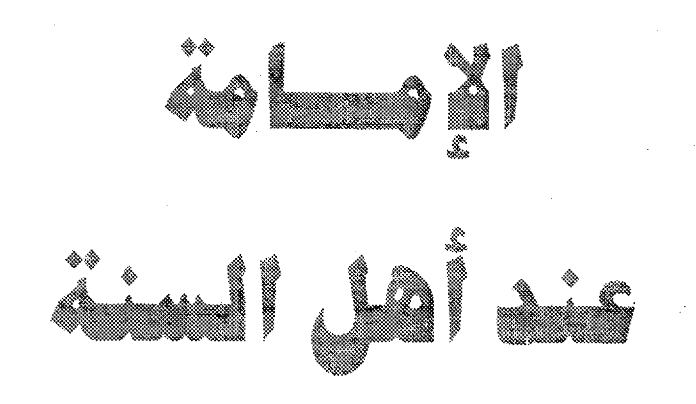
وموقف السنة منهم ينبنى على أساس فكرة الخلافة.

فموقف الشيعة المتبنى لقضية الامامة انبنت عليه قضايا وأحكام.

وموقف السنة الرافض لهذه القضية انبنت عليه قضايا وأحكام.

والخلاصة أن الشيعة تعتبر الإمامة أصلاً من أصول الدين.

بينما يعتقد أهل السنة أن الإمامة مسألة لاصلة لها بأصول الدين.


الإمامة
عند أهل السنة

تعتبر فكرة الإمامة عند أهل السنة فكرة عائمة غير محددة بشخص معين، فيمكن أن تطلق على الحاكم كما يمكن أن تطلق على الفقيه ومن يصلى بالناس.

وما سوف نتناوله بالبحث هنا هو الإمام الحاكم، فهو المتعلق بموضوع البحث. والإمام أو الخليفة أو أمير المؤمنين ثلاثة ألفاظ تطلق على الحاكم عند السنة. وليست هناك أية أبعاد شرعية تعطى خصوصية للإمام عندهم، فهو فرد كبقية أفراد الرعية، تقوده الظروف إلى الحكم بطريق السيف أو الوراثة أو الاختيار من قبل أهل الحل والعقد، فيصبح إمام الأمة ويجب على جميع المسلمين أن يدينوا له بالسمع والطاعة حتى وإن كان فاجراً ظالماً.(١)

اختيار الإمام

وعند السنة نصب الإمام واجب حسماً للفتنة. وطريق وجوبها السمع والعقل. وتنصيبه يكون عن طريق أهل الاجتهاد أو الحل والعقد الذين يختارون من تتوافر فيه شرائط الإمامة..(٢)

إلا أن الراصد لحركة تنصيب أئمة الحكم فى واقع المسلمين منذ وفاة الرسول (ﷺ) وحتى يومنا هذا لايجد أثراً لأهل الاجتهاد هؤلاء ولادورا. إنما يجد صوراً مختلفة لتنصيب الحاكم تخرج الباحث فى النهاية أنه ليست هناك صورة محددة لاختيار الحاكم ولشكل الدولة فى الإسلام..

والحق أن مثل هذه النتيجة إنما تولدت من خلال الممارسات المنحرفة للحكم فى التاريخ، والتى اختفت فيها صورة الشورى والاختيار الحر.

ومثل هذه الحكومات التى قامت بالغصب والوراثة لايصح أن تتخذ مقياساً للتطبيق الإسلامى الصحيح، وإن كان الفقهاء قد اعترفوا بهذه الحكومات وأضفوا عليها الشرعية. وقد عمل أهل السنة على حصر الإمامة فى قريش وهو الشعار الذى رفعه الجناح القرشى بقيادة أبى بكر وعمر فى مواجهة الأنصار (الأوس والخزرج) عند اشتداد النزاع على الحكم بعد وفاة الرسول (ﷺ).

وقال أبو بكر: إن العرب لاتدين إلا لهذا الحى من قريش..(٣)

ونقلوا قول الرسول (ﷺ): إن هذا الأمر (الحكم) فى قريش لايعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين.(٤)

وقول الرسول (ﷺ): لايزال هذا الأمر فى قريش مابقى منهم اثنان.(٥)

إلا أن هذه القاعدة شذ عنها بعض الفقهاء فى مقدمتهم ابن خلدون الذى اعتبر أن قريشا كانت مركز العصبية فى العرب آنذاك وأن العصبية من الممكن أن تنتقل منها إلى مناطق أخرى، وبالتالى

يصبح وجود إمام من خارج قريش أمراً مقبولا شرعاً، هذا لكون ان كثيراً من حكام المسلمين ليسوا من قريش كالعثمانيين والمماليك من قبلهم.[٦]

من هنا اشترط الفقهاء فى الإمام أربعة شروط هى:

- أن يكون قرشياً من الصميم.
- أن يكون حرا عاقلا بالغاً عالماً.
- أن يقوم بأمر الأحكام والحدود والحرب والسياسة.
- أن يكون أفضل القوم علماً وديناً.[٧]

ويقرر الفقهاء أن من غلب المسلمين بالسيف حتى صار خليفة وسمى بأمير المؤمنين لايحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولايراه إماما عليه، براً كان أو فاجراً فهو أمير المؤمنين،[٨]

واختلفوا فى الخليفة الذى يداوم على السكر واللهو والغلول (مصادرة الغنائم لنفسه) هل يجوز الجهاد معه أم لا.؟[٩]

وتنص عقيدة أهل السنة على أن الجهاد ماض وراء كل أمير براً كان أو فاجراً[١٠]

وقد أفرد الفقهاء أبواباً فى كتب الفقه تدور حول أهلية الإمام واستمراريته فى الحكم لو فقد يده أو عينه أو رجله أو أصابه خرس أو مرض أو ماشابه ذلك.[١١]

والمتأمل فى مثل هذه الأمور التى ربطها أهل السنة بمسألة الإمامة يتبين له أنها تفوح منها رائحة السياسة.

ويبدو هذا الأمر بوضوح فى تحديد الفقهاء لطريقين اثنين لانعقاد الإمامة هما:

- اختيار أهل الحل والعقد.
- العهد أو الوصية من سابقه.

فبالنسبة للأمر الأول استنبطوه من فعل السقيفة.

وبالنسبة للأمر الثانى (الوصية) استنبطوه من فعل أبى بكر حين أوصى لعمر.

وبالنسبة للعهد فقد استنبطوه من فعل بنى أمية وبنى العباسى[١٢]

وتبدو السياسة بصورة أكثر وضوحاً حين يقرر أهل السنة أن من أصول الاعتقاد أن الخليفة بعد

الرسول أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على هكذا بالترتيب.

ومع أن المتأمل فى أحداث السقيفة واختيار أبى بكر يجد أن المسألة قد جانبت الشورى وطغت فيها القبلية وافتقدت فيها النصوص القاطعة بخلافته.(١٣)

أما خلافة عمر فقد جاءت بوصية من أبى بكر ولم تكن بمشورة المسلمين، وقد عارضها كثير من الصحابة وقتها.(١٤)

أما خلافة عثمان فقد جاءت باختيار من وسط ستة أفراد حددهم عمر، تحالف أربعة منهم مع عثمان ضد السادس وهو الإمام على(١٥)

وخلافة على لم يجتمع عليها القوم حتى أن بعض الفقهاء اعتبرها غير كاملة المشروعية، وقد اعترف بها القوم من باب التستر على أخطاء وتجاوزات الثلاثة الذين سبقوه، وحتى لاينكشف انحيازهم الكامل للخط القبلى.(١٦)

تقول العقيدة الطحاوية: ونثبت الخلافة بعد رسول الله (ﷺ) أولاً لأبى بكر تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب، ثم لعثمان، ثم لعلى بن أبى طالب. وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون.(١٧)

ويقول ابن تيمية: ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع وصية الرسول (ﷺ) حيث قال: عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ويرون إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمام.(١٨)

وقد استدل بعضهم بقوله تعالى:(إنى جاعل فى الأرض خليفة) على وجوب نصب الإمام. يقول القرطبى: هذه الآية أصل فى نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع لتجتمع به الكلمة وتنفذ به أحكام الخليفة. ولاخلاف فى وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة.. وعندنا النظر طريق إلى معرفة الإمام. وإجماع أهل الاجتهاد طريق أيضا إليه.. وليس فى العقل ما يدل على ثبوت الإمامة لشخص معين. وكذلك ليس فى الخبر ما يوجب العلم بثبوت إمام معين. واختلف فيما يكون به الإمام إماماً وذلك على ثلاثة طرق أحدها: النص وقال به جماعة من أصحاب الحديث والحسن البصرى والحنابلة وغيرهم. وذلك أن النبى(ﷺ) نص على أبى بكر بالإشارة. وأبو بكر على عمر. فإذا نص المستخلف على واحد معين كما فعل ابو بكر أو على جماعة كما فعل عمر وهو الطريق الثانى. ويكون التخيير إليهم فى تعيين واحد منهم كما فعل الصحابة فى تعيين عثمان. الطريق الثالث:

إجماع أهل الحل والعقد. وذلك أن الجماعة فى مصر من الأمصار إذا مات إمامهم، ولم يكن لهم

إمام ولا استخلف، فأقام أهل ذلك المصر الذى هو حضره الإمام وموضعه إماما لأنفسهم اجتمعوا عليه ورضوه، فإن كل من خلفهم وأمامهم من المسلمين فى الآفاق يلزمهم الدخول فى طاعة ذلك الإمام، إذا لم يكن الإمام معلنا بالفسق والفساد لأنها محيطة بهم تجب إجابتها ولا يسع أحد التخلف عنها لما امة إمامين من اختلاف الكلمة وفساد ذات البين.. فإن عقدها واحد من أهل الحل والعقد،

بالعقل وليس ركنا من أركان الدين يعتقد فى قواعد الدين المجمع عليها المعلومة بالتواتر بحيث يكفر منكرها ولا تطرح بيعته إلا إذا أمر بكفر، وبغير هذا الكفر من جميع المعاصى لا يجوز خلعه عن الإمامة لا جهراً ولا سراً.

ويقول الماوردى: وأما انعقاد الإمامة بعهد من قبله فهو مما انعقد الإجماع على جوازه ووقع الاتفاق على صحته لأمرين عمل المسلمون بهما ولم يتناكروهما:

أحدهما أن أبا بكر عهد بها إلى عمر فأثبت المسلمون إمامته بعده.

والثانى أن عمر عهد بها إلى أهل الشورى فقبلت الجماعة دخولهم فيها وهم أعيان العصر اعتقادا بصحة العهد بها.[٢٠]

ويقول ابن خلدون: ثم إن نصب الإمام واجب قد عرف وجوبه فى الشرع بإجماع الصحابة والتابعين لأن أصحاب الرسول (ﷺ) عند وفاته بادروا إلى بيعة أبى بكر وتسليم النظر إليه فى أمورهم، وكذا فى كل عصر بعد ذلك، ولم يترك الناس فوضى فى عصر من الأعصار واستقر ذلك إجماعا دالاً على وجوب نصب الإمام..[٢١]

ويقول النسفى: المسلمون لابد لهم من إمام يقوم بتنفيذ أحكامهم وإقامة حدودهم وسد ثغورهم وتجهيز جيوشهم وأخذ صدقاتهم وقهر المتغلبة والمتلصصة وقطاع الطرق وإقامة الجمع والأعياد وقطع المنازعات الواقعة بين العباد وقبول الشهادات القائمة على الحقوق وتزويج الصغار والصغائر الذين لا أولياء لهم وقسمة الغنائم ونحو ذلك من الأمور التى لا يتولاها آحاد الأمة.[٢٢]

وقد أجمع فقهاء السنة على أن نصوص القرآن والسنة أوجبت إقامة إمام للجماعة الإسلامية لكنهم يعتبرون هذا الوجوب ليس من باب الفريضة التى تجعل من مسألة الإمامة أصلا من أصول الإسلام أو جزءا من الاعتقاد وإنما جعلوا الإيمان بخلافة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى جزءا من الاعتقاد.

ورغم اعتقاد أهل السنة بخلافة الإمام على وحساسيتهم الشديد تجاه من يمسون الخلفاء الثلاثة بشىء من النقد إلا أن محاولتهم رفع مقام معاوية واختراع المناقب له وتبرير تجاوزاته معه وانتهاكاته لحقوقه كإمام وكذلك تبرير تجاوزات الآخرين.. محاولتهم هذه تتناقض مع هذا الاعتقاد الذى تفوح منه رائحة التحيز للثلاثة.

ولا يمكن لعاقل أن يدعى أن مساواة معاوية بالإمام على لا تعنى مساساً بشخص الإمام، فهذه المساواة تعنى توثيق معاوية، وتوثيق معاوية يعنى إضعاف الثقة بالإمام على والشك فى شرعيته.

وهذا الموقف يتخذه أهل السنة من معاوية فى الوقت الذى يعتبرون فيه الخارجين على عثمان والثائرين عليه من البغاة مع أن فيهم صحابة.[٢٣]

ـ وظيفة الإمام:

يبدو لنا من خلال استعراض النقاط السابقة أن أهل السنة يقرون التعايش مع أى حاكم. مادام يحمى بيضة الإسلام فهو إمام للمسلمين..

سلوكه الشخصى ليس مهماً..

ومستواه العلمى ليس مهماً..

وصل إلى الحكم بالغصب أو الوراثة ليس مهماً..

فسلوكه الشخصى أمر يتعلق به وليس بالأمة، وقد سئل ابن حنبل: الإمام الفاجر القوى أفضل أم الإمام التقى الضعيف؟ فأجاب: الفاجر القوى؛ لأن فجوره على نفسه وليس على الرعية، أما الآخر فتقواه لنفسه وضعفه على الرعية.

وقد نسى ابن حنبل أن الإمام الفاجر لابد أن ينعكس فجوره على الرعية.

أما مستواه العلمى فأكثر أهل السنة على اشتراط العلم، والاجتهاد فى الإمام نظريا فقط، وموقفهم عملياً إنما هو موقف مساير لحكام زمانهم من الأمويين والعباسيين وغيرهم الذين لم يكن لديهم وقت للعلم وفهم أحكام الدين. فهى مسألة لا تعنيهم من الأصل مادامت السلطة التنفيذية والسياسية فى أيديهم والسلطة الدينية فى يد الفقهاء التابعين لهم فما حاجتهم للعلم إذن.؟

والفقهاء بهذا التصور إنما يؤكدون فكرة فصل الدين عن الدولة وإيجاد سلطة دينية وسلطة سياسية تتناقض كل منهما مع الأخرى.

وبالطبع لم يكن أمام الفقهاء سوى اختيار هذا الطريق إذ أن اشتراطهم العلم والاجتهاد فى الحاكم سوف يؤدى إلى صدامهم مع حكام زمانهم ورفضهم، لكنهم قبلوا الاعتراف بالحكام الجهال كما قبلوا الاعتراف بالحكام الفجار ومغتصبى السلطة.

ويعتبر أهل السنة أن الذى يغتصب السلطة يجب إقراره وطاعته لأن رفضه والخروج عليه يعتبر مفسدة أعظم من مفسدة حكمه.

وهذا الموقف نابع من معايشة الفقهاء للأنظمة الوراثية الأموية والعباسية وغيرها والتى قتلت فى ظلها روح الشورى وجعلت القتل والتآمر وسيلة الوصول إلى الحكم.

وليس هناك من حرج فى هذا، فالفقهاء على الأبواب ينتظرون نتيجة أى صراع داخل العائلة الحاكمة أو خارجها ليباركوا المنتصر ويضفوا عليه الشرعية ويدعوا الرعية إلى طاعته وعدم السعى لإعادة المغلوب لأن فى ذلك مفسدة أكبر.

فلا يجوز إذن أن يخلع الإمام بسبب الظلم أو الفسق أو غصب الأموال وضرب الأبشار وتضييع الحقوق وتعطيل الحدود، فهذا أمر قد أقره جمهور الفقهاء، فمن ثم يعد من الإجماع الواجب التقيد به واعتقاده.[٢٤]

وهناك رواية على لسان الرسول (ﷺ) توجب طاعة الإمام وإن جلد ظهرك وأخذ مالك.[٢٥]

وإذا كان الأمر كذلك فما هى وظيفة الإمام إذن..؟

إن مثل هذا الاعتقاد عند أهل السنة إنما هو أحد الموروثات السياسية التى لا سند لها من النصوص القطعية وإنما سندها الوحيد هو الأحاديث المخترعة.[٢٦]

يقول الشيخ جعفر السبحانى: وعلى هذا الأساس تسلط أصحاب السلطة من الأمويين والعباسيين على أعناق الناس وأراقوا الدماء واستباحوا الأعراض وانتهبوا الأموال، وصار أصحاب الحديث يبررون سلوكهم فى عدم جهاد الطواغيت بهذه العلة التافهة (المفسدة الأعظم) التى لو أخذنا بها لاندرس من الدين حتى الاسم وهؤلاء المساكين لا يدرون أنه إنما قام للإسلام عمود واخضر له عود بمجابهة المخلصين من المسلمين عن طريق ثوراتهم وأعمالهم على السلطات الجائرة حتى استشهد كثير منهم وسقوا شجرة الإسلام بدمائهم الطاهرة فبقيت مخضرة تؤتى أكلها كل حين.[٢٧]

ويحدد بعض الفقهاء وظيفة الإمام فى الأمة فى عشرة أمور هى:

- حفظ الدين على الأصول التى أجمع عليها السلف.
- تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بينهم.
- حماية البيضة والذب عن الحوزة (الدفاع عن البلاد وتأمينها).
- إقامة الحدود لتصان محارم الله عن الانتهاك.
- تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة.
- جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل فى الذمة.
- جباية الفىء والصدقات.

- تقدير العطاء وما يستحق فى بيت المال.

- استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء.

- أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور وتصفح الأحوال.(٢٨)

وهذه المهام العشر إذا ما حاولنا مطابقتها على واقع الحكام الذين ملكوا السلطة فى تاريخ المسلمين فسوف نجد مفارقة كبيرة.

فلن نجد حاكماً واحداً حفظ الدين على وجهه الصحيح. أما حفظ الدين حسب منهج بنى أمية وبنى العباس الذى أقره السلف فهو أمر قد تحقق بالفعل ولا يزال متحققاً على أيدى آل سعود وحكام النفط وغيرهم.

أما تنفيذ الأحكام وقطع الخصام فهذه مهمة تكبرهم بكثير لأنهم كانوا جهلاء لا شأن لهم بالعلم الشرعى ولا يملكون آلة الاجتهاد، والمنفذ الفعلى لهذه المهمة هم القضاة، وحماية البلاد وتأمينها مهمة قام بها البعض وتقاعس آخرون.

وإقامة الحدود على أيديهم أمر غير معهود لجهلهم أولاً.. واستحقاق إقامة الحدود عليهم ثانياً.

وتحصين الثغور والجهاد قام به الرعية والجنود وليس للحكام فضل فى هذا. أما جباية الفىء والصدقات فهو أمر قد تفانوا فيه وبذلوا فيه غاية الجهد حتى يضمنوا لأنفسهم رغد العيش والحياة فى القصور والتسلى مع الحور. واستكفاء الأمناء وتقليد النصحاء ومباشرة الأمور فلا أظن أن هناك عاقلا يقول إن هذه من مهمات الحكام.

فلو أحاط الحكام أنفسهم بالأمناء وقلدوا الأمور للنصحاء وباشروا أمور الرعية بما يرضى الله لقاموا بوظيفتهم، لكن شيئا من ذلك لم يحدث إلا فى النادر

ومما سبق يتبين لنا أن الإمام أو الخليفة أو أمير المؤمنين فى نظر أهل السنة من السهل عليه أن يحكم ومن السهل أن يطاع دون أن يؤدى وظيفته.

ومنهج أهل السنة يقوم على أساس إحسان الظن بالإمام (الحاكم) وتبرير ممارساته ومواقفه المتناقضة مع الشرع.

ويروى عن أبى يوسف: أنه لما حج مع هارون الرشيد فاحتجم الخليفة، وأفتاه مالك بأنه لا يتوضأ وصلى بالناس فقيل لأبى يوسف: أصليت خلفه؟ قال: سبحان الله. أمير المؤمنين. يريد بذلك أن ترك الصلاة خلف ولاة الأمور من فعل أهل البدع.(٢٩)

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة أن ولى الأمر وإمام الصلاة والحاكم وأمير الحرب وعامل الصدقة يطاع فى مواضع الاجتهاد. وليس عليه أن يطيع اتباعه فى موارد الاجتهاد، بل عليهم طاعته فى ذلك وترك رأيهم لرأيه فإن مصلحة الجماعة والائتلاف ومفسدة الفرقة والاختلاف أعظم من أمر المسائل الجزئية.(٣٠)

ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعوا عليهم ولا ننزع يداً من طاعتهم. ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة.. ما لم يأمروا بمعصية وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة.(٣١)

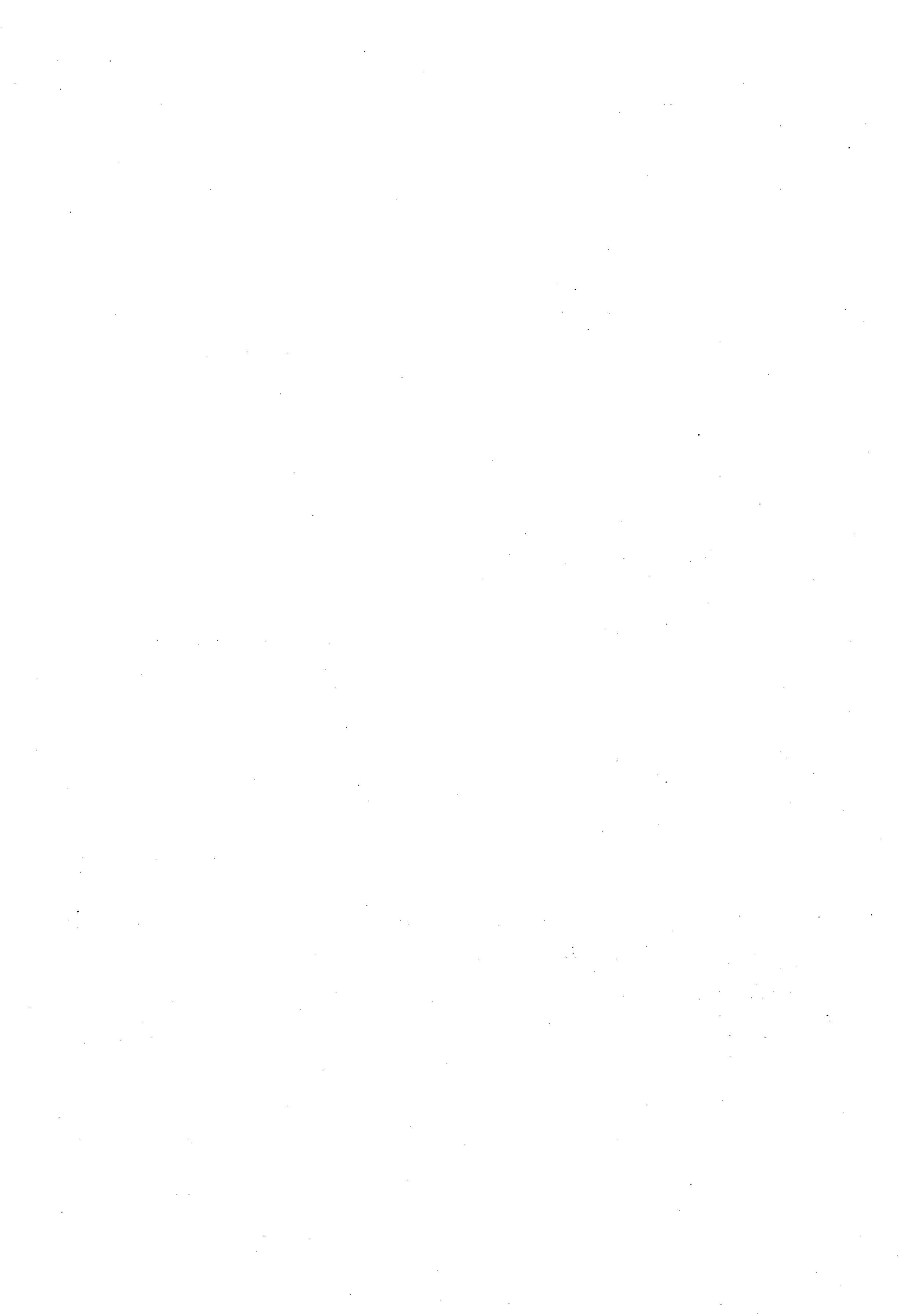
وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا . فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم. بلِ فى الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا.(٣٢)

ويروى البخارى وغيره عشرات الأحاديث التى توجب طاعة الحكام حتى وإن ظلموا وفجروا وأكلوا أموال الناس وجلدوا ظهورهم ماداموا يقيمون الصلاة.(٣٣)

وتنص عقيدة أهل السنة على أن الحج والجهاد ماضيان مع أولى الأمر من المسلمين بارهم وفاجرهم إلى قيام الساعة، لا يبطلها شىء ولا ينقضها.(٣٤)

وينقل الباقلانى قول جمهور السنة من أهل الإثبات والحديث: لا ينخلع الإمام بفسقه وظلمه بغصب الأموال وضرب الأبشار وتناول النفوس المحرمة وتضييع الحقوق وتعطيل الحدود. ولا ينخلع بهذه الأمور ولا يجب الخروج عليه بل يجب وعظه وتخويفه وترك طاعته فى شىء مما يدعو إليه من معاصى الله، واحتجوا لذلك بأخبار كثيرة متضافرة عن النبى والصحابة فى وجوب طاعة الأئمة وإن جاروا واستأثروا بالأموال.(٣٥)

ويقول التفتازانى: وإذا مات الإمام وتصدى للإمامة من يستجمع شرائطها من غير استخلاف.. وقهر الناس بشوكته.. انعقدت الخلافة له، وكذا إذا كان فاسقاً أو جائراً على الأظهر، إلا أنه يعصى بما فعل، وتجب طاعة الإمام ما لم يخالف حكم الشرع سواء كان عادلاً أو جائراً.. ولا ينعزل الإمام بالفسق.(٣٦)



هوامش

١ـ انظر العقيدة الطحاوية والعقيدة الواسطية والأحكام السلطانية وشرح المقاصد للتفتازانى والتمهيد للباقلانى ومنهاج السنة لابن تيمية.

٢ـ انظر الأحكام السلطانية لأبى يعلى.

٣ـ انظر أحداث السقيفة فى كتب التاريخ.. وانظر لنا السيف والسياسة فى الإسلام.

٤ـ رواه البخارى.. كتاب الأحكام.. ويذكر أن راوى هذا الحديث هو معاوية بن أبى سفيان فى معرض الهجوم على عبد الله بن عمرو بسبب أنه حدث أنه سيكون ملك من قحطان، ولعل معاوية رأى فى رواية ابن عمرو تهديداً لسلطانه.. انظر فتح البارى جـ ١١٤/١٣.

٥ـ البخارى كتاب الأحكام.

٦ـ وهذه نظرة تبريرية فى مواجهة النصوص.. انظر مقدمة ابن خلدون.. ويذكر أن المماليك بداية من عصر الظاهر بيبرس أرادوا تطبيق حديث الأئمة فى قريش حتى يضفوا على حكمهم الشرعية فقاموا باستجلاب بقية العائلة العباسية الفارة من وجه التتار إلى مصر وأحيوا الخلافة العباسية وجعلوا القاهرة مقراً لها.. غير أن خلفاء بنى العباس فى مصر لم يكونوا سوى صورة أو لافتة توضع وتنزع وتستبدل حسب أهواء المماليك.

٧ـ الأحكام السلطانية.

٨ـ المرجع السابق.

٩ـ انظر تفاصيل هذا الخلاف فى كتب العقائد.

١٠ـ انظر العقيدة الطحاوية والعقيدة الواسطية.

١١ـ أنظر الأحكام السلطانية والسياسة الشرعية لابن تيمية وكتب العقائد والفرق.

١٢ـ انظر لنا فقه الهزيمة.

١٣ـ انظر أحداث السقيفة فى كتب التاريخ وفى كتابنا السيف والسياسة.

١٤ـ انظر كتب التاريخ.. وقد قال بعضهم لأبى بكر: أتولى علينا غليظ القلب؟

١٥ ـ انظر كتب التاريخ.. والأربعة هم سعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله والزبير.. وقال عمر: إذا اجتمع ثلاثة على رأى وثلاثة على رأى.. أى استقر رأى اثنين

على واحد.. والاثنين الآخرين على واحد ـ فحكموا عبد الله بن عمر.

وعبد الله هذا هو الذى قال فيه أبوه حين أشار عليه أحدهم باستخلافه: قاتلك الله.. والله ما أردت الله بهذا.. أستخلف من لم يحسن أن يطلق امرأته.

وقال عمر للستة: ليحل هؤلاء فى بيت (للتشاور) فإذا اجتمعوا على رجل فمن خالف فاضربوا عنقه. وقال الزبير: قد جعلت أمرى إلى على. وقال طلحة: قد جعلت أمرى إلى عثمان. وقال سعد: قد جعلت أمرى إلى عبد الرحمن بن عوف. وانسحب ابن عوف فأصبح سعد مع عثمان. ثم فصل الأمر ابن عوف بأن رفع يد عثمان وبايعه..

والغريب أنه قبل أن يستقر الأمر لعثمان قال عمر والقوم يتشاورون: أن تولوها الأجلح (على) يسلك بهم الطريق فقال له ابنه: ما يمنعك يا أمير المؤمنين منه..؟

قال: أكره أن أتحملها حياً و ميتاً.

وفى رواية: أن ابن عوف طلب من على أن يبايع على كتاب الله وسنة رسوله وسنة الشيخين فقال أبايع على كتاب الله وسنة رسوله وأجتهد برأيى.. فقال لعثمان أتبايع على كتاب الله وسنة رسوله وسنة الشيخين قال نعم.. فبايعه. والطريف هنا أن عثمان بعد أن تولى خرج عن كتاب الله وسنة رسوله وسنة الشيخين.. انظر تفاصيل اختيار عثمان ـ فتح البارى ج ٧/ ٦١: ٦٩ كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عمر.

١٦ـ انظر كتب التاريخ.. ويبرر هذا الموقف من خلافة الإمام عند أهل السنة أن الصحابة لم يجمعوا عليه وقد وقف منهم قطاع مع معاوية ضده بينما آثر قطاع الحياد وفى مقدمتهم ابن عمر. انظر لنا السيف والسياسة وتأمل اعتبارهم عثمان قتل مظلوماً بينما اعتبر بعضهم قاتل الإمام متأولاً.. ولم يذكر فى كتب أهل السنة أن الإمام قتل مظلوماً.

والبخارى روى لعمران بن حطان شاعر الخوارج الذى أنشد يمدح عبد الرحمن بن ملجم قاتل الإمام.. .

١٧ـ انظر العقيدة الطحاوية والواسطية وجوهرة التوحيد وكتب العقائد.

١٨ـ العقيدة الواسطية.

١٩ـ الجامع لأحكام القرآن ج١/٢٦٤ وما بعدها.

٢٠ـ الأحكام السلطانية.

٢١ـ المقدمة. ابن خلدون..

٢٢ـ العقائد النسفية شرح التفتازانى.

٢٣ـ انظر كتب التاريخ.. وانظر لنا السيف والسياسة.

٢٤ـ انظر الأحكام السلطانية والتمهيد للباقلانى.

٢٥ـ انظر مسلم كتاب الإمارة.

٢٦ـ انظر لنا أحاديث اخترعتها السياسة.

٢٧ـ مفاهيم القرآن جـ٥/ ٢٠٠ ط بيروت.

٢٨ـ الأحكام السلطانية لأبى يعلى.

٢٩ـ العقيدة الطحاوية.

٣٠ـ المرجع السابق.

٣١ـ المرجع السابق.

٣٢ـ المرجع السابق.

٣٣ـ يروى مسلم: خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم. وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم.. قلنا: يا رسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: لا. ما أقاموا فيكم الصلاة.. إلا من ولى عليه وال فرآه يأتى شيئاً من معصية الله.. فليكره ما يأتى من معصية الله ولا ينزعن يدا من طاعته.

ويروى البخارى: من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله.. ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ومن عصى الأمير فقد عصانى.. وفى مسلم والبخارى على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره.. من رأى من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فمات فميتته جاهلية.. وفى رواية: فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه.

ومثل هذه الروايات هى التى أسهمت بفضل فقهاء السلاطين فى الحفاظ على ملك بنى أمية وبنى العباس وحتى المماليك العبيد.

٣٤ـ العقيدة الطحاوية.

٣٥ـ التمهيد للباقلانى.

٣٦ـ العقائد النسفية.

الإمامة
والحركة الإسلامية

انعكست فكرة الإمامة عند أهل السنة على الحركة الإسلامية وبدا أثرها واضحا على مواقف الحركة وممارساتها وتصورها فى مواجهة الواقع.

وعلى رأس التيارات الإسلامية التى تطبعت بفكرة الإمامة التيار السلفى التقليدى الذى يسير على الخط الوهابى السعودى. فقد جعل هذا التيار من طاعة الحكام شعارا له مما أدى به إلى أن يفرط فى الاعتدال تجاه الواقع.

وقد تسلح تيار الإخوان بنصوص السمع والطاعة فى محاولة منه لدرء الشبهات من حوله والتميز عن التيارات الإسلامية الأخرى التى تبنت فكرة الصدام مع الواقع.. وعلى مر الزمان كانت نصوص السمع والطاعة هى السلاح الذى يشهره فقهاء السلاطين فى وجه كل فئة تشق عصا الطاعة.

ولا تزال هذه السنة باقية ومستمرة فى زماننا فى مواجهة التيارات الإسلامية،

يؤديها فقهاء السلاطين. كما ورثوها عن سلفهم.

لقد أوقعت مثل هذه النصوص الحركة الإسلامية المعاصرة فى مآزق فكرية وحركية جعلتها سهلة الاحتواء والإجهاض من قبل القوى الحاكمة المتربصة بها.

ومن المآزق الفكرية التى تعيشها الحركة الإسلامية اليوم بسبب غياب فكرة الإمامة مأزق الحاكمية. وقد نتج عن هذا المأزق الفكرى مآزق حركية مثل مأزق الخروج والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد.

ولكون التيارات الإسلامية اليوم قد سيطر عليها التصور السلفى خاصة التصور الذى طرحته مدرسة ابن تيمية التى بعثتها الدعوة الوهابية فى العصر الحديث فقد أصبحت الحركة الإسلامية تعيش حالة من الصراع الفكرى بين ولائها للماضى ولرموزه المقدسة، وبين متطلبات الواقع الذى تتحرك على ساحته والتى كثيرا ما تصطدم مع الماضى وتتناقض مع أطروحته.

ولقد تسبب الطرح السلفى الذى تبنته الحركة فى تذويب القاعدة الفكرية التى ترتكز عليها. وبدلا

من أن تكون لها قاعدة واحدة أصبحت لها قواعد متباينة ومتناحرة فيما بينها. القاعدة الفكرية عند تيار الإخوان تصطدم مع القاعدة الفكرية عند التيار السلفى، والقاعدة الفكرية عند التيار السلفى تصطدم مع القاعدة الفكرية عند تيار الجهاد، والقاعدة الفكرية عند تيار التكفير تصطدم مع الجميع.

وجميع هذه التيارات تستمد تصورها من التراث السلفى وتتبنى أطروحته بكل مقوماتها وتوجهاتها، وفى مقدمتها أطروحة الإمامة.

إلا أنه يمكن القول بأن فكرة الإمامة انعكست على تيار الجهاد بشكل أكثر فاعلية من دون بقية التيارات الأخرى. لتبنى هذا التيار أسلوب الصدام مع الواقع ورفعه شعار إقامة الخلافة الإسلامية.

وتبدو قضية الحاكمية التى تعد الوجه العصرى لفكرة الإمامة هى المحور الذى تدور من حوله الحركة الإسلامية، وهى أيضا مرتكز الخلاف بين هذه التيارات، وباعث النظريات الحديثة فى الوسط الإسلامى اليوم.

. مأزق الحاكمية

كان أول طرح لفكرة الحاكمية على يد الخوارج حين واجهوا الإمام على بقول الله تعالى (إن الحكم إلا لله).

ثم ظهر هذا الشعار فى العصر الحديث على يد أبو الأعلى المودودى أمير الجماعة الإسلامية فى باكستان. وحسن البنا زعيم الإخوان، وسيد قطب فى كتابيه (فى ظلال القرآن) و(معالم فى الطريق).

ويعد سيد قطب أول من أبرز فكرة الحاكمية كاملة الأركان واضحة المعالم فى ساحة الحركة الإسلامية، وتلقفتها منه التيارات الإسلامية التى نشأت فى مرحلة ما بعد الاستعمار.

إلا أن طرح سيد قطب لقضية الحاكمية استفز الإخوان لكونه كان يمثل فى نظرهم طرحا متشددا لها ومستفزا من جانب آخر لنظام الحكم. وهو فوق هذا يعد طرحا براقا للشباب جذبهم إلى خطه بعيدا عن خط حسن البنا.[١]

وفى فترة الستينيات بدأ تيار سيد قطب يبرز على ساحة الحركة الإسلامية فى مصر وبدا وكأنه التيار الذى يمثل المرحلة. مما دفع بالإخوان إلى الصدام به. وقد برز هذا الصدام بصورة واضحة داخل المعتقلات حين وجه عبد الناصر ضربته الثانية لتيار الإخوان، وقد أدى هذا الصدام إلى تصدع جماعة الإخوان وانقسامها إلى تيارين: تيار انحاز إلى سيد قطب وتيار بقى على خط البنا.[٢]

وكان خط سيد قطب يمثل تمردا على فكرة الإمامة عند أهل السنة.[٣]

وكان خط البنا يمثل الالتزام بهذه الفكرة.(٤)

إلا أن بعض أتباع قطب تناولوا أطروحته بشيء من الغلو ولم يحصروها في مواجهة الحكام فقط بل تعدوا الحكام إلي توجيهها للمخالفين لهم وللناس بشكل عام. وكانت هذه هى بداية ظهور تيار التكفير فى الوسط الإسلامى.

ثم تلقف تيار الجهاد فكرة الحاكمية من سيد قطب بعد ذلك، وجعلها مرتكز نظريته الجهادية، ثم ارتد عنها تحت تأثير الموجة السلفية السعودية التى أغرقت الواقع الإسلامى بمصر فى فترة السبعينيات واستبدلها بفكرة ابن تيمية.(٥)

ويبدو أن طرح السلف لم يعن تيار الجهاد على إبراز فكرة الحاكمية بصورة تحسم الخلاف وتعين على مواجهة الواقع مما فتح ثغرة للتيارات المناوئة له وفى مقدمتها تيارا الإخوان والسلفيين اللذان أصدرا الكثير من الكتب لإبراز الفكرة الحقيقية للإمامة كما يراها السلف لا كما يراها تيار الجهاد.(٦)

ثم انشق عن التيار السلفى تيار جديد يرى فكرة الحاكمية بصورة واقعية وسطية بين طرح السلف وطرح سيد قطب.(٧)

وبرز تيار تكفيرى جديد يؤمن بالجهاد والصدام مع الواقع، وارتبط ببعض الأحداث التى وقعت فى الساحة المصرية عام ٨٧.(٨)

ومثل هذا الخلاف والتطاحن بين الإسلاميين - والذى يتجلى بصورة واضحة فى الساحة المصرية. وقد أدى ولازال يؤدى إلى انشقاقات وحركة تفريخ مستمرة بين التيارات الإسلامية - مثل هذا الخلاف إنما يعود سببه إلى غياب الفكرة الحقيقية للإمامة عن واقع المسلمين.

وعلى الرغم من أن تيار التكفير قد تحرر من اتباع الرجال وكفر بالتراث السلفى إلا أنه وقع فريسة الأحاديث المتناقضة حول الإمامة. وبالتالى عجز عن استنباط نظرية مواجهة للواقع تكفل له الاستمرار والبقاء..(٩)

كما وقع أيضا تيار الجهاد فريسة عقيدة أهل السنة التى تنص على جواز الصلاة والجهاد وراء كل أمير برا كان أو فاجرا.. وقد دفعت بعناصر الجهاد إلى الهجرة إلى أفغانستان للجهاد هناك تحت رايات يجهلون هوياتها ودوافعها، وقد جذبهم نحوها مظهرها السلفى، ووضوح عقيدة الطرف المحارب وهى الشيوعية.

ولو كانت الفئة المقصودة بالجهاد فى أفغانستان ليست شيوعية وكانت تتبنى أى عقيدة أخرى لما شكلت أى عامل جذب للتيار الإسلامي، حيث إنها فى هذه الحالة فيها شبهة إسلامية، والقتال لا يكون إلا لأصحاب الكفر البواح حسب تعبير الأحاديث، أى أن الأمر بصورة أخرى، لو أن الصراع الدائر فى أفغانستان كان بين المنظمات الأفغانية وبين اليمينيين أو نظام ظاهر شاه ما كان هناك مبرر للجهاد؛ لأن عقيدة أهل السنة كما بينا لا تجيز قتال الحكام حتى ولو كانوا فجارا ظالمين. ولا تجيز إراقة دماء أهل القبلة من الناطقين بالشهادتين حتى ولو كانوا يتسترون بها. ويجيزون الخروج والقتال فى حالة الكفر البواح كما هو حال الشيوعيين الملحدين مع أن هناك الكثير من حالات الكفر البواح ظاهرة فى عصر بنى أمية وبنى العباس من قبل خلفاء يشهد واقعهم وسلوكهم بذلك، إلا أن أهل السنة لم يعلنوا النفير فى مواجهتهم. وهم قد أعلنوها فى أفغانستان لإجماع الحكام على جواز الجهاد فيها.(١٠)

وقضية جواز الصلاة وراء البر والفاجر جعلت الإسلاميين والتيارات الإسلامية تتفاعل مع واقع هى ترفضه وترتع فى مساجد حكومة هى تكفرها وتصلى خلف رجال الدين الحكوميين الذين يضفون الشرعية على الحكومة.. ماذا بقى لها بعد ذلك من عقيدة تواجه بها الواقع.؟

وفى الواقع المصرى حدثت صدامات كثيرة بين تيار الجهاد وبين تيار الإخوان بسبب الصراع على المساجد فى صعيد مصر. كما حدثت صدامات بين التيار السلفى وتيار الإخوان بسبب نفس الأمر، ثم تطور الأمر ليتحول إلى صدام مع الحكومة بسبب هذه المساجد التى اتخذت منها بعض التيارات مقرا لها تبث من خلالها دعوتها خاصة تيار الجهاد فى الصعيد، مما دفع بالحكومة مؤخرا إلى القيام بعملية مصادرات واسعة لهذه المساجد فى بقاع كثيرة فى مصر.(١١)

ولقد شكلت هذه المساجد نقطة ضعف لتيار الجهاد النشط فى صعيد مصر وفى بعض أحياء القاهرة وأتاحت للحكومة فرصة رصدها بسهولة.

ويعود تمسك التيارات الإسلامية فى مصر بالمساجد إلى أساس سلفى تدعمه النصوص النبوية الواردة فى المساجد وأقوال السلف. ولما كانت التيارات الإسلامية فى مصر يسيطر عليها العقل السلفى فمن ثم هى لا تهتم بالأبعاد الأمنية والسياسية لعملية استغلال المساجد أو هى فى غفلة عنها بسبب عقل الماضى.(١٢)

وكان طرح تيار التكفير الذى ظهر فى منتصف السبعينيات بمصر قد تحرر إلى حد كبير من فكرة الإمامة، حيث تبنى قوله تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وخالف تفسير السلف لهذا النص وأخذه على ظاهره.

*** مأزق الوعى:**

تشبعت الحركة الإسلامية المعاصرة بالفكر السلفى الذى تمخض عن الحقبة النفطية المعاصرة التى تغذى من قبل النظام السعودى الوهابى. وقد نتج عن هذا التشبع أن زهدت الحركة الإسلامية فى فقه الواقع وانكبت على كتب السلف، خاصة كتب ابن تيمية، تستقى منها تصورها وعقائدها وأفكارها فى مواجهة الواقع.

وهناك عدة كتب تراثية متداولة بين أيدى الشباب المسلم اليوم خاصة فى مصر كان لها أثرها الفعال فى دعم حالة اللاوعى التى تعيشها التيارات الإسلامية أمام الأحداث والمتغيرات الراهنة.

وفى مقدمة هذه الكتب كتب محمد عبد الوهاب وكتاب العقيدة الواسطية لابن تيمية والعقيدة الطحاوية للطحاوى والعواصم من القواصم لأبى بكر بن العربى. وهذه الكتب الأربعة هى أعمدة الخط السلفى المعاصر وأساس التربية الفكرية للعاملين فى ساحة الحركة الإسلامية.(١٣)

ونحن هنا لن نعرض لهذه الكتب أو نناقش المفاهيم التى تطرحتها وإنما يعنينا الدور الذى تلعبه هذه الكتب وغيرها فى مأزق الوعى الذى تعيشه الحركة الإسلامية اليوم والذى يمكن تجنسيمه فى فكرة الإمامة المنعكسة فى هذه الكتب على حركة التارخ بحيث قتلت حدثيته وعومت حركته وشوهت معالمه مما أدى إلى اضمحلال الوعى التاريخى لدى أجيال الحركة المعاصرة ونتج عن اضمحلال الوعى التاريخى إضمحلال الوعى السياسى ونتج عن الأخير تخبط الحركة فى مواجهة الواقع.

فهذه الكتب، خاصة العواصم من القواصم، تعمى على الصراعات التى دارت بسبب الإمامة بين الصحابة وبعضهم وبين الإمام على وعائشة ثم معاوية. وتخوف المسلم من الخوض فى تفاصيلها ومعرفة دوافعها وأبعادها. وصورت هذا الأمر على أنه مهلكة من الممكن أن تدمر عقيدة المسلم وتنقله من الصراط المستقيم إلى أصحاب الجحيم. وقد اعتبر صاحب العواصم أن السكوت عن هذه الخلافات والصراعات بمثابة عاصمة والخوض فيها بمثابة قاصمة، فكتابه مجموعة من العواصم تقى المسلم من القواصم.

ولقد دخل أمر السكوت عن هذه الأحداث فى صلب الاعتقاد، بحيث أصبح المساس بها وبالشخصيات التى ارتبطت بها يعتبر مساساً بالعقيدة.

تقول العقيدة الطحاوية: ونحب أصحاب رسول الله (ﷺ) ولا نفرط فى حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان. ومن أحسن القول فى أصحاب رسول الله وأزواجه الطاهرات

من كل دنس، وذرياته المقدسين من كل رجس، فقد برىء من النفاق.. وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقة والنظر لايذكرون إلا بالجميل. ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل.

وتقول العقيدة الواسطية: ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله (ﷺ)، ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم، ويفضلون من أنفق قبل الفتح وقاتل على من أنفق من بعد وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار.. ويمسكون عما شجر بين الصحابة، ويقولون أن هذه الآثار المروية فى مساويهم منها ما هو كاذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه الصحيح منه، هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون.

وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوزعليهم الذنوب فى الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر عنهم إن صدر. حتى أنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم لأن لهم من الحسنات التى تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم.

ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته أو بشفاعة محمد (ﷺ) الذى هم أحق بشفاعته. أو ابتلى ببلاء فى الدنيا كفر به عنه.

فإذا كان هذا فى الذنوب المحققة فكيف الأمور التى كانوا فيها مجتهدين وإن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور.

وتقول جوهرة التوحيد: لما ذكر أن صحبة الرسول (ﷺ) خير القرون احتاج للجواب عما وقع بينهم من المنازعات الموهمة قدحا فى حقهم مع أنهم لا يصرون على عمل المعاصى. وإن لم يكونوا معصومين، وقد وقع تشاجر بين على ومعاوية وقد افترقت الصحابة ثلاث فرق:

فرقة اجتهدت فظهر لها أن الحق مع على فقاتلت معه.

وفرقة اجتهدت فظهر لها أن الحق مع معاوية فقاتلت معه.

وفرقة توقفت..

وقد قال العلماء: المصيب بأجرين والمخطىء بأجر واحد.

وقد شهد الله ورسوله لهم بالعدالة. والمراد من تأويل ذلك أن يصرف إلى محمل حسن لتحسين

الظن بهم فلم يخرج واحد منهم عن العدالة بما وقع بينهم لأنهم مجتهدون.

وينص متن الجوهرة على ما يلى: وأول التشاجر الذى ورد ، إن خضت فيه واجتنب داء الحسد.

ويعلق الشارح قائلا: أى إن قدر أنك خضت فيه فأوله ولا تنقص أحدا منهم، وإنما قال المصنف ذلك لأن الشخص ليس مأمورا بالخوض فيما جرى بينهم، فإنه ليس من العقائد الدينية، ولا من القواعد الكلامية، وليس مما ينتفع به فى الدين، بل ربما ضر فى اليقين، فلا يباح الخوض فيه إلا للرد على المتعصبين أو للتعليم. أما العوام فلا يجوز لهم الخوض فيه.

فتأمل كلام ابن تيمية تجده يضفى العصمة على جميع الصحابة ويبرر انحرافاتهم ويضمن لهم مغفرة هذا الانحراف.

وتأمل قول صاحب الجوهرة

وأمام هذا الكلام يجب أن يتوقف العقل عن التفكير ويكف اللسان عن الكلام وإلا حاد عن طريق الفرقة الناجية وأصبح فى عداد الهالكين.

ويقول ابن حنبل: والكف عن مساوىء أصحاب رسول الله (ﷺ)، تحدثوا بفضائلهم وأمسكوا عما شجر بينهم، ولا تشاور أحدا من أهل البدع فى دينك، ولا ترافقه فى سفرك. ولا يجوز لأحد أن يذكر شيئا من مساويهم، ولا يطعن على أحد منهم. فمن فعل ذلك وجب على السلطان تأديبه وعقوبته. ليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه ثم يستتيبه، فإن تاب قبل منه وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة وجلده فى المجلس حتى يتوب.[١٤]

لقد اعتبر أهل السنة كل من يخرج عن هذا النهج مبتدعا، يجب اعتزاله ومعاقبته. وها هو ابن حنبل يحرض السلاطين على ردع المخالفين من أصحاب العقول الذين يريدون فهم حركة التاريخ وأحداثه كمقدمة لفهم دينهم.

وهذا نداء وجهه مجموعة من فقهاء النفط إلى المسلمين يطالبون فيه المسلمين بالسمع والطاعة للحكام، عدلوا أو جاروا ما أقاموا الصلاة وإقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أبرارا كانوا أو فجارا. متبرئين فيه من الخوارج والمعتزلة الذين يرون الخروج على الأئمة، بمجرد الجور والمعصية. داعين إلى التمسك بسنة الخلفاء الراشدين محذرين من البدع ومحدثات الأمور.[١٥]

لقد أدت هذه القواعد السلفية الجامدة إلى تكبيل العقل المسلم وتعطيله عن القيام بدوره الذى خلق لأجله وهو التفكير والتدبر والبحث والتأمل.[١٦]

ولا شك أن الاعتقاد بصواب موقف عائشة وطلحة والزبير وعثمان ومعاوية سوف يؤدى بلا شك إلى تمييع فكرة الحق فى نفوس المسلمين وتسطيحها.

ومثل هذا التمييع والتسطيح سوف ينتج عنه مفهوم غير واع بالإسلام وبالقوى التى تتربص به وتهدد مسيرته.

إن أخطر النتائج من وراء الاعتقاد بعدالة جميع الصحابة وعدم الخوض فى مساوئهم وانحرافاتهم هى ضياع فقه العدو الذى يعد الركن الأساسى لقيام مواجهة واعية وفاعلة من أجل التغيير وتمكين الإسلام.

وإن مثل هذه العقائد إنما هى من اختراع السياسة بهدف حماية الحكام وأصحاب المصالح والنفوذ. وقد طوعت لأجلها الكثير من النصوص من أجل إضفاء الصبغة الشرعية عليها حتى يتقبلها الناس.

فمادام معاوية أصبح إماما ومجتهدا مأجورا عدلا وكل حكام المسلمين ممن على شاكلته أصبحوا أئمة للمسلمين يجب السمع والطاعة لهم، فمن هو الذى يتآمر على الإسلام إذن؟! ومن الذى عوق مسيرته وأوصلنا إلى مرحلة السقوط والضياع والانحطاط التى نعيشها اليوم..؟!

ولقد تفرخ عن هذا الاعتقاد إضفاء الشرعية على نظام آل سعود الذى يعد امتدادا للأنظمة السابقة التى حكمت المسلمين من بعد وفاة الرسول (ﷺ) والذى تمكن بعون الفقهاء وبعض التيارات الإسلامية وفى مقدمتها تيار الإخوان المسلمين من اختراق الحركة الإسلامية واحتوائها، وهذه النتيجة هى أخطر نتائج هذا الاعتقاد السلفى. أن أصبحت التيارات الإسلامية ألعوبة فى يد الحكام وعلى رأسهم آل سعود..

ولقد عايشنا ولازلنا نعايش تجربة تيار الإخوان المسلمين مع آل سعود ومدى الآثار السلبية التى نتجت عن هذا التعايش بين الإخوان والسعوديين على الحركة الإسلامية بشكل عام.

وهنا نصل إلى تشخيص مأزق الوعى الذى تعيشه الحركة الإسلامية اليوم تشخيصا واقعيا له امتداداته من الماضى.

كيف يمكن للحركة الإسلامية أن تبنى خطة فاعلة فى مواجهة الواقع وهى لا تملك القدرة على التمييز بين العدو والصديق..؟

إن الذين لم يفرقوا بين على ومعاوية فى الماضى لن يفرقوا بين آل سعود والإسلام فى الحاضر..

ولن يفرقوا بين الجهاد فى فلسطين والجهاد فى أفغانستان..

إننى لا أجد بين التيارات الإسلامية المعاصرة وبين الرموز البارزة فى ساحتها من يجرؤ على الخوض فى آل سعود أو سحب الاعتراف بهم كنظام إسلامى.

ذلك لأن بركات النفط قد حلت على الجميع وعلى رأسها التيارات الإسلامية، والفضل يرجع فى ذلك كله إلى الإخوان المسلمين الذين لاذوا بهذا النظام واحتموا به، ووجدت التيارات الإسلامية ورموزها البارزة مايبرر موقفها من آل سعود فى عقائد السلف التى أضفت الشرعية على الأمويين والعباسيين وحتى المماليك.

والسعوديون لا يختلفون عن هؤلاء فى شىء، وهم يرفعون راية السلف وينشرون دعوتهم فى الآفاق، ففى نصرة دعوة السلف نصرة لهم. فعقائد السلف تمنحهم الشرعية كما منحت بنى أمية وبنى العباس، وتعتبرهم أئمة يجب على المسلم أن يسمع لهم ويطيع ويقاتل تحت رايتهم إيران والعراق وسائر البغاة المارقين ويصلى ويحج معهم.

إن تلك هى النتيجة الطبيعية لكل الذين يسيرون على خط بنى أمية أن يكونوا فى النهاية من السائرين على خط آل سعود..

وهذه هى النتيجة التى أوصلت الحركة الإسلامية إلى مأزق الوعى الذى تعيشه والذى أوقعها فريسة الأخطبوط السعودى.

*** مأزق الخروج:**

يعد تيار الجهاد من أكثر التيارات الإسلامية حيرة فى مواجهة الواقع. فالتيار السلفى وتيار الإخوان قد تبنيا موقف السلف وعقائدهم فى مواجهة الواقع والتى تحض على الاستسلام له والتعايش معه.

أما تيار الجهاد فيسعى جاهدا للصدام مع الواقع، غير أنه لايجد فى الأطروحة السلفية التى يتبناها ما يعينه على ذلك، فالنصوص النبوية التى تحدد علاقة الحاكم بالمحكوم تقيده..

والنصوص السلفية التى ألحقت بهذه النصوص النبوية زادت الأمور تعقيدا ووضعت عشرات العراقيل أمام أية محاولة للخروج والانتفاضة فى وجه الحكام. والتيارات الإسلامية الأخرى التى تتحصن بهذه النصوص تتربص به..

ومن ثم اندفع هذا التيار يخوض فى تراث السلف عسى أن يجد شيئا يدعم به تصوره ويضفى عليه المشروعية.

وسرعان ما تم اكتشاف موقف لابن تيمية وبعض فتاوى خاصة به وببعض أتباعه تلقفها تيار

الجهاد فى شغف وصدع بها فى مواجهة الواقع والتيارات الأخرى المناهضة. أما الموقف فيتمثل فى رؤية ابن تيمية لحادثة وقعت فى عصره لمجموعة من التتار الذين أسلموا ثم قاموا بإعداد دستور للحكم أسموه «الياثق» وهو خليط من أفكار جنكيز خان على آيات من القرآن والإنجيل والتوراة. فحكم ابن تيمية بكفرهم وردتهم عن الإسلام واعتبرهم من معطلى الشرائع الذين تستباح دماءهم وأموالهم، وله فتوى كبيرة حول هذا الأمر[١٧]

وهذه الفتوى اعتمدها تيار الجهاد وطبقها على الواقع والحكام وجعل منها منطلقه الفكرى والعقائدى فى مواجهة الواقع بالإضافة إلى فتاوى أخرى له موجهة إلى أهل الذمة من اليهود والنصارى تستبيح أموالهم ودماؤهم فى أحوال معينة.

وقد نسى تيار الجهاد أو تناسى أن طرح ابن تيمية هذا يعد طرحا شاذا فى وسط أهل السنة كحال أطروحاته الأخرى فى مسائل الفقه والاعتقاد.

إلا أن ما يجب أن نبينه هنا أن معظم التيارات الإسلامية المعاصرة، خاصة التيارات الإسلامية فى مصر، قد رضعت الفكر الوهابى السعودى وارتوت منه طوال فترة السبعينيات والثمانينيات وهى فترة نمو هذه التيارات واشتدادها.

ومن المعروف أن الخط الوهابى نهض أساسا على فكر ابن تيمية وأطروحاته الشاذة التى ضربت تاريخيا وتم بعثها من جديد على أيدى ابن عبد الوهاب.

وينبغى لنا أن نقرر هنا أن تيار الجهاد فى مصر عندما قرر اغتيال السادات واستباحة دمه اعتمد فى المقام الأول على فتوى ابن تيمية المتعلقة بالتتار. كما اعتمد على فتاواه الأخرى المتعلقة بأهل الذمة فى استباحة دماء وأموال نصارى مصر[١٨]

وكتاب «الفريضة الغائبة» الذى قام بتأليفه محمد عبد السلام فرج أحد الخمسة الذين أعدموا فى عملية اغتيال السادات اعتمد فى المقام الأول على آراء ابن تيمية ومن سار على نهجه فى تكفير الحكام واستباحة دماء أهل القبلة..

وفتوى قتل السادات إنما صدرت فى نهاية عهده أى بعد فترة لا تقل عن عشر سنوات من حكمه، وبعد أن كشر عن أنيابه فى وجه التيارات الإسلامية، وأعلن فصل الدين عن الدولة، وقرر أنه لا سياسة فى الدين ولا دين فى السياسة، وشبه حجاب النساء بالخيمة، ثم أصدر قراراته بتصفية الحركة الإسلامية.

ومثل هذه المواقف والقرارات من قبل السادات هى التى دفعت تيار الجهاد إلى البحث فى أمر

قتله واستصدار الفتوى التى تبيح ذلك.

ولو لم يكن السادات قد أقدم على هذه الأمور ما كان قد استفز التيار الإسلامى وعجل بصدور فتوى استباحة دمه.

إن القاتل الحقيقى للسادات هو ابن تيمية وما كان الذين أطلقوا الرصاص عليه سوى أدوات عصرية حركها عقل الماضى، لأجل ذلك فإن هذه العملية المذهلة لم تكن فى حقيقتها سوى طفرة حركية بدأت وانتهت أو قامت وقعدت فى مكان الحادث ولم تتجاوزه.

ويعود السبب فى ذلك إلى أن منطلق التحرك لقتل السادات لم يكن منطلقا سياسيا تغييريا وإنما كان منطلقا شرعيا على أساس فتوى صادرة فيه وحده دون من حوله، حرص منفذوها على ألا تصيب رصاصاتهم غير السادات من باب الحرص الشرعى.

ومثل هذه الحادثة التاريخية التى عجزت الحركة الإسلامية فى مصر عن استثمارها إنما تؤكد لنا مدى الانتكاسة الحركية التى منيت بها الحركة بسبب تلك الأفكار السلفية العقيمة التى تتعلق بفكرة الإمامة التى تضع عشرات المحاذير حول الخروج على الحكام والصدام معهم والتى هى فى الأصل من اختراع السياسة..

لقد كان طرح تيار الجهاد يعد طرحا سياسيا سلفيا مهزوزا فى مواجهة طرح التيارات الأخرى التى ترفض فكرة الخروج وتدين بالسمع والطاعة للحكام.

والمتأمل فى الردود التى تصدت لتيار الجهاد من قبل الأزهر وفقهاء السلطة والتيار السلفى سوف يتبين له قوة هذه الردود وتحصنها بالنصوص التى تعصم دماء الحكام وتوجب السمع والطاعة لهم وهى مروية فى الغالب فى الصحيحين مما يجعل فرصة نقدها أو تضعيفها غير واردة.

من هنا يتبين لنا مدى جسامة المأزق الحركى «مأزق الخروج» الذى يعانيه تيار الجهاد بسبب هذا الكم الهائل من النصوص المتعلقة بالإمامة عند أهل السنة والتى تجعل مسألة الخروج على الحكام والصدام تتطلب الخروج على هذه النصوص وتحطيم الأطر السلفية واستبدالها بأطر أخرى أكثر وعيا وارتباطا بالواقع. وهذا ما لا يجرؤ أحد على فعله.

والتيار الإسلامى الوحيد الذى تجرأ على هذه الأطر السلفية هو تيار التكفير غير أنه لم يوظف تصوره توظيفا صحيحاً..

هوامش

١ـ طرح سيد قطب فكرة الحاكمية بصورة صدامية مع القوى الحاكمية، وفى هذا تحرر من عقيدة أهل السنة التى توجب طاعة الحكام والصبر عليهم ونصحهم، مما دفع بالإخوان المتقيدين بعقيدة أهل السنة إلى الصدام معه. وقد شكل طرح سيد قطب هذا جاذبية كبيرة للشباب المسلم آنذاك الذى استفزه عبد الناصر وهجمته الشرسة على جماعة الإخوان كما شكل جاذبية للشباب فيما بعد مما استفز الإخوان ودفعهم إلى مهاجمته ومحاولة عزل الشباب عن طرحه.

٢ـ انظر لنا الحركة الإسلامية فى مصر رؤية واقعية لمرحلة السبعينيات ط القاهرة.

٣ـ ينادى سيد قطب بالجهاد وتكفير الحكومات / انظر معالم فى الطريق..

٤ـ ارتبط حسن البنا بحكومات عصره، وكان على صلة بالقصر، وقد تصدى الإخوان لطرح قطب داخل المعتقلات فى فترة الستينيات، وكذلك طرح تيار التكفير الذى انبثق عنه، وكتبوا الردود ضدهما. وقد جمعت هذه الردود بعد ذلك فى كتاب تحت عنوان: «دعاة لا قضاة»، وهو من نشر الإخوان وتأليف المرشد الراحل حسن الهضيبى.

٥ـ أغرق سوق الكتاب بمصر من فترة السبعينيات بكتب التيار الوهابى والتى كانت توزع مجانا على طلبة الجامعات، وأسهمت فى تشكيل عقولهم وسيادة الطرح السلفى خاصة طرح ابن تيمية على سائر الأطروحات الأخرى السائدة فى الوسط الإسلامى بمصر آنذاك وعلى رأسها الطرح الحركى الواقعى وطرح حزب التحرير.

٦ـ أصدر الإخوان كتاب دعاة لا قضاة للهضيبى. وكتاب الحكم وقضية تكفير المسلم لسالم بهنساوى وأصدر التيار السلفيالكثير من كتب السلف وعلما السعودية حول هذا الأمر.

٧ـ أصدر هذا التيار أول منشوراته بتكفير الحكام ورفض الانتخابات التشريعية التى كان قد أسهم فيها التيار الإسلامى. وكان هذا المنشور تحت عنوان: القول السديد فى أن دخول مجلس الشعب مناف للتوحيد.

٨ـ هو التيار الذى قاد حركة اغتيالات غير ناجحة آنذاك ضد وزيرى الداخلية النبوى إسماعيل وحسن أبو باشا ومكرم محمد أحمد رئيس تحرير مجلة المصور المصرية. انظر لنا الحركة الإسلامية فى مصر واقع الثمانينيات.

٩ـ تبنى تيار التكفير فكرة رفض التقليد ووضع قاعدة (من قلد كفر) واستند إلى قوله

تعالى: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) التوبة.. وهو بالتالى كفر بالتراث ونتاجات الفقهاء. لكنه وقع فى حيرة بسبب الأحاديث المتناقضة حول طاعة الحكام والخروج عليهم وكفرهم وحول وضع الصحابة وتجاوزاتهم واجتهاداتهم على النصوص مما دفع به إلى استنباط نظرية سلبية فى مواجهة الواقع تقول برفض الجهاد وانتظار حدوث الملحمة الكبرى آخر الزمان.

١٠- لو أن السعودية كانت تنازلت عن دعم الثورة الأفغانية لما حدث ذلك الإجماع على تأييد هذه الثورة ودعمها من قبل دول الخليج وباكستان وغيرها.ظ ولما انزلقت الحركة الإسلامية فى متاهة هذه الثورة التى كان وقودها النفط والدولار. ولو لم يكن هناك إجماع من فقهاء النفط على مواجهة الكفر البواح فى أفغانستان ما شكلت الثورة الأفغانية أدنى جاذبية للشباب المسلم الذى اندفع أفواجا فى صفوفها، وقد أدت الثورة الأفغانية خدمة جليلة لحكام النفط وفقهائهم، إذ صرفت وجوه هؤلاء الشباب عن الكفر البواح فى بلادهم.

١١- انظر لنا الحركة الإسلامية فى مصر. وقد تركزت حركة مصادرة المساجد فى صعيد مصر حيث ينشط تيار الجهاد السلفى..

١٢- انظر الحركة الإسلامية، والعقل المسلم بين أغلال السلف وأوهام الخلف.

١٣- انظر مناقشة هذه الكتب الثلاثة فى كتابنا فقه الهزيمة.

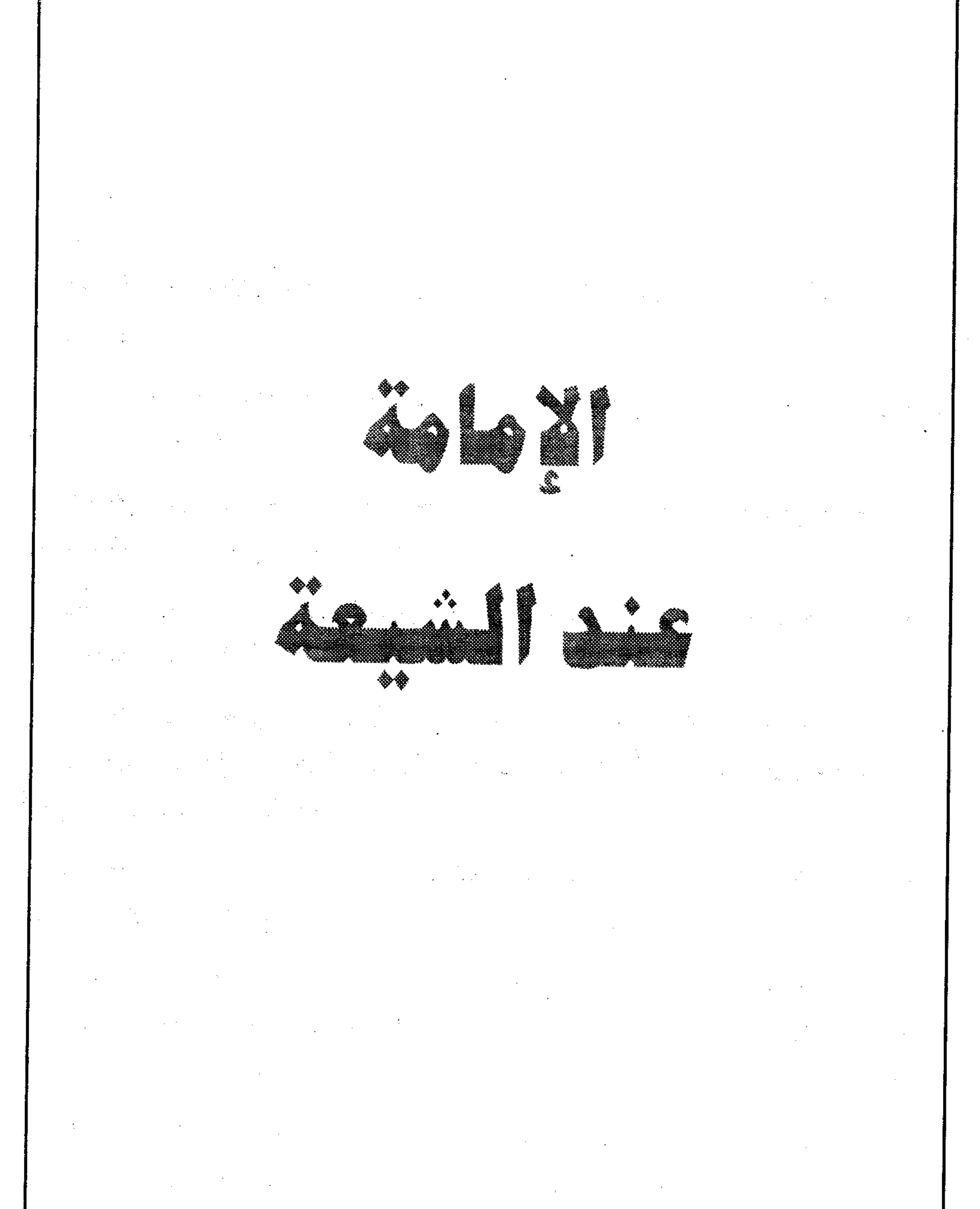
١٤- ابن حنبل / السنة وعقيدة أهل السنة والجماعة.

١٥- نداء عام من علماء البلد الحرام فى معتقد أهل الإسلام ط السعودية.

١٦- انظر لنا العقل المسلم.

١٧- انظر تفاصيل هذه الفتوى فى الفتاوى الكبرى لابن تيمية..

١٨- جمعت هذه الفتاوى وغيرها فى كتاب الفريضة الغائبة الذى ألفه محمد عبد السلام فرج وكان يوزع سرا في الوسط الإسلامي، وعمليات السطو على محلات الذهب التى يملكها المسيحيون تعتمد على هذه الفتاوى، وكذلك عمليات حرق الكنائس.



الإمامة

عند الشيعة

تعد الإمامة عند الشيعة أصلاً من أصول الدين.. وهذا الأصل هو ما يميزها عن أهل السنة وعن الفرق الأخرى.

ولأجل تبنى الشيعة قضية الإمامة نعتوا بالشيعة الإمامية، أى الذين يعتقدون فى اثنى عشر إماما بعد الرسول (ﷺ).

والشيعة حين تتبنى قضية الإمامة إنما تستند فى ذلك إلى حجج شرعية تتمثل فى نصوص قرآنية ونبوية بالإضافة إلى حجج عقلية.

وهذه النصوص القرآنية والنبوية يعمل بها أهل السنة أيضاً لكنهم لا يفهمون منها ذلك الفهم الذى تفهمه الشيعة منها.

وهذا لا يعنى أن جميع نصوص الإمامة تعد نصوصا ظنية، بل هناك نصوص قطعية واضحة الدلالة على الإمامة إلا أن أهل السنة سيراً مع قاعدة التأويل والتبرير يخضعون هذه النصوص للمفهوم الذى يتناسب مع عقائدهم.

ولا يخفى أن السياسة تدخلت فى تفسير النصوص المتعلقة بالإمامة بل إنها اخترعت نصوصا مضادة لها على ما سوف نبين.

وتحاول بعض الاتجاهات من القدماء والمعاصرين إثارة الشبهات حول فكرة الإمامة عند الشيعة، وذلك بهدف تقويضها والتشكيك فى نشأتها لإيصال المسلمين إلى قناعة بأنها فكرة طارئة على الدين ومخترعة من قبل عناصر مدسوسة.

ولقد شغلت قضية الإمامة المسلمين من بعد وفاة الرسول (ﷺ) وشهرت السيوف وأريقت الدماء ودب الخلاف بين الأمة بسببها، وما كان كل ذلك يمكن أن يحدث لولا أن هناك انحرافا حدث عن خط الرسول بدأ مع مرحلة السقيفة وانتهى بظهور الملكية فى الإسلام على يد معاوية.[١]

ومثل هذا الاهتمام وهذا الصراع الذى دار حول الإمامة إنما يؤكد أهميتها وكونها ليست من

القضايا الهامشية فى الدين كما يحاول أهل السنة أن يصوروا ذلك.

وجوهر الخلاف بين الشيعة وأهل السنة حول الإمامة إنما يكمن فى موقف كل من الطرفين من آل البيت.

فموقف أهل السنة من آل البيت هو موقف عائم، فهم يعرفونهم بأنهم أزواج النبى وآل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس.[٢]

أما موقف الشيعة فهو موقف محدد يحصرهم فى ذرية على، ولديهم من النصوص ما يدعم هذا الموقف.

وبالطبع فإن مثل هذا الموقف العائم من قبل أهل السنة لا تبنى عليه فكرة الإمامة خاصة أنهم لا يجعلون لآل البيت أية خصوصية تميزهم عن بقية المسلمين.

أما حصر آل البيت فى ذرية على وإيجاد خصوصية لهم بحكم النصوص فيفرض وجوب الإمامة عليهم، وهو ما تقول به الشيعة.

وسوف نعرض فى هذا الفصل لنظرية الإمامة عند الشيعة مستعرضين للأدلة الشرعية والعقلية التى تقول بوجوبها.

ـ هل الإمامة ضرورة..؟

يعتبر الشيعة أن الإمامة ضرورة كضرورة الرسل.. فكما أن مهمة الرسل هى هداية أقوامهم وإرشادهم إلى الصراط المستقيم كذلك مهمة الإمام بالنسبة لقومه.

والإمام هو وصى الرسول.. وما من رسول إلا وله وصى يكون حجة على قومه من بعده كهارون بالنسبة إلى موسى.. وعلى بالنسبة إلى محمد (ﷺ).

ونظرا لكون الرسول محمد هو خاتم المرسلين فالحاجة لوجود إمام من بعده أشد وأكثر ضرورة من حاجة الرسالات السابقة.

وإذا كان الله يرسل الرسل إلى أقوامهم لأجل هدايتهم وإصلاح معتقداتهم فيمكث الرسول فيهم إلى ما شاء الله حتى إذا توفى وطال على قومه الأمد، انحرف قومه وفسدت معتقداتهم مما يقتضى إرسال رسول جديد لهم..

فما هو الضمان الذى يحول دون انحراف أمة محمد من بعده وهم كبقية الأمم السابقة لابد أن ينطبق حالها على حالهم.؟

لعل الجواب البديهى عن هذا السؤال هو القرآن.

لكن هذه الإجابة مردودة على أصحابها لسبب وجيه هو أن الرسل السابقين كانوا يتركون فى أقوامهم كتباً ومع ذلك انحرفوا.

ترك موسى التوراة وضل بنو إسرائيل.

وترك عيسى الإنجيل وضل أنصاره فى سبل شتى.

إذن لابد من حجة قائمة تحمى الكتاب الذى جاء به الرسول وتحفظه للأمة من بعده وتكون علامات على طريق الهداية والصراط المستقيم الذى دعا إليه الرسول.

وقد يقول قائل: إذا كان هناك وصى للرسول يكون حجة من بعده وهدى للناس، فلماذا ضلت الناس إذن وتطلب الأمر إرسال رسول آخر. ؟

إننا يجب علينا أن نعلم أساساً أنه ليست مهمة الرسل هى هداية جميع الناس أو تحويلهم لملائكة. فإن الرسول مهمته الأساسية هى البلاغ والسامع مخير بين أن يهتدى وأن يختار الضلالة.

وقد ذهب موسى لميقات ربه وترك هارون على قومه فعبدوا العجل ولم يستطع هارون أن يحول بين قوم موسى وبين عبادة العجل.

فإذا كان الناس يضلون فى عهد الرسل أفلا يضلون فى عهد الأوصياء. ؟

وإذا كان الرسل لم يستطيعوا الحيلولة دون ضلال الناس فهل يستطيع الأئمة. ؟

إن الله سبحانه يقول: «وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر»[٣]

ويقول: «لست عليهم بمسيطر»[٤]

وهى نصوص موجهة للرسول بهدف تبصيره بحقيقة موقف الجماهير من الدعوات الإلهية، فليس من سلطة الرسول إكراه الناس على الإيمان.

ولأجل ذلك فإن الذين اهتدوا واتبعوا الرسل هم قلة..

وكذلك الأمر بالنسبة للوصى.

إلا أن الأمر بالنسبة للأقوام السابقة أنه بعد الرسل وبعد الأوصياء كان الله سبحانه يجدد دعوته بإرسال رسل يكملون مهمة الرسل السابقين لهم، أو يأتون بدين جديد. لكن الأمر بالنسبة لقوم محمد (ﷺ) كان مختلفاً.

إذ أن الرسول كان خاتم المرسلين، مما يقتضى الأمر وجود أوصياء على مر الزمان من بعده وحتى تقوم الساعة.

وهنا تبرز فكرة الإمامة وأهميتها.

إن دور الإمام إنما هو مكمل لدور الرسول ومتمم له. فقد يكون وسيلة لدخول أقوام آخرين فى دين الله لم يدخلوا فى حياة الرسول. وقد يكون وسيلة لحسم الردة والخلاف من بعد الرسول. وهو سنة ثابتة تسير مع حركة الدعوات الإلهية وليست معصومة منه أمة محمد. وقد يكون وسيلة لتبصير الناس بحقيقة دينهم إلا أن ذلك كله ليس هو المهمة الأساسية للإمام. إنما مهمة الإمام الأساسية هى إقامة الحجة على الناس من بعد الرسول.

ولعل هذا هو المراد من قوله تعالى: (يوم نبعث كل أناس بإمامهم..)[٥]

فهذا النص إنما هو موجه إلى الأقوام التى سوف تأتى بعد الرسول، حيث لا رسل ولا أنبياء وإنما أئمة يدعون إلى حقيقة الاسلام ويكونون حججا على الناس يوم البعث والحساب.

وهناك حديث يقول: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية.[٦]

فكأن الإمام هو الفيصل بين الإسلام والجاهلية، فمن تبعه فقد دخل فى حظيرة الإسلام ومن خالفه دخل خظيرة الجاهلية.

وأهل السنة فسروا الإمام فى النص القرآنى المذكور بالكتاب وبالرسول كما فسروا الإمام فى النص النبوى بالحاكم، ولذا كان ابن عمر وأنس والتابعون يسارعون إلى مبايعة الحاكم فى زمانهم والالتزام بخطه مخافة أن يموتوا على الجاهلية. حتى أن ابن عمر بايع الحجاج فى زمانه مخافة أن يموت دون أن يكون مرتبطاً بإمام زمانه وكان قبل ذلك قد بايع معاوية ويزيد ولم يبايع علياً.[٧]

وتفسير الإمام بالكتاب هو قول مردود لعدة وجوه:

الأول: إن هذا التفسير مناقض للغة فلم يرد الكتاب بمعنى إمام فى اللغة.

الثانى: إن هناك كثيرا من الأقوام لم يبعث إليهم رسل وليس لديهم كتب.

الثالث: إن تفسير الإمام بالرسول مناقض للغة، فالرسول يمكن أن يكون إماماً من باب الوصف والمجاز وليس من باب المعنى الحرفى.

الرابع: إن الذين فسروا الإمام بالكتاب اعتمدوا فى تفسيرهم على قوله تعالى: (فمن أوتى كتابه بيمينه..) وقوله: (إمام مبين)

وفاتهم أن الكتاب المقصود هنا هو سجل الأعمال الخاصة بالمرء فى الدنيا. وليس الكتاب الذى جاء به الرسل.

الخامس: إن لفظ أناس يخص المؤمن وغير المؤمن. وغير المؤمن ليس له كتاب.

السادس: إن اللفظ الواحد قد يتكرر فى القرآن بمعان مختلفة.

السابع: إن معانى القرآن صريحة ومحددة، ولو كان الله سبحانه يريد بالإمام الرسول لذكر ذلك صراحة.

الثامن: أنه لايعقل أن يبعث كل إنسان يوم القيامة بكتابه. وهذا يناقض ما جاء فى القرآن. والله سبحانه لم يبين لنا ذلك فى حق الرسل، فكيف يمكن أن يتحقق فى أتباعهم أو أقوامهم؟ ثم إن كل رسول هو حجة على قومه بالكتاب الذى جاء به إليهم. فما هى الحاجة إلى أن يبعثوا بكتابهم..؟

إن وجود الإمام بالنسبة للأمة ضرورة حيوية ينبنى عليها وجودها ومستقبلها. وإن ماعانته الأمة من بعد الرسول وحتى يومنا هذا من فرقة وشتات ومظالم ومفاسد وانحرافات أضاعت هوية الإسلام وأشقت المسلمين إنما يعود سببه إلى فقدان الإمامة من واقع المسلمين.

لقد أدى تعيين الحكام مكان الإمام وإلزام الأمة بطاعتهم بأحاديث مخترعة إلى دخول الأمة مرحلة عبادة الأصنام. فإن الإمام هو الممثل الحقيقى للإسلام وأية قوى تغتصب حقه فى تمثيل الإسلام هى قوى صنمية تعبر عن إسلام زائف مخترع يهدف إلى إضلال الأمة وتعبيدها لغير الله.

إن الانحراف عن الإمام يعنى الانحراف عن النص. والانحراف عن النص يعنى عبادة الرجال بجعل أقوالهم نصوصاً يتعبد المسلمون بها.

ولما كانت الأمة قد انحرفت عن أئمتها من بعد وفاة الرسول (ﷺ) فقد استبدلت هؤلاء الأئمة بالصحابة والحكام والتابعين والفقهاء الذين شيدوا بالروايات إسلاما آخر غير الإسلام الذى تركه الرسول.

شيدوا أصناماً كثيرة وأضفوا عليها قداسة مصطنعة كى تصد الناس عن سبيل الله وتحول بينهم وبين معرفة حقيقة الإسلام.

لقد نبت بعد الرسول أكثر من إسلام، وأكثر من حكومة، بالإضافة إلى آلاف الروايات، كل ذلك بهدف سد الفراغ الذى أحدثه غياب الإمام، أو بمعنى أدق تغييبه عن واقع الأمة.

ضرورة الإمامة هى ضرورة شرعية قبل أن تكون ضرورة عقلية حددها الرسول للأمة قبل وفاته على

ما سوف نبين..

ماذا جنت الأمة من الحكام على مر الزمان؟

وماذا جنت الأمة من الروايات التى اخترعتها السياسة؟

وماذا جنت الحركة الإسلامية اليوم من الأئمة الزائفين الذين حلوا محل أئمة الحق.

إن الحركة الإسلامية المعاصرة لن تنجح يوماً فى إقامة الدولة الإسلامية ما ظلت تتسلح بهذا الفكر الذى اخترعه الحكام وما ظلت مستمسكة بعقيدة حكومية.

إن هذه العقيدة لن تعطيها القدرة على مواجهة الحكام. وهى تجعل صراعها معهم أشبه بالصراع العائلى الذى من الممكن أن ينتهى فى أى وقت بالتصالح أو بالتنازل.

وإن تجربة الحركة الإسلامية اليوم مع الحكام لتشهد بذلك، وفى مقدمة هذه التجارب تجربة تيار الإخوان المسلمين مع نظام عبد الناصر فى مصر.

وقد بات من الضرورى على الحركة اليوم أن تتسلح بعقيدة الإمامة الحقة فى مواجهة الواقع، فهذه العقيدة هى التى سوف تمنحها القدرة والفاعلية على المواجهة والسعى بخطى ثابتة نحو التغيير.

يقول السيد شبر: إن ماذكر فى بيان الاضطرار إلى الرسل فهو بعينه جارٍ فى الاضطرار إلى أوصيائهم وخلفائهم؛ لأن الاحتياج إليهم غير مختص بوقت دون آخر، وفى حالة دون أخرى. ولايكفى بقاء الكتب والشرائع من دون قيم لها عالم بها. ألاترى إلى الفرق المختلفة والمذاهب المتباينة كيف يستندون فى مذاهبهم كلها إلى كتاب الله عزوجل.

فيستند المجسم إلى قوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى)..

و(يد الله فوق أيديهم)..

والمجبر إلى قوله: (قل كل من عند الله)..

ومن قال برؤية الله إلى قوله :(وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)..

ومن قال بخلق الأفعال إلى قوله: (يضل من يشاء ويهدى من يشاء)..

وبالجملة فإنك لاترى فرقة من الفرق المحقة أو المبطلة إلاوهى تستند إلى كتاب الله بل وإلى سنة رسوله (ﷺ)، وذلك لأن كتاب الله فيه المحكم والمتشابه والمجمل والمؤول والناسخ والمنسوخ، والسنة فيها ذلك أيضاً مع وقوع الكذب والتحريف والتصحيف. هذا كله مع جهل أكثر الخلق بمعانيها وتشتت أهوائهم وزيغ قلوبهم.

فلابد حينئذ لكل نبى مرسل بكتاب من عند الله عزوجل أن ينصب وصياً يودعه أسرار نبوته وأسرار الكتاب المنزل عليه، ويكشف له مبهمه ليكون ذلك الوصى هو حجة ذلك النبى على أمته، ولئلا تتصرف الأمة فى ذلك الكتاب بآرائها وعقولها، فتختلف وتزيغ قلوبها كما أخبر الله تعالى بذلك فقال: (هو الذى أنزل عليك الكتاب فيه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات. فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلاالله والراسخون فى العلم..)(٨)

إن إدراك مدى أهمية الإمامة وضرورتها يتبين لنا إذا ما قمنا برصد الجانب الآخر الذى حل محل الإمام وتسلط على الأمة. ماذا قدم للإسلام والمسلمين..؟

هل تمكن من سد الفراغ الذى حدث بغياب الإمام..؟

هل قضى على الفرق والخلافات والمظالم والانحرافات..؟

هل عبر عن الوجه الحقيقى للإسلام..؟

لاشك أن أى متأمل فى واقع المسلمين بعد وفاة الرسول (ﷺ) يمكنه أن يجيب بالنفى..

فلا أبوبكر ولاعمر ولاعثمان ولامعاوية وبنوه ولابنو العباس تمكنوا أن يقنعوا الأمة بإمامتهم. نعم لقد اعتبرتهم الأمةخلفاء وحكاما لكنها لم تعتبرهم أئمة.

إلا أن فقهاء السلاطين وجيوش المنافقين أرادت أن تضفى على هؤلاء صفة الأئمة حتى تضلل الأمة عن الأئمة الحقيقيين، واخترعت مئات الأحاديث على لسان الرسول لتجبر الأمة على طاعتهم والسير على هديهم.

إننا لم نسمع أنه قيل الإمام أبو بكر أو الإمام عمر أو الإمام عثمان.

فقط سمعنا وعلمنا أنه قيل الإمام على. فالقوم على الرغم من موقفهم من قضية الإمامة إلا أن الله أنطق الحق على لسانهم فمنحوا لقب الإمام لعلى وحده.

إننا إذا اعتبرنا الإمامة منصباً اجتهادياً أو يقوم على الشورى كما يقول أهل السنة فإن ضرورتها تنتفى وتكون بهذه الصورة مسألة اختيارية تتغير بإرادة الرعية.. أما إذا اعتبرناها منصباً إلهياً فهنا تكمن ضرورتها. فإن الله سبحانه لا يوجب على العباد شيئاً لا ضرورة له أو تكون له أهمية هامشية. فغير الواجب يترك أمره للأمة تأخذ به أو تتركه، فهى فى مواجهته بالخيار. أما فى مواجهة الواجب فهى ملزمة مقيدة به.

ولقد عمل خصوم آل البيت على تعويم فكرة الإمامة والتقليل من شأنها حتى تهون فى أعين

المسلمين وبالتالى تنتفى ضرورتها وتفقد أهميتها. وألصقوا الإمامة بكل من هب ودب من الناس واخترعوا الأحاديث التى توجب السمع والطاعة لهم.

يقول الشيخ جعفر السبحانى: إن رحلة النبى الأكرم أحدثت فراغاً هائلاً فى مختلف المجالات المادية والمعنوية، ومقتضى لطفه سبحانه وعنايته بالعباد أن يملأ هذا الفراغ بإنسان يخلف النبى، ولايقدر على ذلك إلا الإنسان المثالى الذى يكون له من الوعى والتربية والعلم والشجاعة مثل ما كان للنبى سوى كونه نبياً ذا شريعة ومتلقياً للوحى.

كان النبى (ﷺ) يقوم بمسئووليات كثيرة تجمعها الأمور التالية:

ـ إدارة أمور الأمة فى مختلف مجالاتها الحيوية: السياسية والاقتصادية والعسكرية والقضائية وغيرها مما تجمعها إدارة الحكومة.

ـ تفسير الكتاب العزيز وتوضيح مقاصده وبيان أهدافه وكشف أسراره.

ـ الإجابة عن الأسئلة الشرعية التى لها مساس بعمل المسلم فى حياته من حيث الحلال والحرام.

ـ الرد على الشبهات والتشكيكات التى يلقيها أعداء الإسلام ويوجهونها ضده من يهود ومسيحيين وغيرهم، فكان يرد عليها تارة بلسان الوحى المقدس وأخرى بلسان الحديث.

ـ صيانة الدين الإسلامى عن أى فكرة تحريفية، وعن أى دس فى التعاليم. فلم يكن لأى دساس مقدرة على تحريف الدين أصولاً وفروعاً.

ـ يدفع بأمته فى طريق الكمال والتقدم الروحى.

ولا شك أن النبى كان يقوم بهذه المسئوليات، وكان فقدانه وغيابه عن الساحة يلازم حدوث فراغ هائل فى حياة الأمة لا يسد إلا بإنسان يتمتع بتلك الكفاءات عدا النبوة وتلقى الوحى.. والفراغ الأول وإن كان يملأ باختيار الإمام من جانب الأمة، لكن الفراغ الباقى لا يسد إلا بإنسان مثالى تربى فى وضع خاص من العناية الإلهية.

ولما كانت هذه الأمور النفسية والمؤهلات المعنوية التى يتمكن بها الإنسان المثالى من ملء الفراغ لا يمكن الوقوف عليها ومعرفتها إلا بتعريف من الله تعالى وتعيين منه، فلأجل ذلك صار الأصل عند الشيعة فى مسألة الإمامة هو التنصيب والتعيين من جانبه سبحانه.[٩]

تعيين الإمام..

لما كانت الشيعة تتبنى عقيدة خاصة فى الإمام، فمن ثم فإن مسألة اختياره تعتمد على النص فى المقام الأول، ثم على العقل بعد ذلك.

والنص إما أن يكون من الله تعالى..

أو من رسوله..

أو من إمام ثابتة إمامته بالنص.

أما العقل فيقول إن الناس فى كل وقت محتاجون إلى عالم بكل ما كلف الله تعالى به عباده وجاء به الرسول من عنده من حلال أو حرام.. ولأن نصب الامام لطف واللطف واجب على الله عز وجل.(١٠)

إن تعيين الإمام بالنص إنما يؤكد أهمية منصب الإمامة وضرورته وكونه مسألة شرعية فى المقام الأول لامجال لتدخل اجتهادات الناس فيها. فهى امتداد لمهمة الرسول ومرجع الأمة من بعده، فلابد أن تكون منصوصا عليها حتى تأخذ صفة المرجعية المطلقة، ولو كان منصب الإمامة بالترشيح والاختيار لتنازع الناس عليها واختلفوا حولها وبالتالى ينتفى الغرض من وجودها.

ولأجل ذلك وقع الخلاف على الآخرين الذين أحلوا أنفسهم مكان الإمام من الخلفاء والحكام من بعدهم. ومن قال إن الأمة قد اجتمعت عليهم فالتاريخ والوقائع تكذب قوله، وإن مثل هذا القول الهدف منه تخدير الأجيال القادمة. أما الجيل المعاصر لعملية اختيار هؤلاء الحكام فقد دب بينهم الخلاف حول مشروعيتهم وإجماع الأمة عليهم.(١١)

والعقل الذى يقول بأن الإمام الذى يلى أمر الأمة من بعد الرسول لابد أن تتوافر فيه المؤهلات العلمية التى تؤهله لسد الفراغ الذى أحدثه غياب الرسول. هذا العقل يحكم بأن الذين حكموا الأمة بعد الرسول لم يكونوا يملكون من هذه المؤهلات شيئا. وذلك بقليل من النظر فى سيرة هؤلاء الحكام ومواقفهم وممارساتهم.

ومن هنا يتبين لنا أن الإمامة منصب اختصت به فئة معينة كانت تملك هذه المؤهلات. وأن هذه الفئة لابد أن تكون محل قبول ورضا المسلمين. فالنص على إمامتهم لأجل توافر هذه المؤهلات فيهم. وتوافرهذه المؤهلات فيهم يجعلهم محل رضا وقبول المسلمين.

يقول الدكتور على شريعتى: الإمامة لدى الشيعة هى استمرار لإمامة محمد - دون نبوته - والإمامة عندهم هى بمعنى القدوة أى النموذج السامى للمدرسة والمنهج والإنسان - القدوة. كذلك بمعنى

القائد أى تواصل إمامة محمد. إن نبوة محمد ختمت به، أما إمامته فبدأت به وانتهت فى عترته (آل البيت).

إن الشيعة ينكرون مبدأ الشورى والبيعة. ويعتقدون بدلاً عنه بمبدأ الوصاية. أما السنة فينكرون مبدأ الوصاية ويستندون إلى الشورى فى الخلافة، هذا الطرح التقليدى السائد. أما فى نظرى فلايوجد تناقض بين المبدأين. ولايمكن اعتبار أحدهما بدعة مصطنعة وغير إسلامية. إن الشورى والبيعة تعنيان الديمقراطية، وفى القرآن إشارات واضحة لصحة مبدأ الشورى.

لكن أى مؤرخ منصف لايمكنه إنكار وصية الرسول لعلى. والوصاية هى ليست بالتعيين ولابفرض القائد بطريقة فوقية. كما أنها ليست انتخاباً أو وراثة، أو نتيجة لترشيح أحد الناس. فالإمامة ليست هذه الصيغ السياسية.. لهذا نعتقد بأن الوصاية هى مبدأ بديهى بينما الشورى - أى البيعة وإجماع الناس - مبدأ إسلامى. إن الوصاية هى مبدأ استثنائى لظرف استثنائى، بينما الشورى والبيعة هما مبدآن طبيعيان ودائمان..

مبدأ الوصاية هو فوق مبدأ الشورى.

كان يجب أن تستمر الوصاية بعد موت الرسول، إلى أن تتحقق رسالة محمد فى بناء الأمة، لكن فاجعة « السقيفة » غيرت مجرى ومصير التأريخ الإسلامى. فقد تم الاستناد لحق فى إلغاء حق آخر.

لو حدثت «السقيفة» فى عام ٢٥٠هـ - فترة غيبة الإمام الثانى عشر - بدلاً من العام الحادى عشر للهجرة لكان مسير التأريخ شيئاً آخر. إلا أن الأمر حدث على ذلك النحو: استندوا على الديمقراطية ومبدأ الشورى فى وقت كانت المرحلة لاتزال هى مرحلة الوصاية. أى القيادة الثورية.

لقد أدى ذلك إلى ضياع الديمقراطية نفسها. والقضاء على مبدأ الشورى نفسه. بينما لوتم العمل بمبدأ الوصاية والقيادة الثورية بعد وفاة النبى لكنا قد وصلنا إلى مرحلة الشورى والديمقراطية بعد ذلك.

هكذا حرم الناس بعد وفاة النبى من القيادة الثورية - الوصاية والإمامة - ومن القيادة الديمقراطية - البيعة والشورى - وأدى ذلك إلى أن تتجه الأمور خلاف ما استهدفه الإسلام. فالخلافة الإسلامية المستندة للبيعة تحولت إلى سلطنة عربية وراثية. والإمامة بعد قرنين ونصف قرن من الجهاد والشهادة - انتهت للغيبة وتغيرت فلسفة التأريخ. وأصبحت فلسفة الانتظار.[١٢]

إن فكرة الإمامة عند الشيعة لاتتناقض مع الشورى. فتعيين الإمام بالنص لايعنى الحجر على الشورى لأن الإمام لايوحى إليه كما هو حال الرسول وهو لايبلغ الأمة ديناً جديداً وإنما هو يحافظ على

الدين الذى ورثه من الرسول ويعبر عن صورته الحقيقية. هذه هى مهمته الأساسية التى لا ينازعه فيها أحد. أما ما يتعلق بشئون الناس وإدارة المجتمع فمجال الاجتهاد فيها مفتوح والشورى فيها واردة.

فليس هناك من ينكر أن الشورى كانت مطروحة فى حياة الرسول المعصوم والرسول هو أعلى من الإمام.

وإذا كانت مهمة الإمام هى الحفاظ على الدين وإقامة الحجة على الناس بنصوصه، فإن من بين نصوصه ما يحض على الشورى.

فإذا كان الرسول (ﷺ) قد طبق الشورى فى حياته، فيجب على الإمام أن يطبق الشورى، إلا أن السياسة حالت دون أن يقوم الإمام بمهمته فى واقع المسلمين.

وفترة حكم الإمام على جاءت بغير ترتيب، فهى قدفرضت عليه فى ظل ظروف وأوضاع مهزوزة سياسياً وغير مستقرة اجتماعياً ومتقلبة اقتصادياً، فهو لم يُختر لكونه إماما وإنما اختير لكونه حاكما.

لقد أرادت الأمة من الإمام على أن يكون حاكماً لا أن يكون إماماً منصوصاً عليه، ومن هنا كثر الخلاف عليه. وقد كانت الموروثات الفكرية والقبلية التى خلفها عصر الخلفاء الثلاثة قبله تحول دون بروزه كإمام.

ولو كانت الأمة قد تعاملت مع على كإمام ما كان يمكن لها أن تعترف بمعاوية وتبرر جريمته بشق عصا الطاعة وتعتبره مجتهداً، كما بررت من قبل موقف عائشة التى تسبب خروجها فى إراقة دماء آلاف المسلمين. وموقف الصحابة الذين رفضوا بيعته ثم هم بايعوا بعد ذلك معاوية وولده.

إن فترة حكم الإمام على هى جزء من مهمته ودوره كإمام يقيم الحجة على الناس وهو مستمر فى إقامة هذه الحجة بعد وفاة الرسول. وليس الحكم إلاوسيلة لإظهارهذه الحجة وشيوعها وهو الأمر الذى افتقدت مقوماته فى المدينة التى هيمنت عليها القبلية ودفع بالإمام إلى الانتقال للكوفة لتكون مركزاً لدعوته.

والإمام على رغم كون السلطة فى يده فقد فتح حواراً مع عائشة وطلحة والزبير الذين خرجوا عليه فى وقعة الجمل.

وفتح حواراً مع معاوية على الرغم من قناعته بأن الحوار معه لايجدى وأنه ماض إلى تحقيق أطماعه على حساب الإسلام.

وفتح حواراً مع الخوارج وأرسل إليهم ابن عباس ليحاورهم رغم كونهم ليسوا أهل حوار ولايفقهون سوى لغة واحدة هى لغة السيف والتمرد.

وإن مثل هذه الممارسات من قبل الإمام لهى تعد قمة العمل الديمقراطى فى مواجهة أناس يشهرون فى وجهه السيوف ويسعون لقتل الشورى.

فعائشة وحزبها خرجت للدفاع عن مصالح قبلية متمثلة فى عثمان.

والخوارج قطاع متحجر من المسلمين لايفهم إلا السيف والنص على ظاهره.

ومعاوية يريدها مملكة لبنى أمية.

- إمامة على:

ترتكز قضية الإمامة على النص والعقل كما ذكرنا. وتطبيق هذين الأمرين يكون فى الأساس على الإمام على، فهو الذى تدور حوله جميع نصوص الإمامة. وبانطباق هذه النصوص عليه تنهض فكرة الإمامة باعتباره الإمام الأول من بعد الرسول فهو وصيه، والأئمة من بعده إنما يستمدون درجتهم منه.

وعلى قدر المكانة الشرعية للإمام على تكون مكانة الأئمة التالين له، فمن ثم يتركز الحديث دائماً حول نصية الإمامة على الإمام على وحده.

وعندما تثبت بالنصوص إمامة على تثبت بالتالى إمامة الآخرين، ومن جهة أخرى تبطل إمامة الآخرين من الخلفاء.

والشيعة عندما تعتقد أن علياً هوالإمام بعد رسول الله (ﷺ) إنما يقودها إلى هذا الاعتقاد النصوص، فالشيعة فى الأصل تتعبد بالنصوص لا بأقوال الرجال. وهى عندما تقول بتميز الإمام على عن غيره وخصوصيته وكونه وصى الرسول تقول ذلك بحكم النصوص. فمسألة الإمامة مسألة مصيرية يرتبط بها مستقبل الأمة ووجودها لا مجال للاجتهاد فيها لأنها من مقررات الشرع الذى جاء لصالح الناس ولايجوز أن يغفل قضية أساسية كالإمامة تقوم على أساسها مصالح الناس وأمنهم.

أما أهل السنة فالراجح فى مذهبهم أقوال الرجال على النصوص، وهم قد قاموا بتأويل النصوص الواردة حول الإمامة وصرفها عن معناها الحقيقى وأجمعوا على أنها لاتختص بأحد بعينه وطبقوها على الحكام على ما سوف نبين.

وهم على حد قول العلامة الحلى قد خالفوا المعقول والمنقول:

أما المعقول فهى الأدلة الدالة على إمامة أمير المؤمنين (ع) من حيث العقل وهى من وجوه:

الأول: شرط الإمام أن لايسبق منه معصية. والمشايخ يقصد أبو بكر وعمر والصحابة قبل الإسلام كانوا يعبدون الأصنام، فلايكونون أئمة. فتعين على لعدم الفارق.

الثاني: الإمام يجب أن يكون منصوصاً عليه، وغير على من الثلاثة ليس منصوصاً عليه فلايكون إماماً.

الثالث: الإمام يجب أن يكون أفضل من رعيته، وغير على لم يكن كذلك.

الرابع: الإمامة رئاسة عامة وإنما تستحق بالزهد والعلم والعبادة والشجاعة والإيمان وعلى هو الجامع لهذه الصفات على الوجه الأكمل الذى لم يلحقه غيره.

أما المنقول فالقرآن والسنة المتواترة.(١٣)

ويقول السيد شبر: إن العقل السليم والفهم المستقيم يحيل على العزيز الحكيم والرسول الكريم مع كونه مبعوثاً إلى كافة الأنام وشريعته باقية إلى يوم القيامة أن يهمل أمته مع نهاية رأفته وغاية شفقته بهم وعليهم، ويترك بينهم كتابا فى غاية الإجمال ونهاية الإشكال له وجوه عديدة ومحامل يحمله كل منهم على هواه ورأيه، وأحاديث كذلك لم يظهر لهم منها إلا القليل وفيها مع ذلك المكذوب والمفترى والمحرف . ولايعين لهذا الأمر العظيم رئيساً يعول فى المشكلات عليه ويركن فى سائر الأمور إليه. إن هذا مما يحيل العقل على رب العالمين وعلى سيد المرسلين.. وكيف يوجب الله تعالى على الإنسان الوصية والإيصاء عند الموت لئلا يموت ميتة الجاهلية ولئلايدع أطفاله ومتروكاته بغير قيم وولى وحافظ ولايوجب على النبى(ﷺ) الإيصاء والوصية مع أن رأفة الله بخلقه ورأفة النبى بأمته لانسبة لها بذلك.. وقد اعترف جمهور المخالفين بجريان عادة الله تعالى من آدم إلى خاتم الأنبياء أنه لم يقبض نبياً حتى عين له خليفة ووصيا. وجرت عادة نبينا أنه متى سافر عين خليفة فى المدينة فكيف تخلفت هذه السنة بالنسبة إلى خاتم الأنبياء المرسل إلى هذه الأمة المرحومة بأن يهملها ويتركها سدى. هذا كله مع انقطاع الانبياء والرسل وبقاء التكليف إلى يوم القيامة.. وإن مرتبة الإمامة كالنبوة، فكما لايجوز للخلق تعيين نبى فكذا لا يجوز لهم تعيين إمام.(١٤)

إذن ما هى النصوص الدالة على إمامة على.؟

إن النصوص الدالة على إمامة على ووجوب الإمامة وكونها أصلا من أصول الدين عند الشيعة أكثر من أن تحصى. وهى نصوص ليست حكراً على الشيعة وحدهم وإنما هى نصوص أهل السنة أيضاً خاصة الأحاديث النبوية منها التى تذخر بها كتب السنن. إلا أن موقف أهل السنة من هذه النصوص يقوم على التأويل والتبرير بحيث تبعد دلالات هذه النصوص وأهدافها عن مراد الشيعة.

وسـوف يظهـر لنا هذا الأمـر بوضـوح ونحن نعرض النصوص الخـاصـة بالإمـام على فى القـرآن والأحاديث. ونبدأ بعرض النصوص القرآنية:

* قـوله تعالى (إنما وليكم الله ورسـوله والذين آمنوا. الذين يقيـمون الصـلاة ويؤتون الزكـاة وهم راكعون) المائدة/٥٥.

فقد شرك الله سبحانه رسوله معه فى الولاية وكذلك الذين آمنوا والمقصود بهم هنا الإمام على لنزول الآية فيه.(١٥)

* قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك..) المائدة/٦٧.

وهذا النص نزل على الرسـول (ﷺ) فى حجة الوداع حيث أمر بإبلاغ الأمة ولاية على على ما أجمعت على ذلك الروايات.(١٦)

* قوله تعالى:(قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى..) الشورى/٢٣.

وهذا نص يوجب على المؤمنين مـودة قـرابة الرسـول. ولاشك أن وجـوب مـودتهم ينتج عنه وجوب طاعتهم كائمة للهدى.(١٧)

* قـوله تعـالى: (فـمن حاجك فيـه من بعـد مـاجاءك من العلم. فقل تعـالوا ندع أبناءنا وأبناءكم. ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين..)

فـهذا النص يخص الإمام على والحسن والحسـين وفـاطمة. فإن (أبناءنا) تعنى الحسن والحسين و (نسـاءنا) تعنى فـاطمـة. و(أنفسنا) تعنى على. مما يدل على علو مكانة الإمـام على، ومسـاواته بالرسول الأكمل تعنى كماله هو أيضاً.(١٨)

* قوله تعالى: (إنى جاعلك للناس إماما. قال ومن ذريتى..) البقرة/١٢٣.

ومن هذا النص يتبين لنا أن الإمامة غير الرسالة أو غير الرسول. فقد كان إبراهيم رسولاً ثم جعله الله إماما. ثم جعل الامامة فى ذريته واستثنى الظالمين منهم ومن المعروف ان النبى (ﷺ) وعلى من ذرية إبراهيم وكلاهما لم يسجد لصنم.(١٩)

* قوله تعالى:(إنما أنت منذر ولكل قوم هاد..) الرعد/٧.

فـهذا النص يشير إلى دور الرسول ودور الإمـام. فـالرسول هو المنذر، والإمام هو الهـادى. فـالإنذار يقتضى المواجهة أى مواجهة الرسول لقومة وإبلاغـه دعـوته لهم وجهـا لوجه. أما الهداية فـلا تقتضى المواجهة وهو دور الإمام الذى يكون سبباً لهداية الأقوام التى تأتى بعد الرسول(٢٠)

* قوله تعالى (والسابقون السابقون أولئك المقربون..) الواقعة/١٠.

ومن المعروف أن الإمام على هو سابق أمة محمد إلى الإسلام. وهذا السبق يعطيه ميزة خاصة ترفعه فوق الجميع.(٢١)

* قوله تعالى: (إن الله وملائكته يصلون على النبى. ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما..) الأحزاب/٥٦.

إن الصلاة على الرسول تقتضى الصلاة على آل بيته كما فى التشهد. وهذه دلالة قطعية على المكانة الشرعية للإمام علىّ على رأس آل البيت.(٢٢)

* قوله تعالى: (..وصالح المؤمنين) التحريم/٤.

إن المقصود بصالح المؤمنين هنا هو على، فهو أفضل الصحابة وسيف الرسول وصهره وحامل علمه وصفيه.(٢٣)

* قوله تعالى:(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) المائدة/٥

نزلت هذه الآية على الرسول فى حجة الوداع وهو يخطب بماء قرب المدينة يسمى غدير خم معلناً ولاية على. ومن المعروف أن الدين كان كاملاً قبل نزول هذه الآية كعقيدة ولم يكن كاملاً كأحكام وقد ظلت الأحكام تتنزل بعد هذه الآية مما يدل على أن المقصود بكمال الدين شيئاً آخر وهو إمامة على.(٢٤)

* قوله تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) .. الأحزاب.
وهذا النص يفيد طهارة آل البيت طهارة تكوينية ليست مكتسبة. والرجس هو كل صور المعاصى والتجاوزات الأخلاقية وغيرها مما لم يثبت على الإمام على منه شىء. فدل هذا على إمامته.

وقد ذكر الفقهاء أكثر من مائة آية نزلت فى حق على لا يتسع المجال لذكرها هنا ويمكن مراجعة ذلك فى كتب التفسير.(٢٥)

*** النصوص النبوية:**

إن النصوص النبوية التى ذكرها الرسول (ﷺ) فى الإمام على أكثر من أن تحصى وهى تفوق النصوص الأخرى الواردة فى الآخرين والتى هى من صنع السياسة فى الأصل بهدف زعزعة مكانة الإمام. وقد امتدت يد السياسة إلى النصوص الواردة فيه فشككت فيها وحاولت تضعيفها. وما

عجزت عن هدمه منها بددت معناه وموهت عليه حتى يضلوا المسلمين عن حقيقة مكانة الإمام ودوره ورسالته التى تسلمها من الرسول.

ولا شك أن سيادة الخط الأموى المعادى لآل البيت والإمام على بعد وقعة صفين ـ والذى تزعمه معاوية ـ قد عمل جاهداً ـ على ما هو ثابت ومعروف ـ على سب الإمام والطعن فى آل البيت واختراع الروايات التى تضفى المشروعية عليه وعلى ممارساته ومواقفه وتحط من الخط الآخر خط آل البيت وتثير الشبهات من حوله. وقد أعانه على هذا كله الكثير ممن ينتسب إلى الإسلام من مدعى الصحبة والتابعين.

وأول النصوص النبوية قول الرسول (ﷺ) لعلى: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى.(٢٦)

وقوله (ﷺ): إنى تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى الثقلين وأحدهما أكبر من الآخر. كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض. وعترتى أهل بيتى.ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض.(٢٧)

وفى رواية: أيها الناس. إنما أنا بشر يوشك أن يأتينى رسول ربى فأجيب. وإنى تارك فيكم الثقلين. أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به. فحث على كتاب الله ورغب فيه. ثم قال: وأهل بيتى. أذكركم الله فى أهل بيتى. أذكركم الله فى أهل بيتى.أذكركم الله فى أهل بيتى.(٢٨)

وقول على: عهد إلى النبى الأمى أن لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق.(٢٩)

وقول الرسول (ﷺ): إنى دافع الراية غدا إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله،كرارغير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله له. وأعطاها عليا ففتح الله على يديه.(٣٠)

وقول الرسول (ﷺ): على منى وأنا منه. ولا يؤدى عنى إلا أنا أو على.(٣١)

وقول الرسول (ﷺ) لعلى: اللهم وال من والاه. وعاد من عاداه. وانصر من نصره. واخذل من خذله. (٣٢)

وقول الرسول (ﷺ): إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله. فقال أبو بكر: أنا هو يارسول الله؟ قال: لا. قال عمر: أنا هو يارسول الله؟ قال: لا. ولكنه خاصف النعل وكان على يخصف نعل رسول الله فى الحجرة عند فاطمة. (٣٣)

وفى رواية أخرى: قال رسول الله (ﷺ) لتنتهن معشر قريش، أو ليبعثن الله عليكم رجلا منى امتحن الله قلبه للإيمان، يضرب أعناقكم على الدين. قيل يا رسول الله أبو بكر؟ قال: لا. قيل: عمر. قال: لا. ولكن خاصف النعل فى الحجرة.. (٣٤)

وقول الرسول (ﷺ) لعلى: أنت منى وأنا منك. (٣٥)

وتروى عائشة أن النبى (ﷺ) خرج غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن على فأدخله. ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء على فأدخله ثم قال: (إنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً). (٣٦)

ولما نزل قوله تعالى: (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم..) دعا رسول الله(ﷺ) عليا وفاطمة وحسنا وحسينا. فقال: اللهم هؤلاء أهلى. (٣٧)

وقال له أيضا: أنت أخى فى الدنيا والآخرة. (٣٨)

وقال: من سب عليا فقد سبنى. (٣٩)

*** عصمة الإمام**

تنبع فكرة العصمة عند الشيعة من فكرة الوصية. فالرسول المعصوم لا يوصى إلا لمعصوم مثله. ومثلما مهمة الرسول تحتاج إلى عصمة كذلك مهمة الإمام التى هى امتداد لمهمته تحتاج لعصمة.

ولو لم يكن الإمام معصوما لتساوى مع بقية الناس، ولما كانت هناك حاجة لوصيته وهو فى هذه الحالة لن ينجح فى حفظ الدين وإقامة الحجة على الناس.

إن الإيمان بتميز الإمام «على» على الآخرين سوف يقود إلى الإيمان بالوصية. والإيمان بالوصية سوف يقود إلى الإيمان بالعصمة.

ونظرا لكون أهل السنة لا يؤمنون بتميز الإمام «علىّ» على بقية الصحابة فمن ثم هم لا يؤمنون بالوصية وبالتالى يستهجنون فكرة العصمة.

يقول العلامة الحلى: ذهبت الإمامية إلى أن الأئمة كالأنبياء فى وجوب عصمتهم عن جميع القبائح والفواحش. من الصغر إلى الموت عمدا أو سهوا؛ لأنهم حفظة الشرع والقوامون به حالهم فى ذلك كحال النبى. ولأن الحاجة إلى الإمام إنما هى للانتصاف من المظلوم عن الظالم. ورفع الفساد وحسم مادة الفتن. وإن الإمام لطف يمنع القاهر من التعدى؛ ويحمل الناس على فعل الطاعات واجتناب المحرمات ويقيم الحدود والفرائض ويؤاخذ الفساق ويعزر من يستحق التعزير. فلو جازت عليه المعصية

وصدرت عنه انتفت هذه الفوائد وافتقر إلى إمام آخر وتسلسل..[٤٠]

إن العصمة ترتبط بنوع الدور والمهمة الملقاة على عاتق الإمام. ولما كان دور الإمام ومهمته تتطلب وجود مواصفات خاصة حتى يمكن القيام بها فمن ثم كانت العصمة ضرورة لابد منها للإمام تدفع الجماهير إلى الثقة به والتلقى منه ولزوم الطاعة له وتحول دون منازعته من قبل الأدعياء.. يقول الشيخ جعفر السبحانى: إن الإجابة عن الأسئلة الشرعية على وجه الحق وتفسير القرآن على الصحيح وتفنيد الشبهات على وجه يطابق الواقع وصيانة الدين عن أى تحريف لا يحصل إلا بمن يعتصم بحبل العصمة ويكون قوله وفعله مميزين للحق والباطل.. نعم إن الإنسان الجليل ربما يملأ هذا الفراغ ولكن لا بصورة تامة جدا، ولأجل ذلك نرى أن الأمة افترقت فى الأصول والفروع إلى فرق كثيرة يصعب تحديدها وتعدادها، فلأجل هذه الأمور لا محيص عن وجود إنسان كامل عارف بالشريعة، أصولها وفروعها، عالم بالقرآن واقف على الشبهات وكيفية الإجابة عنها، قائم على الصراط السوى ليرجع إليه من تقدم على الصراط ومن تأخر عنه. وهذا يقتضى كون الإمام منصوبا من جانبه سبحانه معصوما بعصمته..[٤١]

إن تقصى حال الأمة من بعد وفاة الرسول (ﷺ) يظهر لنا ما يلى:

أولا: منحت الشريعة لكل الحكام ـ الخلفاء ومن بعدهم ـ وألزم الجميع بالسمع والطاعة لهم.

ثانيا: اخترعت الكثير من الأحاديث والروايات وتمت نسبتها إلى الرسول.

ثالثا: إن الصحابة والتابعين وتابعى التابعين باركوا هذا الوضع كما باركوا الحكام ودعوا الجماهير إلى طاعتهم.

رابعا: إن سيرة هؤلاء الحكام وسلوكهم ومواقفهم متناقضة مع الإسلام وتصطدم بقواعده.

خامسا: إن القرآن قد حرفت معانيه وأولت آياته بحيث تخدم أغراض القوى الحاكمة.

سادسا: إن الفقهاء ساروا فى ركاب الحكام وأضفوا على ممارساتهم ومواقفهم الشرعية.

ومن هنا يتبين لنا أن الإسلام قد أخضع للأهواء والسياسة من بعد الرسول.. ومال الفقهاء به نحو الحكام. وتفرقت الأمة بسبب هذا الإسلام وصارت شيعا. وهذا كله بسبب أن الذين تصدوا لحمله لم يصمدوا فى وجه الباطل وانهاروا أمامه مما يدل على عدم صلاحيتهم للقيام بهذه المهمة. وليس من المعقول بل من المحال فى حق الله سبحانه أن يترك الدين من بعد الرسول يتنازعه أهل الأهواء ويذهبون به مذاهب شتى مما يؤدى فى النهاية إلى ضلال الأمة. وضلال الأمة يقتضى إرسال رسول

جديد. وقد ختمت الرسالات بمحمد، إذن لابد أن يكون هناك عاصم للأمة تتوافر به مؤهلات الرسول ليقوم بمهمته من بعده وفى مقدمة هذه المؤهلات العصمة.

إن ضرورة العصمة سوف تتضح لنا أكثر إذا ما اتجهنا بأبصارنا إلى الجانب الآخر الذى غيبته السياسة عن أعيننا وهو جانب آل البيت. بعد أن ألقينا الضوء على جانب الصحابة والتابعين والفقهاء والإسلام الذى يعرضونه والمتمثل فى مذهب أهل السنة. فإن إلقاء الضوء على هذا الجانب سوف يظهر لنا ما يلى:

أولا: إن أئمة آل البيت (ع) تصدوا لمحاولات الانحراف بالإسلام وصدعوا بالحق فى مواجهة الصحابة والتابعين والحكام.

ثانيا: إن أئمة آل البيت تصدوا لعملية اختراع الأحاديث ونسبتها للرسول والتزموا فى مواجهة هذا الأمر بضرورة عرض الحديث على القرآن والعقل، فما وافق القرآن والعقل كان سليما وما خالفهما كان موضوعا..

ثالثا: إن آل البيت قادوا الثورات ضد الحكام وتصدوا لفسادهم وانحرافاتهم.

رابعا: إن أئمة آل البيت بداية من الإمام على وحتى الإمام الحادى عشر ماتوا قتلا بأيدى الحكام.

إن أئمة آل البيت قد امتحنوا وابتلوا بلاءً عظيماً وتعرضوا لضغوط شديدة من قبل الحكام كى يسايروا الوضع القائم لكنهم صبروا وثبتوا ورفضوا التعايش مع الواقع المنحرف وإضفاء الشرعية على الحكام.

ولا شك أنه بعد استعراض موقف الجانبين:

إلا أنه فى النهاية معصوم بدرجة ما ليست كاملة. إذ أنه لابد أن تبدر منه بعض الهفوات ولابد أن يرتكب بعض المعاصى.

أما الإمام فقدرته على عصمة نفسه أكبر من ذلك بحكم كونه تربية بيت النبوة. هذا على المستوى الذاتى الذى أهله إلى العصمة التكوينية كعصمة الرسل غير أنها أقل منها درجة. وبما أن الرسول معصوم وما ينطق عن الهوى، فعندما يختار وصيه فإن هذا الاختيار يكون بوحى من قبل الله سبحانه يقتضى أن تكون عصمة المختار عصمة تكوينية أيضا.

وعلى المستوى الفردى العادى يمكن للمرء أن يقوم بتربية ولده تربية دقيقة يبذل فيها قصارى جهده فى تقويمه وإصلاحه وعزله عن المؤثرات وعوامل الانحراف فينشأ الولد معصوما بدرجة كبيرة

بحيث يصبح مثلا يحتذى به فى الخلق والسلوك السوى المستقيم.

وإذا كان هذا على مستوى الأفراد فكيف يكون الأمر على مستوى الأنبياء؟

إذا كان الفرد العادى يستطيع أن يوصل ولده إلى مستوى عال من الأدب والخلق فإلى أى مدى يمكن أن يوصل النبى (ﷺ) الإمام على وهو الذى رباه وصنعه على يده وأعده ليكون إماما..؟

ونظرا لكون أهل السنة ينظرون لمسألة العصمة نظرة مبتورة ومنقوصة كما ذكرنا فإنهم ينظرون بعين الشك إلى مسألة عصمة الإمام عند الشيعة. أو بصورة أخرى إذا كان أهل السنة لا يعتقدون بعصمة الرسل عصمة كلية فهل يعتقدون بعصمة الإمام..!

وهم يرتكزون فى هجومهم على الشيعة دائما على فكرة العصمة وفكرة الغيبة التى سوف نعرض لها فيما بعد. كما يعتبر كثير من المعاصرين المعتدلين من أهل الفقه والثقافة أن هاتين الفكرتين هما نقطة الضعف فى الفكر الشيعى.

ويتهم البعض الشيعة بالتناقض لتبنيها العقل الذى نبذه أهل السنة ثم تبنيها فكرة العصمة والغيبة فى آن واحد، وهما فكرتان نبذهما أهل السنة على الرغم من أنهم لا يعطون للعقل المساحة التى تعطيها له الشيعة..

ومثل هذه التهم إنما توجه إلى الشيعة على غير علم بطبيعة العقيدة الشيعية وأصولها المستمدة من أئمة آل البيت.

ومن العسير هضم فكرة العصمة أو فكرة الغيبة على أى باحث دون هضم فكرة الإمامة التى تتميز بها الشيعة فما هاتان الفكرتان سوى نتيجتين للإمامة ومن الصعب فهم النتائج دون فهم المقدمات.

* موقف الصحابة والتابعين والفقهاء بعد الرسول.

* وموقف آل البيت.

وصورة الإسلام الذى يقدمه كل من الجانبين للناس.. سوف يتبين لنا أن جانب آل البيت لابد وأن يكون معصوما. فإن الثبات فى مواجهة الفتن، والانتصار على الهوى هو أعلى درجات العصمة. وهو ما يبدو من سلوك أئمة آل البيت ومواقفهم ولا يبدو من سلوك ومواقف الجانب الآخر.

ولا يتصور من هذا الطرح أن الشيعة يقدمون الأئمة على الرسل أو حتى يساوونهم بهم كما يشيع ذلك خصومهم.. فإن الإمام إنما يتلقى مهمته من الرسول الذى أوصى به فكيف يكون الوصى أعلى

من الموصى. والإمام علىّ نال مكانته من الرسول (ﷺ) وهو ينتسب إليه بحكم القرابة فهو إمام آل بيت الرسول من بعده. والرسول وهو على قيد الحياة جمع بين الرسالة والإمامة كما جمعها إبراهيم (ع) من قبله. وبعد وفاته انتهى دور الرسالة وبقى دور الإمامة متمثلا فى الإمام على. إذن الإمام على استمد قداسته من الرسول، فكيف يتقدم عليه؟

وكيف بعد هذا يقال إن الشيعة يعتقدون أن عليا أحق بالرسالة من محمد وأن جبريل أخطأ فى الرسالة وبدلا من أن يهبط على علىّ هبط على محمد وهى مقولة تتردد كثيرا على ألسنة الناس حتى يومنا هذا..

وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن عصمة الإمام أقل من عصمة الرسول؛ لأن دور الإمام أقل من دور الرسول، وهو مكمل له إلا أنها وإن كانت درجتها أقل من الرسول فهى أعلى من مستوى البشر بدرجات باعتبار أن كل إنسان إنما هو معصوم بدرجة ما.

إن المؤمن المداوم على الصلوات مثلا هو معصوم فى حدود هذا الفعل، فهو يملك القدرة على الاختيار بين المداومة على الصلوات وبين المداومة على المسكرات مثلا. واختياره الصلوات يعنى عصمته من الانحراف نحو المسكرات. أما الذى اختار المسكرات وترك الصلوات فهو غير معصوم.

والمرء من الممكن أن يتفوه بأى شىء، من الممكن أن يسب ويشتم، من الممكن أن ينطق بكلمة الكفر. فإذا ملك لسانه عن أن يتكلم مثل هذا الكلام فهو معصوم اللسان.

والفتاة التى تصبر محتسبة حتى ترزق بزوج صالح هى معصومة. أما الفتاة التى مالت بها شهوتها وانحرفت فهى غير معصومة.

إن كلا منا من الممكن أن يكون معصوما ضمن حدود وإطار معين.

من الممكن أن يعصم لسانه عن الكذب.

من الممكن أن يعصم فرجه عن الزنا.

والمقدمة عند الشيعة شرعية تحتمها النصوص، والنتيجة لابد أن تكون شرعية أيضا، أى أن الإمامة مسألة شرعية والعصمة والغيبة مسألتان شرعيتان كذلك.

وإذا كنا قد عرضنا لقضية العصمة من الجانب العقلى فيما مضى فإن الأمر يحتم الآن أن نعرض للقضية من الجانب الشرعى.

* فى مقدمة النصوص القرآنية التى يعتمد عليها الشيعة فى إثبات عصمة الإمام قوله تعالى

لنبيه إبراهيم: (إنى جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين).. (٤٢)

يقول الطبرسى: استدل أصحابنا بهذه الآية على أن الإمام لا يكون إلا معصوما عن القبائح لأن الله سبحانه نفى أن ينال عهده ـ الذى هو الإمامة ـ ظالم. ومن ليس بمعصوم فقد يكون ظالما إما لنفسه وإما لغيره. (٤٣)

ويقول السيد محسن الأمين: قوله تعالى خطابا لإبراهيم:(إنى جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتى. قال لا ينال عهدى الظالمين) غير المعصوم ظالم لنفسه فلا ينال عهد الإمامة الذى هو من الله تعالى. وأنه يجب أن يكون أفضل أهل زمانه وأكملهم لأن تقديم المفضول على الفاضل قبيح.. (٤٤)

وهذا النص يشير إلى أن سلالات الأنبياء فيها المحسن والمسىء والعادل والظالم والفاجر والتقى. وآل البيت إنما هم امتداد لذرية إبراهيم (ع) لكنهم غير معصومين على وجه العموم إنما المعصوم منهم طائفة محددة بالنصوص هم الأئمة الاثنى عشر أولهم الإمام على وآخرهم الإمام المهدى المنتظر (ع).

* أما النص الثانى من نصوص العصمة فهو قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)(٤٥)

يقول الشيخ الوائلى: إن أولى الأمر الواجب طاعتهم يجب أن تكون أوامرهم موافقة لأحكام الله تعالى لتجب لهم هذه الطاعة. ولا يتسنى هذا إلا بعصمتهم إذ لو وقع الخطأ منهم لوجب الإنكار عليهم وذلك ينافى أمر الله بالطاعة لهم.. (٤٦)

ويقول السيد الزنجانى: إن الإمام حافظ للشرع فيجب أن يكون معصوما وأنه لو وقع من الإمام الخطأ لوجب الإنكار عليه وذلك يضاد أمر الطاعة له بقوله تعالى: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) وأيضا أنه لو وقعت منه المعصية لزم نقض الغرض من نصب الإمام والتالى باطل، فالمقدم مثله بيان الشرطية أن الغرض من إمامته انقياد الأمة له وامتثال أوامره واتباعه فيما يفعله. فلو وقعت المعصية منه لم يجب شيء أقل من ذلك وهو مناف لنصبه. الدليل الثالث أنه لو وقعت من الإمام المعصية لزم أن يكون أقل درجة من العوام لأن عقله أشد ومعرفته بالله تعالى وعقابه وثوابه أكثر فلو وقعت منه المعصية كان أقل حالا من الرعية وكل ذلك باطل قطعا فيجب أن يكون الإمام معصوما.. (٤٧)

ويقول السيد شبر: قوله تعالى:(أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) دل على وجوب إطاعة أولى الأمر كإطاعة الرسول. ولهذا لم يفصل بينهما بالفعل لكمال الاتحاد والمجانسة بخلاف إطاعة الله وإطاعة الرسول. إذ لما كان بين الخالق والمخلوق كمال المباينة فصل بالفعل. ومن المعلوم أن

الله سبحانه لا يأمر المؤمنين - لاسيما الصلحاء العلماء الفضلاء - بإطاعة كل ذى أمر وحكم لأن فيهم الفساق والظلمة ومن يأمر بمعصية الله تعالى، فيجب أن يكون أولو الأمر الذين أمر الله بطاعتهم مثل النبى (ﷺ) فى عدم صدور الخطأ والنسيان والكذب والمعاصى. ومثل هذا لا يكون منصوبا إلا من قبل الله تعالى العالم بالسرائر كما فى النبى (ﷺ)..(٤٨)

ويروى عن الباقر والصادق (ع) أن أولى الأمر فى الآية هم الأئمة من آل محمد، أوجب الله طاعتهم بالإطلاق كما أوجب طاعته وطاعة رسوله ولايجوز أن يوجب الله طاعة أحد على الإطلاق إلا من ثبتت عصمته وعلم أن باطنه كظاهره وأمن منه الغلط والأمر بالقبيح، وليس ذلك بحاصل فى الأمراء ولا العلماء - كما يفسر النص أهل السنة - سواهم جل الله عن أن يأمر بطاعة من يعصيه أو بالانقياد للمختلفين فى القول والفعل لأنه محال أن يطاع المختلفون كما أنه محال أن يجتمع ما اختلفوا فيه. ومما يدل على ذلك أيضا أن الله تعالى لم يقرن طاعة أولى الأمر بطاعة رسوله كما قرن طاعة رسوله بطاعته إلا وأولو الأمر فوق الخلق جميعا كما أن الرسول فوق أولى الأمر وسائر الخلق، وهذه صفة أئمة الهدى من آل محمد (ع) الذين ثبتت إمامتهم وعصمتهم واتفقت الأمة على رتبتهم وعدالتهم..(٤٩)

إن النص يخاطب المجتمع المؤمن المتقيد بطاعة الله وطاعة رسوله وهذا التقيد يوجب طاعة من يلتزم بطاعة الله ورسوله من أولى الأمر وإلا أصبح النص معدوم القيمة. ولو جازت طاعة المنحرف من أولى الأمر والفاسدين منهم لجاز التفلت من طاعة الله وطاعة رسوله وعدم التقيد بها. إذ أن الحاكم المنحرف الفاسد لن يتقيد بطاعة الله وطاعة رسوله، وبالتالى سوف يجر الأمة إلى التفلت من طاعة الله ورسوله وهو ما حدث فى تاريخ هؤلاء الحكام الذين دانت لهم الأمة بالسمع والطاعة بأحاديث مخترعة تتناقض مع النص القرآنى الذى نحن بصدده. والذين حلوا محل الأئمة الأطهار المقصودين بقوله تعالى:(وأولى الأمر منكم)..

*والنص الثالث هو قوله تعالى:(إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا..)(٥٠)

يقول الشيخ السبحانى: استدلت الشيعة الإمامية عن بكرة أبيها بهذه الآية على عصمة آل البيت الذين نزلت هذه الآية فى حقهم. وأن الإرادة المقصودة من النص إرادة تكوينية لا تشريعية، بمعنى أن إرادته التكوينية التى تعلقت بتكوين الأشياء وإبداعها فى عالم الوجود تعلقت أيضا بإذهاب الرجس عن أهل البيت وتطهيرهم من كل رجس وقذر ومن كل عمل يستنفر منه.(٥١)

يقول الشيخ فرج الله الحسنى: دلالة الآية على عصمة الخمسة الرسول وعلى وفاطمة والحسن

والحسين لأنها صدرت بأداة الحصر وهى كلمة «إنما»، وتعلق إرادته تعالى بالتطهير وبإذهاب الرجس وهو فعله تعالى يدل على أن الإرادة تكوينية على ما ثبت فى محله ومتعلق التطهير وهو «الرجس» مطلق محلى بألف ولام الجنس. فالآية الشريفة تعلن نفى ما هو الرجس بنحو العام الاستيعابى المجموعى عن أهل البيت المذكورين فيها..[٥٢]

ويقول الشيخ الوائلى: معنى ذهاب الرجس نفى كل ذنب وخطأ عنهم، والإرادة هنا تكوينية لا تشريعية لوضوح أن التشريعية مرادة لكل الناس.[٥٣]

ويقول الطبرسى: استدلت الشيعة على اختصاص الآية بهؤلاء الخمسة (ع) بأن قالوا إن لفظة «إنما» محققة لما أثبت بعدها نافية لما لم يثبت، فإن قول القائل إنما لك عندى درهم وإنما فى الدار زيد يقتضى أنه ليس عنده سوى الدرهم وليس فى الدار سوى زيد. وإذا تقرر هذا فلا تخلو الإرادة فى الآية أن تكون هى الإرادة المحضة أو الإرادة التى يتبعها التطهير وإذهاب الرجس. ولا يجوز الوجه الأول لأن الله تعالى قد أراد من كل مكلف هذه الإرادة المطلقة، فلا اختصاص لها بأهل البيت دون سائر الخلق، ولأن هذا القول يقتضى المدح والتعظيم لهم بغير شك وشبهة ولا مدح فى الإرادة المجردة، فثبت الوجه الثانى وفى ثبوته ثبوت عصمة المعنيين بالآية من جميع القبائح. وقد علمنا أن من عدا من ذكرنا من أهل البيت غير مقطوع على عصمته فثبت أن الآية مختصة بهم لبطلان تعلقها بغيرهم، ومتى قيل إن صدور الآية وما بعدها فى الأزواج فالقول فيه أن هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء فى كلامهم فإنهم يذهبون من خطاب إلى غيره ويعودون إليه، والقرآن من ذلك مملوء وكذلك كلام العرب وأشعارهم..[٥٤]

ونظرا لدلالة نص التطهير القطعية ومعناه الظاهر المحدد المقيد بآل البيت لم يجد أهل السنة فى مواجهته سوى التسلح بالتعويم أى إطلاق النص على نساء النبى (ﷺ) وآل البيت بشكل عام حسب تعريفهم العائم له على ما سوف نبين. إلا أنهم فاتتهم عدة نقاط هامة تتعلق بالنص المذكور:

الأولى: لغوية وقد ألقينا الضوء عليها من أقوال فقهاء الشيعة حول الآية.

الثانية: تتعلق بالسياق فهم يعتبرون السياق العام للنص يخاطب نساء النبى إلا أن المعروف أن السياق ليس بحجة لأن ترتيب الآيات ليس توقيفيا على الأرجح، ولأن هناك من النصوص القرآنية ما يقتضى سياقه اختلال المعنى على الظاهر مثل قوله تعالى:(اليوم أكملت لم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) فإن الآيات التالية لهذه الآية فى سورة المائدة آيات أحكام، وإذا اعتبرنا السياق حجة فيجب أن تكون هذه الآيات سابقة لآية كمال الدين.

الثالثة: إن نساء النبى ذكرن بالذم فى نفس السورة وفى سورة التحريم وعلى لسان الرسل فى أحاديث كثيرة وهذا يتناقض مع طهارتهن ويدل على أنهن لسن المقصودات بآية التطهير.

الرابعة: أن هناك روايات وردت على لسان الرسول تخصص الآية وتحصرها فى حدود الخمسة، وتعرف آل البيت فى حدود على وفاطمة والحسن والحسين دون غيرهم وعلى رأس هذه الروايات حديث الكساء..(٥٥)

وبالإضافة إلى هذه النصوص القرآنية هناك حديث وارد عن الرسول (ﷺ) يفيد ثبوت العصمة لآل البيت..

وهذا النص النبوى هو حديث الثقلين الذى ذكرناه سابقا فى نصوص الإمامة. فهذا النص قد قرن الكتاب بالعترة الطاهرة (كتاب الله وعترتى) وربط العترة بالكتاب دليل على عصمة العترة أئمة آل البيت.

فمادام الكتاب معصوما فلابد أن تكون العترة المقرونة به معصومة أيضا، إذ ليس من المقبول عقلا أن يربط الرسول بالقرآن فئة غير جديرة بهذا الارتباط وليست على مستواه. فلابد أن تكون هذه الفئة تتوافر بها مؤهلات حفظ الكتاب من بعد الرسول وإبلاغه للناس على الوجه الأكمل دون تحريف أو تأويل أو ميل للباطل أو القبلية أو الهوى أو الحكام، وهذا الدور فى ذاته يتطلب عصمة.

ومثل هذا النص يشير إلى أن العترة هى وارثة الكتاب من بعد الرسول والمعبر الحقيقى عن الإسلام مما يوجب إمامتهم ويوجب بالتالى عصمتهم. وهذا ينفى فكرة الإمامة عند أهل السنة ويبطل خلافة الثلاثة من بعد الرسول. كما ينفى من جانب آخر ما قيل حول جمع القرآن من قبل أبى بكر فالرسول قد أورث الكتاب كاملا لعترته ممثلة فى رأس العترة الإمام على ولا يعقل أن يتركه مبعثرا هنا وهناك مهددا بالفقد والضياع والنسيان، ولو صح ما يعتقده أهل السنة من أفضلية أبى بكر على الأمة وعلى الإمام على، لترك الرسول القرآن لديه أو لدى عمر أو لدى عثمان وهم جميعهم مقدمون على الإمام عندهم. لكن الثلاثة كما هو معروف لم يكونوا من حفظة القرآن ولا من كتبته مما يدل على أن هناك طرفا آخر ورث الكتاب عن الرسول غير هؤلاء، تتوافر لديه مقومات حمل هذه التبعة الثقيلة ويتحلى بمؤهلات ليست فى هؤلاء من التقوى والعلم والشجاعة تعينه على القيام بهذه المهمة من بعد الرسول. وصاحب هذه المؤهلات هو الإمام على. ومهمته هذه هى امتداد لمهمة الرسول ومكملة لها مما يفرض أن يكون معصوما هو ومن يتسلم المهمة من بعده من أئمة آل البيت..

* **غيبة الإمام:**

يؤمن كل من أهل السنة والشيعة بالمهدى المنتظر. غير أن الفارق كبير بين الاتجاهين حول الموقف من المهدى..

فشخصية المهدى عند أهل السنة تختلف اختلافا كبيرا عن شخصيته عند الشيعة..

المهدى عند السنة رجل فى علم الغيب ليس معروفا لأحد. ربما يكون قد ولد وربما لم يولد بعد، يصلحه الله فى يوم وليلة.

والمهدى عند الشيعة هو الإمام الثانى عشر الخاتم لسلسلة الأئمة ابن الإمام الحادى عشر وقد ولد عام ٢٥٥ هـ واختفى من عام ٢٦٠ هـ إلى عام ٣٢٩ هـ فيما سمى بالغيبة الصغرى ثم غاب بعد ذلك غيبته الكبرى.

المهدى عند السنة مجهول الشخصية من الممكن أن يتقمص شخصيته أى مدع. وآخر صور الادعاء فى الوسط السنى ظهرت عام ٧٩ عندما احتل الحرم المكى مجموعة من شباب التيار السلفى معلنين ظهور المهدى وقد باءت حركتهم بالفشل.

أما عند الشيعة فالمهدى شخصية معروفة شاهدها الكثير من المعاصرين قبل الاختفاء كما كان على صلة بشيعته طوال فترة الغيبة الصغرى عن طريق السفراء الأربعة الذين كانوا حلقة الوصل بين الشيعة والإمام.[٥٦]

المهدى عند الشيعة هو محمد بن الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (ع) وعقيدة الانتظار عند الشيعة عقيدة إيجابية دافعة نحو التغيير والبناء، فالمؤمن الذى يعيش عصر غيبة الإمام إنما يهيىء النفس ويعدها ويبقى فى حالة ترقب واستعداد لظهور الإمام ليكون من جنده وينال شرف الجهاد تحت لوائه من أجل إعلاء كلمة الله وتحطيم عروش المستكبرين فى الأرض. فمن ثم نرى الشيعة يبتهلون إلى الله فى صلواتهم على الدوام داعينه سبحانه أن يعجل بظهوره ليضع حدا للظلم والشرك والفساد الذى ساد البلاد والعباد.

ومثل عقيدة الانتظار هذه أن تشكل عامل تعبئة معنوية دائمة للمسلم المؤمن بعقيدة الإمامة تجعل منه قوة صدامية فى مواجهة الباطل والظلم والعدوان حتى قبل ظهور الإمام. ولولا عقيدة الإمامة ما نجحت الثورة الإسلامية فى إيران.

أما أهل السنة فلا تشكل عقيدة المهدى أدنى تأثير على سلوكهم ومواقفهم تجاه الواقع والأحداث، وذلك يعود إلى غموض شخصية المهدى وافتقاد فكرة الإمامة بصورتها الشرعية الصحيحة، مما جعل من قضية المهدى قضية هامشية عندهم تظل فى طى النسيان حتى يظهر من يفجرها.

ولقد شكلت حادثة الحرم المكى التى تزعمها جهيمان العتيبى والتى أعلنت ظهور المهدى عام ٧٩، شكلت مفاجأة كبيرة للمسلمين السنة فى كل مكان، وقد انجذب نحو هذه الحركة الكثير من شباب الحركة الإسلامية من مصر والجزيرة واليمن والكويت وغيرها الذين فوجئوا بظهور المهدى. وبعضهم كان قد رآه فى المنام ثم بعد أن فشلت هذه الحركة وقتل المهدى المزعوم اختفت فكرة المهدى من واقع السنة وغابت عن الأذهان فى انتظار من يحييها بإعلان «مهدى» جديد.

إن فكرة الإمامة المائعة عند أهل السنة والتى دفعت بهم إلى جعل الحكام أئمة، طاعتهم واجبة وإن جاروا وفسقوا، قتلت فى نفوس المسلمين روح مقاومة الظلم والفساد والتمرد على الواقع الفاسد. وقتلت بالتالى فى نفوسهم عقيدة انتظار المهدى المخلص الذى سوف يقضى على الظلم والفساد ويقيم دولة العدل والأمن والرخاء. وكان لابد من قتل هذه العقيدة والتعتيم عليها لأن اعتناقها يشكل تهديداً مباشراً للقوى الحاكمة.

ولعل البعض يقول على الرغم من ذلك أن اعتقاد أهل السنة فى المهدى هو أقرب إلى العقل والواقع من اعتقاد الشيعة الذين ينتظرون إماما غاب منذ أكثر من ألف عام وهو على قيد الحياة.

والذين يطرحون مثل هذا التصور إنما يغيب عليهم استيعاب قضية الإمامة عند الشيعة. فهم ينظرون إلى قضية المهدى المنتظر نظرة مجردة معزولة عن قضيتها الأم قضية الإمامة. فإن المهدى هو خاتم سلسلة الأئمة التى بدأت بالإمام على وغيبته هى نتيجة حتمية لحركة هؤلاء الأئمة.

فإذا كان أهل السنة والشيعة كلاهما يقر بأن الرسول أبلغ الأمة أن هناك إثنى عشر إماما يأتون من بعده، فهؤلاء الأئمة لم يظهر منهم سوى أحد عشر إماما عند الشيعة أما الثانى عشر فلم تتح له فرصة الظهور بسبب تربص الحكام وبطشهم واضطر إلى الاختفاء إلى أجل يعلمه الله.

وبما أن هذا الإمام من سلسلة آل البيت أبناء فاطمة ووالده الإمام الحادى عشر كان موجوداً فلابد لولده أن يكون موجوداً. إذ لا يعقل أن يظهر الإمام الثانى عشر منفصلا عن أبيه بعدة قرون. ونحن هنا أمام عدة احتمالات:

الأول: أن يكون الإمام الحادى عشر مات ولم ينجب وبالتالى يكون الإمام الثانى عشر سوف يظهر من سلسلة أخرى غير سلسلة آل البيت.

الثانى: أن يكون الإمام الثانى عشر قد ظهر ومات.

الثالث: أن يكون الإمام الثانى عشر قد ظهر واختفى.

والاحتمال الثالث هو الراجح فلم يثبت تاريخياً أن الإمام الحادى عشر مات ولم يعقب كما يحاول البعض من أهل السنة أن يشكك فى ذلك. (٥٧)

والثابت تاريخياً أيضا أن الإمام الثانى عشر اختفى بعد ولادته بخمس سنوات فهو ولد وظهر دون أن يؤدى دوره ويعلن حجته.

وقضية طول العمر قضية ليست مرفوضة من الجانب الشرعى كما أنها ليست مرفوضة من الجانب العقلى والعلمى.

فالقرآن يقص علينا أن عمر نوح بلغ أكثر من ألف عام فهو قد مكث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاما سوى عمره. (٥٨)

وأطال الله فى أعمار أهل الكهف، ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً. (٥٩)

ومن عهد ذى القرنين ويأجوج ومأجوج على قيد الحياة فى انتظار سقوط السد النحاسى الذى يعزلهم عن العالم.. (٦٠)

وهناك الدابة التى حدثنا عنها القرآن التى تخرج من الأرض تكلم الناس وهى من معجزات آخر الزمان. (٦١)

كذلك هناك الخضر الذى يعتقد الجمهور ببقائه حيا كما تشهد بذلك الآية وهو معمر على جميع الأقوال. (٦٢)

وعيسى نبى الله الذى تم رفعه من الأرض وينتظر نزوله فى آخر الزمان حسبما تنص الروايات. (٦٣)

وتنص الأحاديث على وجود الدجال من زمن الرسول حياً وأنه سوف يظهر فى آخر الزمان ويواجه المهدى. (٦٤)

فإذا كان الله سبحانه قد أعمار أهل الكهف ثلاثة قرون لمجرد إحداث معجزة تقام بها الحجة على قومهم. وأطال فى أعمار يأجوج ومأجوج وهم قوم أشرار سوف يفسدون فى الأرض. وأطال عمر الخضر وهو فرد واحد ليست له دعوة عامة وليس هناك من رسالة يبلغها للناس. وأحيا الدابة وهى معجزة فردية. ورفع عيسى ليكون حجة على قومه. وأطال فى عمر الدجال لينشر الشر فى آخر الزمان. أفلا يكون من الأولى إطالة عمر الرجل الذى سوف يواجه الشر وينشر الخير ويقيم العدل وهو يحمل على كاهله مسئولية كبرى ودعوة عامة للناس أجمعين مسلمين وغير مسلمين هى امتداد لدعوة

الرســول(ﷺ) ومكملة لها فى عصر يغيب فيه الإسلام ويغترب عن الناس وتصبح الحاجة ماسة إلى ظهور إمام تتوافر به مؤهلات خاصة تعينه على أداء دوره ورسالته دون تأثر بفتن العصر ومغرياته.

ونحن فى واقعنا المعاصر نشاهد أناساً من المعمرين تجاوزت أعمارهم المائة عام بعشرات السنين ولا نجد أى حكمة لإطالة أعمارهم إلى هذا الحد، فليسوا هم بأصحاب علم أو دعوة تنتفع الناس بها وليسوا هم بقادة تحتاجهم شعوبهم.

فلماذا يطيل الله فى أعمار هؤلاء؟

إنه ليس هناك من جواب لهذا السؤال سوى أن المعمرين هؤلاء برهان ساطع للناس أن الله سبحانه الذى أطال فى أعمار هؤلاء دون فائدة واضحة أو هدف اجتماعى أو سياسى من الأولى أن يطيل فى عمر إمام سوف يقود البشرية ويحيى الملة وينصر المستضعفين ويقضى على المستكبرين ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وقضية صغر سن الإمام المهدى هى من صور الابتلاء والتمحيص للمؤمنين ومع ذلك فهى قضية لا تصطدم بورح الشرع فقد أوتى يحيى(ع) الحكمة صبياً وجعل عيسى فى المهد نبياً، فحمل الدعوة والحكمة فى مثل هذه السن المبكرة أمر قد تكرر حدوثه من قبل.

وما يثار عن الانتفاع بغيبته يعود سببه إلى عدم الوعى بدور الإمام وماهية حركته، فالإمام حجة على الناس وممثل لخط الرسول خط آل البيت الذى يعبر عن الصورة الحقيقية للإسلام. فمن عاصره انتفع به انتفاعاً مباشراً ومن لم يعاصره انتفع به انتفاعاً غير مباشر أى الانتفاع بخطه ودعوته.

فالإمام كالرسول هو الحاضر الغائب فى واقع المؤمنين. حاضر بعلمه ودعوته غائب بجسده وهيئته.

إن المؤمن بغيبة الإمام ينتفع به على الدوام، ففضلاً عن كونه يعيش حالة تعبئة معنوية دائمة متسلحاً بالتقوى والوعى والقوة المادية. هو يسير فى ظل الإمام فيعصم نفسه عن الانحراف إلى الباطل ويحصنها فى مواجهة الظلم والفساد بعكس المسلم الهائم على وجهه تتجاذبه الفرق والاتجاهات المتناحرة فيميل إلى هذه الفرقة تارة وهذا الاتجاه تارة ويعتزل الواقع تارة أخرى.

والمتأمل فى واقع الحركة الإسلامية اليوم يكتشف مدى حالة الحيرة والتيه التى يعيشها الشباب المسلم بين التيارات الإسلامية المختلفة، تلك الحيرة التى تؤدى به فى أغلب الأحيان إلى الكفر بهذه التيارات جميعها. وما سبب ذلك إلا فقدان فكرة الإمامة من نفوس هؤلاء الشباب الذين لو كان لهم تعلق بإمام وإن كان غائباً عنهم لاستقامت أفكارهم واستقامت حركتهم.

وقول الرسول(ﷺ): من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية. [٦٥]

فكون الإمام يعد فيصلا بين الإسلام والجاهلية فهذا يعنى عصمته. فأداة معرفة الحق هى جزء من الحق. فالإمام المعصوم سوف يوصلنا إلى الحق المعصوم. أما أدعياء الإمامة فلا يوصلون إلا إلى الباطل.

ومعرفة الإمام فى ذاتها هى وسيلة للنجاة من السقوط فى الجاهلية التى هى نقيض الإسلام. وهى لا تعنى بالضرورة معايشة الإمام أو رؤيته رأى العين. إنما تعنى معرفة خطه وطريقه. فما دام المسلم قد تعرف على خط الإمام وسار على طريقه فقد نجا من الجاهلية حتى وإن لم ير الإمام. فإن الهدف هو معرفة الإمام وليس رؤية شخصه. ومعرفة الإمام تعنى معرفة الحق.

ولعل هذا هو المقصود من قول الرسول(ﷺ) من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه. [٦٦]

وفى رواية أخرى: فقد مات ميتة جاهلية[٦٧]

أو هو المقصود من قوله لحذيفة: الزم جماعة المسلمين وإمامهم. [٦٨]

فإن الجماعة المقصودة هنا هى جماعة الإمام المعصوم وليس جماعة الحكام الذين يعبرون عن الصورة الزائفة للإسلام.

ولما كانت الأمة قد انحرفت عن الإمامة فقد انحرفت بالتالى عن الجماعة ولما استبدلت الإمام بالخلفاء والحكام استبدلت بالتالى جماعة المسلمين الحقة بدول ومجتمعات اعتبر الخروج عن دائرتها خروجا عن دائرة الإسلام. مما قاد الأمة إلى مرحلة الانحطاط الخلقى والاجتماعى والعقائدى مما يوجب ظهور مصلح يقود الأمة ويبعثها من جديد تحت راية الإسلام الحقة التى طواها الحكام وأحلوا مكانها رايات الجاهلية الزائفة.

وهذا هو دور الإمام الغائب أن يعمل على سد هذا الفراغ الكبير الذى أحدثه غياب الأمة عن الإسلام وتبدد صورته الحقيقية. فليست مهمة هذا الإمام تنحصر فى الدائرة الاجتماعية أو الاقتصادية، إنما مهمته مهمة عقائدية فى المقام الأول، ولعل حالة الانحراف التى كانت سائدة فى زمن ولادة الإمام المهدى لم تكن تقتضى أن يتحرك لمواجهتها كما هو حال الأئمة الذين سبقوه. واقتضت حكمة الله أن يدخر هذا الإمام لعصر آخرتكون الحاجة ماسة لظهوره فيه. كما أن ظهوره فى عصر هو غريب عنه سوف يكون له أثره الفعال فى إنجاح مهمته. إذ أن تأثير العصر عليه وتأثره به سوف يكون معدوماً. مما يجعل صدامه معه أكثر فعالية لا مجال فيه للمهادنة أو التراجع.

إن ضغوط الواقع الدولى لن يكون لها أدنى تأثير على حركة الإمام المهدى لأنه سوف يكون متحرراً من هذه الضغوط بحكم كونه ليس من أهل هذا العصر، وهذا من دلائل عصمته. إذ لو كان من أهل هذا الزمان لتأثر به لكون ضغوطه شديدة ومؤثراته أشد. وهو زمان تختلف مقوماته وأوضاعه عن الأزمان الماضية اختلافاً كبيراً. كما أن طبيعة الصراع فيه تحتاج إلى قدرات خاصة تفرض العصمة فى الإمام الذى سوف يتصدى للمواجهة وحمل راية التغيير فى هذا الزمان.

هوامش

(١) انظر لنا السيف والسياسة وهو كتاب يعرض لمحطات ظهور الخط الأموى فى واقع المسلمين واختفاء خط آل البيت.

(٢) انظر العقيدة الطحاوية والواسطية وشرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين.

(٣) سورة الكهف.

(٤) سورة الأعلى.

(٥) سورة الأسراء..

(٦) رواه الترمذى والنسائى..

(٧) عاش ابن عمر وانس حتى عصر الحجاج. انظر تاريخ الطبرى وكتب التاريخ الأخرى.

وانظر حديث: ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة. البخارى كتاب الفتن وهو يكشف موقف ابن عمر السلبى من موقعة الحرة عام ٦١هـ بعد مصرع الحسين(ع) وقد ذكر ابن عمر هذا الحديث محتجاً به على ضرورة التمسك ببيعته ليزيد الذى خلعته المدينة بعد وقعة كربلاء. انظر القصة بكاملها فى كتب التاريخ. وفتح البارى جـ ٦٨/١٣ وما بعدها. وانظر لنا فقه الهزيمة فصل الرجال.

(٨) حق اليقين فى معرفة أصول الدين جـ ١. ط بيروت.

(٩) مفاهيم القرآن جـ ٥ ط بيروت.

(١٠) انظر حق اليقين وكتب العقائد لدى الشيعة.

(١١) انظر لنا السيف والسياسة. وانظر السقيفة للمظفر.

(١٢) هكذا تكلم على شريعتى. جـ بيروت.

(١٣) نهج الحق وكشف الصدق. ط بيروت.

(١٤) حق اليقين جـ ١.

(١٥) انظر كتب التفسير وأسباب النزول.

(١٦) انظر المراجع السابقة وحديث غديرخم فيما بعد.

(١٧) انظر المراجع السابقة ونهج الحق وحق اليقين وعلى فى القرآن.

(١٨) انظر نهج الحق وحق اليقين وعلى فى القرآن وأسباب النزول.

(١٩) انظر المراجع السابقة.

(٢٠) انظر المراجع السابقة.

(٢١) المراجع السابقة.

(٢٢) المراجع السابقة.

(٢٣) المراجع السابقة.

(٢٤) المراجع السابقة.. وانظر حديث غديرخم.

(٢٥) انظر المراجع السابقة. وكتب التفسير..

(٢٦) البخارى كتاب فضائل الصحابة باب مناقب الإمام على.

(٢٧) رواه ابو داود..

(٢٨) مسلم. كتاب فضائل الصحابة. باب فضائل على..

(٢٩) مسلم. كتاب الايمان. باب حب الانصار وعلى من الايمان..

(٣٠) البخارى ومسلم كتاب فضائل الصحابة..

(٣١) البخارى ومسند أحمد..

(٣٢) مسند أحمد..

(٣٣) الترمذى وأحمد..

(٣٤) المرجعين السابقين..

(٣٥) البخارى..

(٣٦) مسلم وأحمد..

(٣٧) مسلم..

(٣٨) مسند أحمد..

(٣٦) مسلم وأحمد كتاب فضائل الصحابة باب فضائل على..

(٣٧)المرجع السابق..

(٣٨) مسند أحمد..

(٣٩) المرجع السابق..

(٤٠) انظر نهج الحق وكشف الصدق..

(٤١) معالم النبوه فى القرآن..

(٤٢) سورة البقرة ..

(٤٣) مجمع البيان فى تفسير القرآن جـ١..

(٤٤) أعيان الشيعة..

(٤٥) سورة النساء..

(٤٦) هوية التشيع طـ ـ بيروت

(٤٧) نهاية الفلسفة الإسلامية..

(٤٨) حق اليقين فى أصول الدين جـ٢..

(٤٩) المرجع السابق..

(٥٠) سورة الأحزاب..

(٥١) معالم النبوة..

(٥٢)المرجع السابق..

(٥٣) هوية التشيع..

(٥٤) مجمع البيان تفسير سورة الأحزاب..

(٥٥) انظر باب الرجال فصل آل البيت..

(٥٦)انظر أعيان الشيعة وموسوعة الامام المهدى وتاريخ الغيبة الصغرى ط ـ بيروت..

(٥٧) انظر منهاج السنة لابن تيمية. والمراجع السابقة..

(٥٨) انظر سورة العنكبوت..

(٥٩) انظر سورة الكهف..

(٦٠) انظر السورة السابقة..

(٦١) انظر سورة النمل..

(٦٢) انظر تفسير سورة الكهف فى كتب التفاسير وانظرالأصابة فى تميز الصحابة لابن حجر جـ ١ حرف الحاء ترجمة الخضر..

(٦٣) انظر سورة النساء فى كتب التفسير واحاديث آخر الزمان فى كتب السنن..

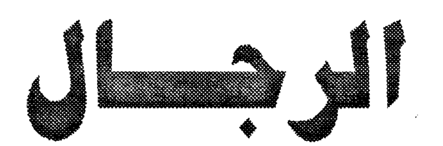
(٦٤) انظر ابواب الفتن فى كتب السنن وخبر تميم الدارى فى مسلم..

(٦٥) رواه ابو داود وانظر مسند أحمد..

(٦٦) انظر مسلم والترمذى والنسائى..

(٦٧) انظر المراجع السابقة..

(٦٨)انظر البخارى ومسلم..


الرجال

هل الحق يعرف بالرجال أم يعرف الرجال بالحق. ؟

أو السؤال بصيغة أخرى: هل الرجال فوق النصوص. أم النصوص فوق الرجال. ؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تكشف لنا جوهر الخلاف بين السنة والشيعة. ذلك الخلاف الذى بدأ من بعد وفاة الرسول (ﷺ) عندما انحاز قطاع من المؤمنين للإمام على وانحاز القطاع الأكبر لابى بكر. فمنذ هذه الفترة ظهر بين المسلمين خطان تفرعت عنهما قضايا ومسائل ومواقف واجتهادات.(١)

وما نحاول عرضه فى هذا الباب هو مدى موقف كل من الخطين من النصوص وموقف النصوص منهما. ؟

هل كانت النصوص فى صف أبى بكر أم فى صف على. ؟

هل الذين ساروا على خط أبى بكر اهتدوا إلى ذلك بالنصوص أم حكموا الرجال. ؟

وهل الذين ساروا على خط على اهتدوا إلى ذلك بالنصوص أم بشخص على. ؟

إن قضية الرجال تعد من أخطر القضايا التى واجهت الملل والنحل على مر الزمان وهى القضية الرئيسية التى تسببت فى ضياع بنى إسرائيل وأتباع عيسى(ع) من بعدهم.

يقول سبحانه: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) التوبة.

الأحبار هم علماء اليهود. والرهبان عباد النصارى وكلاهما قد جعلا مصدر التحليل والتحريم، أى تم رفعهم فوق النصوص وأصبحوا هم مصدرها.

ومثل هذا النص القرآنى إنما يحذر أمة محمد من الوقوع فى شرك الرجال واتخاذهم أربابا من دون الله.

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا: هل وقعت أمة محمد (ﷺ) فى شرك الرجال أم لا.؟

يقول الشاطبى: إن تحكيم الرجال من غير التفات إلى كونهم وسائل للحكم الشرعى المطلوب شرعا ضلال. وما توفيقى إلا بالله وإن الحجة القاطعة والحاكم الأعلى هو الشرع لا غيره. وإن مذهب أصحاب رسول الله (ﷺ) ومن رأى سيرهم والنقل عنهم وطالع أحوالهم علم ذلك علماً يقيناً.(٢)

إلا أن هذا الموقف النظرى لأهل السنة ليس هناك ما يعضده عملياً على ما سوف نبين من خلال استعراضنا لموقف كل من الشيعة والسنة من الرجال ومن النصوص.

وقد حددنا دائرة الرجال فى هذا الباب فى محيطين اثنين هما:

- محيط الصحابة.

- محيط آل البيت.

وما نهدف إليه هو محاولة إثبات أن خط الصحابة هو خط الرجال.

وخط آل البيت هو خط النصوص.

الصحابة عند أهل السنة:

يقول البخارى: من صحب النبى أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه.(٣)

ويعلق ابن حجر قائلاً: يعنى أن اسم صحبة النبى (ﷺ) مستحق لمن صحبه أقل ما يطلق عليه اسم صحبة لغة وإن كان العرف يخص ذلك ببعض الملازمة. ويطلق أيضاً على من رآه رؤية ولو عن بعد. وهذا الذى ذكره البخارى هو الراجح إلا أنه هل يشترط فى الرائى أن يكون بحيث يميز ما رآه أم يكتفى بمجرد حصول الرؤية؟ محل نظرهم ومنهم من بالغ فكان لا يعد فى الصحابة إلا من صحب الصحبة العرفية وكذلك روى عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يعد من أقام مع النبى (ﷺ) سنة فصاعدا أو غزا معه غزوة فصاعداً. والعمل على خلاف هذا القول لأنهم اتفقوا على عد جمع جم من الصحابة لم يجتمعوا بالنبى (ﷺ) إلا فى حجة الوداع. ومن اشترط الصحبة العرفية أخرج من له رؤية أو من اجتمع به لكن فارقه عن قرب. ومنهم من اشترط فى ذلك أن يكون حين اجتماعه به بالغاً وهو مردود أيضاً لأنه يخرج مثل الحسن بن على ونحوه من أحداث الصحابة. والذى جزم به البخارى هو قول أحمد والجمهور من المحدثين ويرد على التعريف من صحبه أو رآه مؤمنا به ثم ارتد بعد ذلك ولم يعد إلى الإسلام فإنه ليس صحابياً اتفاقاً فينبغى أن يزاد فيه - أى فى قول البخارى - «ومات على

ذلك». فلو ارتد ثم عاد إلى الإسلام لكنه لم يره ثانيا بعد عوده فالصحيح أنه معدود فى الصحابة لإطباق المحدثين على عد الأشعث بن قيس ونحوه ممن وقع له ذلك وإخراجهم أحاديثهم فى المسانيد. أما الجن فالراجح دخولهم لأن النبى بعث إليهم قطعاً وهم مكلفون فيهم العصاة والطائعون فمن عرف اسمه منهم لا ينبغى التردد فى ذكره فى الصحابة. وأما الملائكة فيتوقف عدهم فيهم على ثبوت بعثته إليهم فإن فيه خلافا بين الأصوليين حتى نقل بعضهم الإجماع على ثبوته وعكس بعضهم، وهذا كله فيمن رآه وهو فى قيد الحياة الدنيوية أما من رآه بعد موته وقبل دفنه فالراجح أنه ليس بصحابى.(٤)

وقد نقل ابن حجر قول شيخ البخارى على بن المدينى: من صحب النبى (ﷺ) أو رآه ولو ساعة من نهار فهو من أصحاب النبى.(٥)

وقال القاضى الباقلانى: إن الصحبة لا يوصف بها إلا من كثرت صحبته واتصل لقاؤه ولا يجرى هذا الوصف على من لقى النبى ساعة ومشى معه خطاً أو سمع منه حديثاً.(٦)

ويقول الغزالى: اعلم أن للناس فى الصحابة والخلفاء إسرافاً فى أطراف. فمن مبالغ فى الثناء حتى يدعى العصمة للأئمة، ومنهم متهجم على الطعن يطلق اللسان فى ذمة الصحابة. فلا تكونن من الفريقين واسلك طريق الاقتصاد فى الاعتقاد. واعلم أن كتاب الله تعالى مشتمل على الثناء على المهاجرين والأنصار وتواترت الأخبار بتزكية النبى (ﷺ) إياهم. فينبغى أن تستعمل هذا الاعتقاد فى حقهم ولا تسىء الظن بهم.(٧)

ويقول ابن حجر: وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابى من لقى النبى (ﷺ) مؤمنا به ومات على الإسلام فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، من غزا معه أو لم يغزُ، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه ومن لم يره لعارض كالعمى. ويدخل فى قولنا مؤمنا به كل مكلف من الجن والإنس. واتفق أهل السنة على أن الجميع عدول ولم يخالف فى ذلك إلا شذوذ من المبتدعة.(٨)

ويقول ابن الأثير: والصحابة يشاركون سائر الرواة فى جميع ذلك إلا فى الجرح والتعديل فإنهم كلهم عدول لا يتطرق إليهم الجرح لأن الله عز وجل زكاهم وعدلهم وذلك مشهور لا نحتاج لذكره.(٩)

ويقول ابن عبد البر: فهم خير القرون وخير أمة أخرجت للناس ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عز وجل عليهم وثناء رسوال الله (ﷺ) ولا أعدل ممن ارتضاه الله بصحبة نبيه ونصرته ولا تزكية أفضل من ذلك ولا تعديل أكمل منها. قال تعالى: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم.) الآية.(١٠)

ويقول الطحاوى: ونحب أصحاب رسول الله (ﷺ) ولا نفرط فى حب أحد منهم. ولا نتبرأ من أحد منهم ونبغض من يبغضهم وبغير الحق يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير وحبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.(١١)

ويقول ابن تيمية: ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله (ﷺ). ويقبلون ما جاء فى الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم.(١٢)

ويقول السفارينى: والذى أجمع عليه أهل السنة والجماعة أنه يجب على كل واحد تزكية جميع الصحابة بإثبات العدالة لهم والكف عن الطعن فيهم والثناء عليهم. والاعتقاد بنزاهتهم وأنهم أفضل جميع الأمة بعد نبيهم. هذا مذهب كافة الأمة ومن عليه المعول من الأئمة.(١٣)

ويقول ابن الصلاح: للصحابة بأسرهم خصيصة وهى أنه لا يسئل عن عدالة أحد منهم. بل ذلك أمر مفروغ منه لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة والإجماع.(١٤)

ويفسر أهل السنة المقصود بالعدالة بقولهم: تفصيله أن يكون مسلماً بالغاً عاقلاً سالماً من أسباب الفسق وخوارم المروءة.(١٥)

ويقول ابن حجر: والمراد بالعدل ملكة تحمله على ملازمة التقوى والمروءة والمراد بالتقوى اجتناب الأعمال السيئة من شركة أو فسق أو بدعة.(١٦)

وقال ابن عابدين: العدل من يجتنب الكبائر كلها حتى لو ارتكب كبيرة تسقط عدالته وفى الصغائر العبرة بغلبه أو الإصرار على الصغيرة فتصير كبيرة. وتعود إليه عدالته إذا تاب.(١٧)

وروى أبو عروة الزبيرى من ولد الزبير: كنا عند مالك بن أنس فذكروا رجلاً ينتقص من أصحاب رسول الله (ﷺ) فقرأ مالك هذه الآية (محمد رسول الله والذين معه) حتى بلغ (يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار) فقال مالك: من أصبح من الناس فى قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله (ﷺ) فقد أصابته هذه الآية.(١٨)

وقال القرطبى: لقد أحسن مالك فى مقالته وأصاب فى تأويله فمن نقص واحداً منهم أو طعن عليه فى روايته فقد رد على الله رب العالمين وأبطل شرائع المسلمين.(١٩)

ويروى عن الرسول (ﷺ): أن الله اختار أصحابى على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لى من أصحابى أربعة ـ يعنى أبا بكر وعمر وعثمان وعليا ـ فجعلهم أصحابى.(٢٠)

وقال الآمدى فى الأحكام: اتفق الجمهور من الأئمة على عدالة الصحابة، وقال قوم: حكمهم فى

العدالة حكم من بعدهم فى لزوم البحث عن عدالته عند الرواية.

ويقول القرطبى: فالصحابة كلهم عدول. أولياء الله تعالى وأصفياؤه وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله، هذا مذهب أهل السنة والذى عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة. وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم فيلزم البحث عن عدالتهم.

ومنهم من فرق بين حالهم فى بداءة الأمر. فقال: إنهم كانوا على العدالة إذ ذاك ثم تغيرت بهم الأحوال فظهرت فيهم الحروب وسفك الدماء فلابد من البحث. وهذا مردود ولا يجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وأرادوا الله عز وجل. وهم كلهم لنا أئمة، وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر لحرمة الصحبة ولنهى النبى (ﷺ) عن سبهم وأن الله غفر لهم وأخبر بالرضا عنهم.

ومن أصحابنا من قال: إن سبيل ما جرت بين الصحابة من المنازعات كسبيل ما جرى بين إخوة يوسف مع يوسف. ثم إنهم لم يخرجوا بذلك عن حد الولاية والنبوة فكذلك الأمر فيما جرى بين الصحابة وقد سئل الحسن البصرى عن قتالهم فقال: قتال شهده أصحاب محمد (ﷺ) وغبنا وعلموا وجهلنا واجتمعوا فاتبعنا. واختلفوا فوقفنا.[٢١]

وقد استند أهل السنة فى رؤيتهم هذه إلى عدة نصوص من القرآن والأحاديث منها قوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس) آل عمران/ ١١٠.

وقوله: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) البقرة/١٤٣.

وقوله: (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم) الفتح...

وقوله: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه) التوبة/ ١٠٠

وقوله تعالى: (يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) الانفال/٦٤

وقوله تعالى: (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) الحشر/٨

ومن النصوص النبوية:

قول الرسول (ﷺ): «خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم».[٢٢]

وقوله: لا تسبوا أصحابى فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصفه.[٢٣]

وقوله: الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضاً بعدى.(٢٤)

وقوله: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ»(٢٥)

ومثل ما يقال حول الصحابة عند أهل السنة يقال مثله عن أمهات المؤمنين زوجات النبى. ومثلما جعلوا أفضل الصحابة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على. جعلوا الأضواء مركزة على عائشة من دون بقية أزواج النبى (ﷺ) واعتبروها حاملة علم الرسول.(٢٦)

ولأجل هذه النظرية القدسية التى ينظر بها أهل السنة للصحابة وهذا التنزيه المطلق لهم اعتبروهم مصدراً من مصادر التلقى وقدموهم على النصوص بل أخضعوا النصوص لهم.

ومثال ذلك اجتهادات عمر على النصوص وإخضاعها لفهمه وحصرها فى رأيه.(٢٧)

ومثال ذلك أيضا النصوص الواردة فى ردتهم وفسقهم وبغيهم فهذه النصوص قد تم تأويلها وتطويعها بحيث لا تمس الصحابة ولا تشكك فيهم ولا تهز صورتهم.(٢٨)

ومن هنا تحولت أقوال الصحابة وممارساتهم إلى نصوص تتعبد بها الأمة خاصة مواقف ابن عمر وأقواله.(٢٩)

ولقد ساد فى واقع الأمة هذا الرأى الذى تبنته جماعة أهل السنة حول الصحابة بينما ضرب الرأى الآخر ونبذ وهو من داخل الجماعة، بعد أن دعم الحكام هذا الرأى لكونه يخدم مصالحهم ويتيح لهم فرصة استثمار كثير ممن يدخل ضمن هذا التعريف ممن لا يستحقون درجة الصحبة ليروى باسم الرسول (ﷺ) الروايات التى تضفى المشروعية على سياساتهم وممارساتهم وأنظمتهم وتفرض على الجماهير طاعتهم.(٣٠)

وعلى هذا الأساس طغى الرجال على النصوص وأصبح الحق يعرف بهم لا يعرف بالنصوص واعتبر القوم المساس بهم مساسا بالنصوص.

من هذا اعتبرت قضية الصحابة عند أهل السنة قضية بالغة الحساسية فقد ارتبط بها الدين كله وأى محاولة للطعن فيهم تعتبر طعنا فى الدين.



هوامش

١ـ الخطان هما خط آل البيت. وخط الصحابة أو ما عرف فيما بعد بخط الشيعة وخط السنة. انظر لنا السيف والسياسة.

٢ـ الاعتصام للشاطبى جـ٢/٣٥٥. ط القاهرة.

٣ـ البخارى كتاب فضائل أصحاب النبى.

٤ـ فتح البارى جـ٧/٤ وما بعدها.

٥ـ المرجع السابق.

٦ـ الكفاية ص٥١.

٧ـ الاقتصاد فى الاعتقاد. ط القاهرة.

٨ـ الإصابة فى تمييز الصحابة جـ١/٧. ويذكر أن ابن حجر يعتبر الأطفال ممن مات النبى وهم دون سن التمييز صحابة. ويقول إن ذكر أولئك فى الصحابة إنما هو على سبيل الإلحاق لغلبة الظن على أنه رآهم. وقال ابن حزم: الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعاً.

٩ـ أسد الغابة فى معرفة الصحابة جـ١/ ط القاهرة.

١٠ـ الاستيعاب فى معرفة الأصحاب بهامش الإصابة.

١١ـ شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية.

١٢ـ العقيدة الواسطية شرح خليل هراس. ط الجامعة الإسلامية. المدينة المنورة.

١٣ـ الدرة المضيئة وشرحها/ عقيدة سفارينى جـ٢/٣٣٨.

١٤ـ علوم الحديث ص ٢٦٤.

١٥ـ المرجع السابق.

١٦ـ شرح نخبة الفكر. وقال مثله النووى فى التقريب. والسيوطى فى تدريب الراوى.

١٧ـ الدر المختار. كتاب الشهادة.

١٨ـ الجامع لأحكام القرآن جـ١٦/٢٩٦. ط القاهرة.

١٩ـ المرجع السابق.

٢٠ـ رواه البزار عن جابر مرفوعاً صحيحاً.

٢١ـ الجامع لأحكام القرآن جـ١٦/٢٩٩/٣٢٢.

٢٢ـ البخارى ومسلم.

٢٣ـ البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى.

٢٤ـ الترمذى.

٢٥ـ البخارى.

٢٦ـ انظر لنا السيف والسياسة. وفقه الهزيمة.

٢٧ـ انظر النص والاجتهاد وفقه الهزيمة وسوف نلقى الضوء على هذا الأمر عند الحديث عن موقف الشيعة من الصحابة.

٢٨ـ انظر مفاهيم القرآن جـ٥ الفصل الثالث وشبهات حول الشيعة وفقه الهزيمة.

ويظهر أن القوم تناسوا النصوص الواردة فى القرآن والتى تذم الصحابة مثل قوله تعالى: (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة.)/ التوبة/٤٤/٤٦.

وقوله: (قل أنفقوا طوعا أو كرها فلن يتقبل منكم إنكم كنتم قوما فاسقين) التوبة.

وقوله: (ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون) التوبة.

وقوله: (وقالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم) الحجرات.

وذلك غير الثلاثة الذين خلفوا وأصحاب المسجد الضرار وأصحاب الإفك وغيرهم كثير ذكرهم القرآن وجميعهم من الصحابة شاهدوا الرسول وعاصروه ومع ذلك حكم عليهم القرآن بالفسق والنفاق والجبن والفرار من الحرب.

وفى الأحاديث يروى البخارى قول الرسول (ﷺ): إنكم تحشرون حفاة عراة وإن أناساً من أصحابى يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: أصحابى. أصحابى. فيقول: إنهم لم يزالوا مرتدين على

أعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح: (وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم). وهناك عدة روايات رواها البخارى حول ردة الصحابة وهى المعروفة بأحاديث الحوض.

٢٩ـ يعتبر ابن عمر ركنا من أركان مذهب أهل السنة وقد ركزت الأضواء عليه من دون بقية الصحابة لمواقفه الموالية للحكام والمعادية لآل البيت. فقد بايع معاوية ويزيد والحجاج ولم يبايع الإمام على. وصلى وراء الحجاج ومعه أنس بن مالك ومن هنا اخترعت قاعدة جواز الصلاة وراء كل بر وفاجر. كذلك تحولت نصوص عائشة وأبى هريرة ومواقف كل منهما إلى قواعد فقهية تتعبد بها الأمة. انظر لنا فقه الهزيمة فصل الرجال. وانظر أحاديث عائشة للسيد مرتضى العسكرى. وأبو هريرة للسيد شرف الدين وأبى رية.

٣٠ـ انظر لنا فقه الهزيمة فصل أوهام. والسيف والسياسة.

• الصحابة عند الشيعة:

يشكل موقف الشيعة من الصحابة استفزازاً كبيراً لأهل السنة، حيث إن الشيعة لا تعطى لهذه المسألة أهمية كبيرة وتعتبرها مسألة عادية ينطبق عليها ما ينطبق على المسلمين. أى أنها لا تميز الصحابة ذلك التمييز الذى يميزه أهل السنة بحيث يرفعونهم فوق المسلمين. وتعتقد أن فيهم المسىء والمصلح والطائع والعاصى والمؤمن والمنافق والتقى والشقى والصدوق والكذوب.

إلا أن هذا لا ينفى أن هناك صحابة على درجة عالية من التقوى والالتزام بنهج الرسول والإخلاص لدعوته تعتقد فيهم الشيعة وتجلهم وتقبل روايتهم عن الرسول مثل عمار بن ياسر وسلمان الفارسى والمقداد وأبو ذر الغفارى وحذيفة بن اليمان وغيرهم.

وفكرة عدالة الصحابة مرفوضة عند الشيعة بصورتها العمومية التى يتبناها أهل السنة كما أن التعريف العائم الذى يتبنونه حول الصحبة مرفوض أيضاً.

يقول الأستاذ عباس الموسوى: إن قضية الصحابة هى إحدى القضايا الهامة التى اتخذ فيها الخط الشيعى رأياً معتدلاً لا إفراط فيه ولا تفريط. لم يشذ بمسلكه ذاك عن الطريق السوى أو ينفرد وحده بهذا الرأى، بل هناك من المسلمين من غير الشيعة من تبنى رأيهم فى الصحابة دون أن تأخذه فى الله لومة لائم سيرا وراء الحق واقتفاء للدليل والبرهان.(١)

ويقول السيد محسن الأمين: حكم الصحابة فى العدالة حكم غيرهم ولا يتحتم الحكم بها بمجرد الصحبة وهى لقاء النبى (ﷺ) مؤمنا به ومات على الإسلام - على ما قال ابن حجر أنه أصح ما وقف عليه فى تعريف الصحابى - وإن ذلك ليس كافياً فى ثبوت العدالة بعد الاتفاق على عدم العصمة المانعة من صدور الذنب، فمن علمنا عدالته حكمنا بها وقبلنا روايته ولزمنا له من التعظيم والتوقير بسبب شرف الصحبة ونصرة الإسلام والجهاد فى سبيل الله ما هو أهله، ومن علمنا منه خلاف ذلك لم تقبل روايته أمثال مروان بن الحكم والمغيرة بن شعبه والوليد بن عقبة وبر بن أرطأة وبعض بنى أمية وأعوانهم ومن جهلنا حاله فى العدالة توقفنا فى قبول روايته.(٢)

ويقول الشيخ السبحانى: ولا يخفى أن التوسع فى مفهوم الصحابى على الوجه الذى عرفته فى كلماتهم - أهل السنة - مما لا تساعده اللغة والعرف العام فإن صحابة الرجل عبارة عن جماعة تكون لهم خلطة ومعاشرة معه مدة مديدة فلا تصدق على من ليس له حظ إلا الرؤية عن بعيد أو سماع الكلام أو المكالمة أو المحادثة فترة يسيرة أو الإقامة معه زمناً قليلاً. وأظن أن فى هذا التبسيط والتوسع غاية سياسية. فأرادوا بهذا التبسيط صرف النصوص الواردة عن ردة ثلة من الصحابة إلى

الأعراب وأهل البوادى الذين لم يكن لهم حظ من الصحبة إلا اللقاء القصير بينما هذه النصوص راجعة إلى الذين كانوا مع النبى ليلاً ونهاراً، صباحاً ومساء.(٣)

ويقول الموسوى: إن هؤلاء الصحابة قد أعطوا من الحصانة ما لايجوز معه أن يذكروا إلا بالتقدير والتعظيم والمدح والثناء. ولا يجوز أن يقترب أحد من ساحتهم بأية علامة استفهام أو سؤال عن تصرف يشعر منه أنه يحط من كرامة أحدهم أو يمس عدالته. هؤلاء الصحابة قد أعطاهم إخواننا السنة ميزة زائدة على جميع المسلمين. إنها ميزة العدالة المطلقة لكل من اتصف أنه صحابى مهما عمل من الموبقات وارتكب من الجرائم والمخازى. إن الصحبة قد هدمت كل شائنة وغفرت كل جرم فلا يجوز فى المنطق أن تقول لماذا؟

لمن اتصف بالصحبة أو لم - لمن حمل اسم الصحبة إنها اسم لانسان مبرأ من جميع الذنوب معدل بصبغة اللحظة التى اكتسبها أو الحديث الذى سمعه من النبى (ﷺ). ثم إنه بعد إعطائهم هذه العدالة ترتبت أمور وأعطيت لهم امتيازات لم تعط لأحد من الناس.

فقد ترتب على القول بعدالتهم أمور منها:

١- عدم جواز البحث عن حالهم فإذا وصلت الرواية إلى أحدهم انكسر القلم وخرس المنطق فلا يجرى عليهم قانون الجرح والتعديل.

٢- حمل كل ما صدر عنهم من هفوات وعثرات ومذلات ومخالفات على الاجتهاد، فإنه أحسن علاج لجميع المصائب والويلات.

٣- من يجرح أحدهم فهو خارج عن الدين زنديق يريد أن يجرح الشهود ليبطل الكتاب والسنة لأنهم هم الذين حملوها إلينا.(٤)

وليس فقط موقف الشيعة المتشدد هذا تجاه الصحابة هو الذى يستفز أهل السنة ويدفعهم إلى الهجوم عليها والطعن فيها، بل إن ما يستفز أهل السنة أكثر فى هذه القضية ويشعل نيران غضبهم هو أن الشيعة تقف نفس الموقف من الخلفاء الثلاثة أبى بكر وعمر وعثمان ولا تستثنيهم من موقفها بل تركز موقفها عليهم. فالخلفاء الثلاثة فى نظر الشيعة يحملون القدر الأكبر من الانحراف الذى حدث بعد وفاة الرسول (ﷺ).

وهم إن كانوا يعدلون بعض الصحابة فقد استثنوا الخلفاء من هذا التعديل بل قدموا هؤلاء الصحابة عليهم. فعمار وأبو ذر وسلمان وحذيفة والمقداد وجابر بن عبد الله وبلال وغيرهم مقدمون على أبى بكر وعمر وعثمان. كما يعتقدون أن محاولة رفع الخلفاء الثلاثة وتقديسهم إنما هى من صنع

السياسة بهدف ضرب الإمام على وخط آل البيت.[٥]

ونفس الموقف ينطبق على أمهات المؤمنين، فالشيعة لا تعدل عائشة ولا حفصة وتقدم عليهما السيدة خديجة وأم سلمة. وتعتقد أن رفع عائشة وتقديسها إنما هو غرض سياسى الهدف منه تحجيم دور السيدة خديجة فى حركة الدعوة وتقليص حجم السيدة فاطمة (ع) ومكانتها الشرعية.[٦]

وإذا كان أهل السنة يعتبرون أن الطعن فى الصحابة طعن فى الكتاب والسنة وهم بهذا يشككون فى عقائد الشيعة التى لا تعترف بفكرة العدالة. فإن هذه الحجة باطلة عند الشيعة حيث إنهم يعتبرون أن مصدر تلقى الكتاب والسنة ينحصر فى آل البيت وليس فى الصحابة. ومقياس عدالة الصحابى وعدم عدالته إنما يتحدد بموقفه من آل البيت.

فإن والاهم كان عدلاً. وإن عاداهم كان مذموماً متروكاً.

ومن المعروف أن معظم الصحابة وفى مقدمتهم الخلفاء الثلاثة قد حادوا عن نهج آل البيت وانحازوا للقبلية والعصبية والهوى بعد وفاة الرسول(ﷺ). فمن ثم فإن الشيعة لا تقر بعدالة هذه الكثرة وترفض اتباعها والنقل عنها. وتقر بعدالة القلة القليلة منهم التى والت آل البيت وسارت على نهجهم.[٧]

إن مفهوم العدالة بصورته المطلقة إنما يتحقق فى آل البيت وحدهم لكونهم مصدر التلقى ولا يجوز أن ينطبق بحال على أناس محل شك وسيرتهم وممارستهم ومواقفهم تدفع إلى عدم الثقة فيهم.

وعندما نجزم بأن مصدر تلقى الكتاب والسنة ينحصر فى دائرة الصحابة ـ كما يقول أهل السنة وهم على مانعرف من الخلاف والتجاوز والاقتتال. فإن هذا التصور سوف يقودنا بالتالى إلى الشك فيما نتلقاه منهم.

وما دمنا نؤمن بعصمة الكتاب فإن هذا الإيمان يجب أن يقودنا إلى عصمة مصدر التلقى. فهذه هى النتيجة الطبيعية لهذا الإيمان. وهى نتيجة تقودنا إلى الثقة فى هذا المصدر.

وهذا الأمر يتبين لنا بوضوح عندما نلقى نظرة على جانب أهل السنة وما تلقوه من الصحابة. فقد تلقوا كتابا محرفاً فى معانيه وأحاديث مخترعة ومنسوبة للرسول. ولقد سارت الأمة طوال القرون السالفة على ما تلقته من الصحابة مما هو واضح فيه غلبة أقوال الرجال على النصوص، وتدخل السياسة والحكام فى صياغة شكل الإسلام.

والخلاصة أن السنة مجبرون على تبنى قضية العدالة وإلا نقضوا الكتاب والسنة، بينما الشيعة

ينقضون فكرة العدالة لاعتقادهم أن آل البيت هم مصدر تلقى الكتاب والسنة.

فإما عدالة الصحابة.

وإما عدالة آل البيت.

ولا يمكن لأى من الخطين أن يسود إلا على حساب الآخر. وهو ما حدث. فقد ساد خط الصحابة من بعد وفاة الرسول وباد خط آل البيت.

ومنذ ذلك الحين ظهرت صورة مختلفة للإسلام بل صور مختلفة عن صورة الإسلام الذى يحمله آل البيت والذى لم تتح له فرصة البروز والسيادة.



هوامش

١ـ شبهات حول الشيعة ط ـ بيروت.

٢ ـ أعيان الشيعة جـ ١ ق ٢.

٣ ـ مفاهيم القرآن جـ ٥ .

٤ ـ شبهات حول الشيعة.

٥ ـ انظر معالم المدرستين حـ ١ للسيد مرتضى العسكري، وانظر لنا السيف والسياسة، وانظر الفصل القادم.

٦ ـ انظر المراجع السابق ذكرها.

٧ ـ انظر فصل الحديث عند الشيعة وانظر الفصل القادم.

• آل البيت عند أهل السنة:

يقف أهل السنة فى حيرة أمام النصوص الواردة فى آل البيت. وحيرتهم هذه إنما يعود سببها إلى ما يلى:

- كثرة هذه النصوص وتواترها وصراحتها.
- ضغوط السياسة والحكام.
- التزامهم بعدالة الصحابة.

إن التزام أهل السنة بطاعة الحكام وعدم الخروج عليهم مع تبنيهم قضية عدالة جميع الصحابة والتزامهم بالإجماع على ذلك يفرض عليهم الوقوف موقفاً سلبياً فى مواجهة النصوص الواردة فى آل البيت على كثرتها، أو بمعنى آخر يفرض عليهم تأويل هذه النصوص بما لا يصطدم بقضية عدالة الصحابة ويثير الناس على الحكام.

إذ أن أئمة آل البيت هم الأئمة الحقيقيون للمسلمين كما أنهم أيضاً هم العدول الحقيقيون الواجب اتباعهم فى أمر الدين والسياسة.

من هنا يتبين لنا مدى حساسية مسألة آل البيت عند أهل السنة، فهم يرفضون المساس برؤيتهم تجاه هذه المسألة، كما يرفضون المساس بمسألة الصحابة. فكلتا المسألتين مبنية على الأخرى ومرتبطة بها. فإن تنازل أهل السنة عن رؤيتهم تجاه أهل البيت فسوف يتبع هذا الموقف تنازل عن عدالة جميع الصحابة وبالتالى سقوط مذهبهم مما يهدد القوى الحاكمة التى تتحصن بهذا المذهب.

فما هى رؤية أهل السنة فى آل البيت.؟

يقول القرطبى: اختلف أهل العلم فى أهل البيت. من هم؟

فقال عطاء وعكرمة وابن عباس: هم زوجاته خاصة. لا رجل معهن. وذهبوا إلى أن البيت أريد به مساكن النبى (ﷺ) لقوله تعالى:(واذكرن ما يتلى فى بيوتكن.)

وقال الثعلبى: هم بنو هاشم. فهذا يدل على أن البيت يراد به بيت النسب فيكون العباس وأعمامه وبنو أعمامه منهم.

وقال الزجاج: يراد به نساء النبى (ﷺ). وقيل: يراد به نساؤه وأهله الذين هم أهل بيته.[١]

ويقول شارح العقيدة الواسطية : أهل بيته (ﷺ) من تحرم عليهم الصدقة وهم آل على وآل جعفر

وآل عقيل وآل العباس وكلهم من بنى هاشم ويلحق بهم بنو عبد المطلب.

وقوله هذا إنما يؤكد قول الآخرين الذين ذهبوا إلى أن أهل البيت قريش كلهم.

ويقول القرطبى: إن الآية (إنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت) عامة فى جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم.(٢)

ويتجه معظم أهل السنة إلى تفسير أهل البيت المشار إليهم فى قوله تعالى:

(إنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) على أنهم أزواج النبى، وذلك ما يدل عليه سياق الكلام.(٣)

وهناك اتجاه فى أهل السنة يفسر أهل البيت على أنهم على وفاطمة والحسن والحسين خاصة، ويحتج هذا الاتجاه بأن الآية المذكورة ذكرت الميم فى قوله (ويطهركم) ولو كان للنساء خاصة لكان (عنكن ويطهركن) وهو اتجاه فرقة منهم الكلبى.(٤)

يقول القرطبى: ولا اعتبار بقول الكلبى وأشباهه فإنه توجد له أشياء فى هذا التفسير ما لو كان فى زمن السلف الصالح لمنعوه من ذلك وحجروا عليه.(٥)

واستدل أهل السنة على أن أزواج الأنبياء من أهل البيت بقوله تعالى: (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد.) هود /٧٣.

واعتبروا عائشة وغيرها من جملة أهل بيت النبى (ﷺ) ممن قال الله فيهم:(ويطهركم تطهيرا).(٦)

وأخرج مسلم وأحمد عن زيد بن الأرقم قال: قال رسول الله (ﷺ): ألا وإنى تارك فيكم ثقلين أحدهما: كتاب الله عز وجل، وهو حبل الله الذى من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة وعترتى أهل بيتى.

فقلنا : من أهل بيته نساؤه.؟

قال: ايم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر فيطلقها فترجع إلى أبيها وقومها. أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده.

ومثل هذا الاتجاه الذى يفسر آل البيت بأنهم على وفاطمة والحسن والحسين من أهل السنة إنما هو اتجاه منبوذ تم ضربه كما ضرب الرأى الآخر فى مسألة عدالة الصحابة وفى مسألة طاعة الحكام.(٧)

ويقف أهل السنة من الأحاديث الواردة فى آل البيت موقف التأويل الذى يدفع بالمعنى المراد من

هذه الأحاديث بحيث يتفق مع وجهتهم فى آل البيت وبحيث يتفق مع تفسيرهم لآية التطهير. ويعتبرون ما ذكرته هذه الأحاديث مجرد فضائل الهدف منها دفع المسلمين لتوقير آل البيت واحترامهم وحبهم كما يوقر ويحترم الصحابة، ولا تعطى هذه الأحاديث لآل البيت أية ميزة تميزهم عن الآخرين بل من الممكن أن يكون الصحابة أفضل منهم على ما هو واضح فى كتب العقائد من ترتيب الأفضلية بين الخلفاء، وجعل الإمام على فى المرتبة الرابعة بعد أبو بكر وعمر وعثمان. حتى إنهم ساووه بمعاوية. كما رفعوا عائشة فوق فاطمة.

من هنا وضع أهل السنة آل البيت فى المرتبة الثانية بعد الصحابة واعتبروا أن أى ميل لآل البيت وتقديمهم على الصحابة يعتبر بدعة وانحرافا عن العقيدة الصحيحة، عقيدة السلف كما حدث للشافعى.(٨)

وتبدو قضية تأويل النصوص النبوية الواردة فى آل البيت عند أهل السنة ومحاولتهم تطويع النص لأغراض سياسية تبدو بوضوح فى مواجهة قول الرسول (ﷺ): إن هذا الأمر لا ينقضى حتى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة.(٩)

وقوله: لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً.(١٠)

وقوله: لا يزال الإسلام عزيزا إلى اثنى عشر خليفة(١١)

وقوله: لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة.(١٢)

وقوله: لا يزال هذا الدين عزيزا منيعا إلى اثنى عشر خليفة.(١٣)

ينقل ابن حجر عن المهلب قوله: لم ألق أحداً يقطع فى هذا الحديث - يعنى بشىء معين - فقوم قالوا يكونون بتوالى إمارتهم. وقوم قالوا يكونون فى زمن واحد كلهم يدعى الإمارة.

قال والذى يغلب على الظن أنه (ﷺ) أخبر بأعاجيب تكون بعده من الفتن حتى يفترق الناس فى وقت واحد على اثنى عشر أميراً.

قال ولو أراد غير هذا لقال يكون اثنا عشر أميراً يفعلون كذا. فلما أعراهم من الخبر عرفنا أنه أراد أنهم يكونون فى زمن واحد. ويعلق ابن حجر على الجملة الأخيرة من كلام المهلب قائلا: وهو كلام من لم يقف على شىء من طرق الحديث غير الرواية التى وقعت فى البخارى هكذا مختصرة (يكون اثنا عشر أميراً.) وقد عرفت من الروايات التى ذكرتها من عند مسلم وغيره أنه ذكر الصفة التى تختص بولايتهم وهى كون الإسلام عزيزاً منيعاً. ويقول القاضى عياض: توجه على هذا العدد سؤالان

أحدهما أنه يعارضه ظاهر قول الرسول (ﷺ): الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا. لأن الثلاثين سنة لم يكن فيها إلا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن بن على. والثانى أنه ولى الخلافة أكثر من هذا العدد. والجواب عن الأول أنه أراد فى حديث الخلافة بعدى خلافة النبوة. ولم يقيد فى حديث الاثنى عشر بذلك. وعن الثانى أنه لم يقل لايلى إلا اثنا عشر وإنما قال يكون اثنا عشر وقد ولى هذا العدد ولا يمنع ذلك الزيادة عليهم. وهذا إن جعل اللفظ واقعاً على كل من ولى وإلا فيحتمل أن يكون المراد من يستحق الخلافة من أئمة العدل وقد مضى منهم الخلفاء الأربعة ولابد من تمام العدة قبل قيام الساعة.

وينقل ابن حجر: وقد قيل إنهم يكونون فى زمن واحد يفترق الناس عليهم. ويحتمل أن يكون المراد أن يكون الاثنا عشر فى مدة عزة الخلافة وقوة الإسلام واستقامة أموره والاجتماع على من يقوم بالخلافة.(١٤)

ويقول ابن الجوزى فى كشف المشكل: قد أطلت البحث عن معنى هذا الحديث وتطلبت مظانه وسألت عنه فلم أقع على المقصود به لأن ألفاظه مختلفة ولا أشك أن التخليط فيها من الرواة. فأما الوجه الأول فإنه أشار - أى الرسول - إلى مايكون بعده وبعد أصحابه وأن حكم أصحابه مرتبط بحكمه فأخبر عن الولايات الواقعة بعدهم. فكأنه أشار بذلك إلى عدد الخلفاء من بنى أمية وأول بنى أمية يزيد بن معاوية وآخرهم مروان الحمار وعدتهم ثلاثة عشر. ولا يعد عثمان ومعاوية ولا ابن الزبير لكونهم صحابة. فإذا أسقطنا منهم مروان بن الحكم للاختلاف فى صحبته. أولأنه كان متغلباً بعد أن اجتمع الناس على عبد الله بن الزبير صحت العدة.(١٥)

وينقل ابن حجر أنه يحتمل أن يكون الاثنا عشر بعد المهدى الذى يخرج فى آخر الزمان أو أن يكون المراد وجود اثنى عشر خليفة فى جميع مدة الإسلام إلى يوم القيامة يعملون بالحق وإن لم تتوال أيامهم(١٦)

ويقول ابن حجر: إن المراد بالاجتماع انقيادهم لبيعة الخليفة. والذى وقع أن الناس اجتمعوا على أبى بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على إلى أن وقع أمر الحكمين فى صفين فسمى معاوية يومئذ بالخلافة. ثم اجتمع الناس على معاوية عند صلح الحسن. ثم اجتمعوا على ولده يزيد ولم ينتظم للحسين أمر بل قتل قبل ذلك. ثم لما مات يزيد، وقع الاختلاف إلى أن أجتمعوا على عبد الملك بن مروان بعد قتل الزبير. ثم اجتمعوا على أولاده الأربعة: الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام وتخلل بين سليمان ويزيد عمر بن عبد العزيز فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين. والثانى عشر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك اجتمع الناس عليه لما مات عمه هشام فولى نحو أربع سنين، ثم قاموا عليه فقتلوه وانتشرت الفتن

وتغيرت الأحوال من يومئذ ولم يتفق أن يجتمع الناس على خليفة بعد ذلك.[١٧]

يقول شارح الطحاوية: والاثنا عشر: الخلفاء الراشدون الأربعة ومعاوية وابنه يزيد وعبد الملك بن مروان وأولاده الأربعة وبينهم عمر بن عبد العزيز. ثم أخذ الأمر فى الانحلال .[١٨]

ويقول السيوطى: وعلى هذا فقد وجد من الاثنى عشر خليفة الخلفاء الأربعة والحسن ومعاوية وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز. هؤلاء ثمانية ويحتمل أن يضم إليهم المهتدى من العباسيين لأنه فيهم كعمر بن عبد العزيز فى بنى أمية. وكذلك الظاهر لما أوتيه من العدل وبقى الاثنان المنتظران أحدهما المهدى لأنه من آل بيت محمد (ﷺ).[١٩]

ويقول النووى: وقيل إن معناه أنهم يكونون فى عصر واحد يتبع كل واحد منهم طائفة. قال القاضى: ولايبعد أن يكون هذا قد وجد إذا تتبعت التواريخ فقد كان بالأندلس وحدها منهم فى عصر واحد بعد أربعمائة وثلاثين سنة، ثلاثة كلهم يدعيها ويلقب بها، وكان حينئذ فى مصر آخر، وكان خليفة الجماعة العباسية ببغداد، سوى من كان يدعى ذلك فى ذلك الوقت فى أقطار الأرض.[٢٠]

ونخرج من تفسيرات أهل السنة لحديث الأئمة الاثنى عشر بالنتائج التالية:

أولا: إن هناك خلافا وتخبطا واضحا فى تحديد الأئمة والخلفاء المقصودين من الحديث.

ثانيا: إن فقهاء أهل السنة حصروا تفسير الحديث فى حدود بنى أمية.

ثالثا: إن بصمة السياسة واضحة فى تفسيرات النص.

رابعا: إن هذه التفسيرات قد أغفلت ذكر المهدى.

خامسا: تبدو الحيرة واضحة فى تفسير السيوطى الذى ذكر أحد عشر خليفة ولم يذكر الثانى عشر.

سادسا: أن تحديد الخليفة المقصود تم على أساس اجتماع الناس عليه وليس على أساس اختيار المسلمين الحر له. فالناس اجتمعت على معاوية ويزيد وبنى أمية بالسيف وليس بالشورى، وحتى الذين سبقوهم من الخلفاء لم يجتمع الناس عليهم بالشورى، مما يشير إلى أن تفسير النص أخضع للسياسة ولعقيدة أهل السنة التى تقر بالسمع والطاعة للمتغلب على السلطة بالسيف، فهم دائما مع الغالب وإن كان فاسداً، وغلبته تعنى اجتماع الناس عليه وهذا تفسير يبدو فيه الاضطراب والتخبط إذ أن حكام العصر العباسى تنطبق عليهم نفس الحالة ومع ذلك أغفلوا ذكرهم.

من هنا رفض صاحب الطحاوية إثارة أية شكوك حول هذه التفسيرات بقوله: وعند الرافضة أن أمر

الأمة لم يزل فى أيام هؤلاء فاسداً يتولى عليهم الظالمون المعتدون بل المنافقون الكافرون وأهل الحق أذل من اليهود وقولهم ظاهر البطلان بل لم يزل الإسلام عزيزاً فى ازدياد فى أيام هؤلاء.(٢١)

ويرفض أهل السنة رفضاً قاطعاً تحويل نص الأئمة الاثنى عشر ناحية آل البيت، بل جميع رواياتهم حول هذا النص جاءت بلفظ خليفة وليست بلفظ إمام، وهذا الرفض إنما هو نابع من الأساس من موقفهم العقائدى من آل البيت، إلا أنهم على كل حال لم يعطونا جواباً يريح عقولنا حول مراد النص.(٢٢)

إن المتتبع لسيرة الخلفاء من أبى بكر وحتى آخر خلفاء بنى أمية الذين قصدهم أهل السنة بتفسير النص لا يجد من سيرتهم ما يتفق مع ظاهر النص ويكفى فى ذلك سيرة بنى أمية ومواقفهم وممارساتهم التى تصطدم بقواعد الإسلام وأصوله.(٢٣)

فهل يعقل أن يبشر الرسول بأناس يفسدون فى الأرض باسم الإسلام ثم يربط عزة الإسلام بهم؟

هل يمكن أن يبشر الرسول بمعاوية ويزيد وأولاد عبد الملك.

إن العقل يقول إن المقصود بالاثنى عشر فئة أخرى تتميز بالطهارة والنقاء، وأن دورها ليس مجرد الحكم فى ذاته وإنما التعبير الحقيقى عن الإسلام.

هوامش

١ـ الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤/ تفسير سورة الأحزاب.

٢ـ المرجع السابق.

٣ـ المرجع السابق.

٤ـ المرجع السابق.

٥ـ المرجع السابق.

٦ـ المرجع السابق جـ ٩/ تفسير سورة هود.

٧ـ لا تجد أثراً لهذه الآراء فى الكتب المنتشرة فى واقع السلف والخلف. ومثل هذه الآراء توجد فى الكتب غير المشهورة والتى لم تسلط عليها الأضواء.

٨ـ اتهم الشافعى بالميل للشيعة ووصموه بالرفض لكونه أظهر ميلاً لآل البيت، وقد كتب قصيدة طويلة فى مدح آل البيت.

(٩ : ١٣) صحيح مسلم كتاب الإمارة.

١٤ـ فتح البارى جـ ١٣/ كتاب الأحكام.

١٥ـ نقلا عن المرجع السابق.

١٦ـ المرجع السابق.

١٧ـ المرجع السابق.

١٨ـ شرح الطحاوية تحقيق أحمد شاكر ط القاهرة ص ٤٢٠.

١٩ـ تاريخ الخلفاء للسيوطى/ المقدمة.

٢٠ـ مسلم شرح النووى/ كتاب الإمارة.

٢١ـ شرح الطحاوية.

٢٢ـ هناك شكوك حول استعمال لفظ«خليفة» على لسان الرسول (ﷺ). والراجح أن هذا اللفظ اخترع بعد عصر الرسول ليحل محل لفظ«إمام». والهدف من ذلك هو صرف أنظار المسلمين عن مراد النصوص الخاصة بأئمة آل البيت والتى تم ربطها بالحكام.

٢٣ـ انظر تاريخ الخلفاء وكتب التاريخ. ولا يقتصر الأمر هنا على سيرة خلفاء الرسول وبنى أمية بالطبع إنما يشمل أيضا سيرة بنى العباس وبنى أيوب والمماليك والعثمانيين وملوك الأندلس وغيرهم ممن تسلط على المسلمين. فجميع هؤلاء سيرتهم واحدة وخطهم واحد وهو تطويع الإسلام لأنظمتهم ومحاربة خط آل البيت والبطش بشيعته. مستمدين الدعم الشرعى من فقهاء أهل السنة وشيوخ الإسلام الذين ينعمون عليهم بالمناصب ليباركوهم ويبرروا مواقفهم وممارساتهم ويدعوا المسلمين إلى السمع والطاعة لهم.

• آل البيت عند الشيعة:

إن آل البيت فى تعريف الشيعة هم فئة محدودة من نسل الرسول (ﷺ) خصتهم الروايات الواردة على لسانه وقصدهم النص القرآنى(آية التطهير) وهم على وفاطمة والحسن والحسين ثم تسعة آخرون من نسل الحسين.

وهذه الفئة هى المقصودة بالعصمة لارتباطها بدورها ورسالتها بعد الرسول، وليس كل من ينتسب لآل البيت يعتبر معصوما كما قد يتصور بعض السطحيين ممن ليس لهم دراية بالرؤية الشرعية لآل البيت.

وهذه الرؤية ليست من اختلاق الشيعة إنما تفرضها النصوص الواردة فى آل البيت، وهى نصوص أكثر من أن تحصى موهت عليها السياسة وصرفتها عن المدلول الحقيقى الذى ترمى إليه وقد عرضنا لجزء من هذه النصوص فى باب الإمامة.

إن المسألة عند الشيعة هى مسألة نصوص وليست مسألة رجال فالنصوص هى التى تعطى الخاصية للإمام على.

والنصوص هى التى توجب التلقى والاتباع لآل البيت..

وأمام النصوص ليس هناك مجال للاختيار فإما الاتباع وإما الانحراف.

من هنا فإن الشيعة عندما يتخذون ذلك الموقف المتشدد من الصحابة ومن خصوم آل البيت عموماً، إنما يتخذون هذا الموقف على أساس النصوص.

على أساس أن خصوم آل البيت انحرفوا عن النصوص وليس عن الرجال.

ومسألة تقديس آل البيت من قبل الشيعة وحتى من عموم المسلمين إنما هى نابعة من النصوص التى جعلت لهم خصوصية وميزة ترفعهم فوق جميع الناس. تلك الخصوصية التى دفعت بجماهير السنة إلى تخطى حواجز السياسة وقيود الفقهاء والاتجاه بعواطفها ومشاعرها نحوهم. فعلى الرغم من محاولات التأويل والتحريف للنصوص الواردة فيهم غزت حقيقتهم القلوب وشع نورهم بين الدروب وبرزت مكانتهم ساطعة كالشمس لتتلاشى أمامها كل خيوط الظلام.(١)

من هنا فإن ملامح آل البيت عند الشيعة تتحدد لنا من خلال ما يلى:

- أنهم معصومون.
- أنهم لا يقاس بهم أحد.
- أنهم اثنا عشر إماماً.

فبخصوص العصمة فهى أداة لازمة للقيام بمهمتهم بعد الرسول كما بينا سابقاً.

أما كونهم لا يقاس بهم أحد فذلك لما لهم من مكانة تجعل الناس يقاسون بهم ولا يقاسون هم بأحد. ويقتدى الناس بهم ولا يقتدون بأحد. ويتعلم الناس منهم ولا يتعلمون من أحد.(٢)

أما كونهم اثنى عشر فهذا ما حددته النصوص الواردة عند الطرفين. وإن كان أهل السنة يطبقون هذه النصوص على الحكام ولم يقض ذلك على حيرتهم فى تحديد الاثنى عشر كما بينا فإن الشيعة يطبقون هذه النصوص على أئمة آل البيت المحددين بالاسم والمشهورين فى الأمة محل رضا وقبول وعشق الجميع. فمن ثم لا أثر للحيرة عندهم فى هذا الأمر خاصة أن هناك الكثير من النصوص الواردة على لسان الرسول(ﷺ) لدى السنة ولديهم تحدد أسماء هؤلاء الأئمة.

وأول هؤلاء الأئمة هوالإمام على باعتباره وصى الرسول وحامل لواء الإسلام من بعده. وهو الوحيد من بين صحابة الرسول الذى حمل لقب إمام. ولم نسمع أن قيل الإمام أبو بكر أو الإمام عمر وإنما قيل الإمام على وعلى لسان أهل السنة قبل أن يكون على لسان الشيعة.(٣)

وثانى هؤلاء الأئمة هو الحسن بن على.(٤)

وثالث الأئمة هو الحسين بن على.(٥)

ورابع الأئمة هو على بن الحسين المشهور بزين العابدين والإمام السجاد.(٦)

وخامسهم هو محمد بن على الباقر.(٧)

وسادسهم هو جعفر بن محمد الصادق.(٨)

وسابعهم هو موسى بن جعفر الكاظم.(٩)

وثامنهم هو على بن موسى الرضا.(١٠)

وتاسعهم هو محمد بن على الجواد.(١١)

وعاشرهم هو على بن محمد الهادى.(١٢)

والحادى عشر هو الحسن بن على العسكرى.(١٣)

والثانى عشر هو محمد بن الحسن المهدى.(١٤)

ولقد كان لهؤلاء الأئمة وجودهم الفاعل فى مجتمعاتهم، وكانت تهفو إليهم قلوب الجماهير المسلمة فى كل مكان مما أقلق حكام زمانهم فأخذوا يحيكون المؤامرات للتخلص منهم عن طريق القتل

بصورة لا تثير الناس وهى القتل بالسم.

ولم يكن هؤلاء الأئمة الذين هم أبناء الرسول محل خلاف أحد من المسلمين حتى فقهاء أهل السنة كانوا يكنون لهم كل تقدير وإجلال. وقد تتلمذ أبو حنيفة على الإمام الصادق مدة عامين وله قولة مشهورة: لولا السنتان لهلك النعمان. كما تتلمذ على يديه مالك والشافعى وكثير من فقهاء السنة. وقد روى الصادق آلاف الأحاديث عن جده (ﷺ) ولم ينقل منها فى كتب أهل السنة إلا القليل.[١٥]



هوامش

١ ـ حاول معاوية وأولاده من بعده تشويه آل البيت وطمس هويتهم والقضاء على وجودهم وفرض سب الإمام عليّ على المنابر حتى جاء عمر بن عبد العزيز فرفع السب ووضع مكانه قوله تعالى: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان.) ثم استمرت هذه السياسة بعد مصرع عمر حتى زالت دولة بنى أمية ومجيء بنى العباس الذين انتهجوا فى مواجهة آل البيت نهجاً أشد عداوة وشراسة. وعلى الرغم من ذلك بقيت مكانة آل البيت فى قلوب الجماهير وظهرت الطرق الصوفية لتعبر عن هذا الحب الجارف لآل البيت الذى يعكس قداستهم ومكانتهم.

٢ ـ انظر ينابيع المودة للقندوزى. ونور الأبصار للشبلنجى. والصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمى. وقد ورد هذا اللفظ على لسانى ابن عمر وابن حنبل.

٣ ـ انظر على والوصية لنجم الدين العسكرى ط بيروت. ومناقب الإمام على لإبن المغازلى. وخصائص الإمام على للنسائى. ونهج البلاغة. وعلى سيد العرب والعجم. ونهج الحق وكشف الصدق. وانظر لنا حركة آل البيت. ومكانة الإمام على ومقامه لا يحتاج إلى كلام.

٤ ـ التفت الأمة حول الإمام الحسن بعد مصرع الإمام على. ثم قرر الصلح مع معاوية حقناً لدماء المسلمين على شرط أن يعود الأمر إليه بعد وفاة معاوية. لكن معاوية أخل بالاتفاق وغدر بالحسن وسلط عليه من دس له السم فى الطعام ثم أعلن ولده يزيد ولياً للعهد.

٥ ـ تصدى الإمام الحسين ليزيد وأعلن الخروج عليه وعبأ الأمة للجهاد من أجل القضاء على بنى أمية وتحرير المسلمين من أغلالهم. إلا أنه سقط شهيداً فى كربلاء عام ٦١هـ بعد أن تخلت الأمة عنه ليسطر بدمائه الطاهرة أروع ملحمة جهادية فى التاريخ.

٦ ـ الإمام زين العابدين من بين الذين أنجاهم الله من مذبحة كربلاء وكان صغيراً. ولقب بالسجاد لكثرة سجوده. وهو صاحب الأدعية الشهيرة التى كانت سلاحه فى مواجهة إرهاب بنى أمية والتى طبعت فيما بعد تحت اسم الصحيفة السجادية. توفى فى المدينة.

٧ ـ سمى الباقر لأنه تبقر فى العلم أى توسع فيه وبلغ علمه الآفاق وتلقى منه آلاف الفقهاء والمريدين. وكان كثير الصدقات، وعاصره كثير من الصحابة والتابعين وتلقوا عنه ورووا على لسانه آلاف الأحاديث. وأنشدت فيه الأشعار. توفى فى المدينة.

٨ ـ كان الإمام الصادق معاصراً للمنصور العباسى وقد تمكن من استثمار فترة الانفتاح فى بداية العصر العباسى وأعلن دعوة آل البيت ولقن علومهم للمسلمين فكثر أتباع آل البيت.

ويتصور البعض أن الشيعة برزت مع الصادق لذا سميت بالشيعة الجعفرية. والحق أن الشيعة موجودة من قبله، وكذلك علوم آل البيت وأئمتهم. وكل ما فى الأمر أن الصادق هو أول إمام برز بالتشيع على ساحة الواقع. انظر جعفر الصادق للشيخ أبو زهرة وعبد الحليم الجندى.

٩ ـ والإمام موسى الكاظم كان معاصراً لهارون الرشيد ومات فى الحبس.

١٠ـ الإمام الرضا كان معاصرا للمأمون الذى جعله ولياً لعهده كسباً لشعبيته ومكانته فى نفوس المسلمين. ثم انقلب عليه ونقم منه. توفى بخراسان.

١١ـ الإمام الجواد ورث عن أبيه العلم والرأفة والرحمة وكان من الموصوفين بالسخاء ولذلك لقب بالجواد. توفى فى بغداد.

١٢ـ والإمام الهادى كان فقيهاً متعبداً ورث العلم والسخاء عن والده. نقله المتوكل العباسى من المدينة إلى«سر من رأى» بالعراق وكان تسمى بالعسكر وأسكنه فيها فعرف بالعسكرى وذلك خوفاً من نفوذه وتأثيره على أهل المدينة.

١٣ـ والإمام الحسن العسكرى كان على سيرة والده وأجداده (ذرية بعضها من بعض) وهو والد الإمام المهدى وتوفى بسر من رأى (سامراء).

١٤ـ الإمام محمد بن الحسن هو الإمام المنتظر الغائب الحاضر. الذى اختفى من وجه الطغيان فى انتظار ميقات ربه لينطلق رافعاً لواء الحرية والعدل والرخاء لتنعم البشرية فى ظل الإسلام بالأمن والسلام بعد ذهاب الطواغيت إلى غير رجعة.

ويمكن تتبع سيرة الأئمة الاثنى عشر فى كثير من المراجع منها: سيرة الأئمة الاثنى عشر لهاشم معروف الحسنى. والأئمة الاثنى عشر دراسة تحليلية لعادل أديب.

وإرشادات الحيدرى. والأنوار البهية للقمى. وقادتنا كيف نعرفهم، وحركة آل البيت وأعيان الشيعة.

وبدراسة سيرة الأئمة الاثنى عشر يتبين لنا مدى الفارق والبون الشاسع بينهم وبين أولئك الحكام الذين أحلهم أهل السنة مكانهم.

أئمة أهل البيت يمثلون الطهارة والنقاء والرحمة والعدل.

والحكام يمثلون التجبر والقهر والظلم.

أئمة أهل البيت يمثلون الإسلام بصورته النقية الصافية.

والحكام يمثلون مصالحهم وأهواءهم ويتسترون بإسلام زائف مشوش.

أئمة آل البيت أبناء الرسول تخرجوا فى مدرسة النبوة.

والحكام أبناء الطغاة والسفاحين تخرجوا فى مدرسة الشيطان.

فأى هؤلاء أحق أن يتبع؟

وأى هؤلاء قصدهم الرسول (ﷺ)؟

١٥ـ لم يرو البخارى لجعفر الصادق وكذلك مسلم رغم كونهما من المعاصرين الأئمة آل البيت. انظر العتب الجميل علي أهل الجرح والتعديل ط ـ القاهرة انظر ميزان الأعتدال للذهبي وتهذيب التهذيب لابن حجر..

خاتمة/ منهج التوحيد

هل قضية الوحدة الإسلامية بين السنة والشيعة لا تزال مطروحة. ؟

وهل دعمت الثورة الإسلامية فى إيران قضية الوحدة أم تسببت فى ضعفها. ؟

إن تتبع تاريخ دعوة الوحدة الإسلامية يكشف لنا أن السياسة تسببت فى تعويق هذه الدعوة بل وفى قتلها. كما يكشف لنا أن ظهور المد الوهابى ورسوخه بين التيارات الإسلامية المعاصرة قد أسهم إلى حد كبير فى ضرب هذه الدعوة وإجهاضها.

والحديث عن دور السياسة فى واقع دعوة التوحيد يأخذنا بلا شك إلى الحديث عن الدور الوهابى.

فقد ارتبطت السياسة بالوهابية. وارتبطت الوهابية بالسياسة.

وحين برزت دعوة التوحيد فى فترة الاربعينيات بمصر ناصرها رجال الأزهر وكثير من المفكرين والهيئات الإسلامية وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمين.

واستمرت دعوة التوحيد تسير بخطى آمنة مطمئنة طوال فترة الخمسينيات وفترة الستينيات الى أن جاءت فترة السبعينيات ودخلت التيارات الإسلامية الحقبة النفطية وسقطت فى قبضة الاخطبوط الوهابى السعودى.

عند ذلك بدأت حملات الهجوم والتشكيك تشن على دار التقريب فى مصر والتى كانت تضم الكثير من الرموز الإسلامية البارزة فى تلك الفترة على رأسها الشيخ محمد الغزالى والشيخ الباقورى والشيخ الشعراوى وكثيرا من رجال الأزهر.[١]

ولقد قادت حملة الهجوم فى تلك الفترة مجلة الاعتصام، الأداة الإعلامية الرئيسية للخط السعودى الوهابى فى مصر، ثم تبعتها مجلة التوحيد الناطقة بلسان جماعة أنصار السنة أضخم صرح وهابى فى مصر.[٢]

وقد قامت مجلة الاعتصام بتحريض مفتى مصر السابق محمد حسين مخلوف على الشيعة ودار التقريب، وكان أن قام المفتى بتوجيه رسالة شديدة اللهجة للشيخ الشعراوى وزيراً للأوقاف وقتها يدعوه فيها إلى محاربة الشيعة والخروج على جماعة التقريب مشككاً فى دور الشيخ القمى الطرف الشيعى فيها، طاعناً فى عقائد الشيعة مثيراً الشبهات من حولها.

وكان مما جاء بهذه الرسالة: وبعد فقد هال الناس ما نشرته الصحف بما دار بينكم وبين داعية الشيعة الإمامية من الحديث والآراء. ومعلوم على ما أجمع عليه أهل السنة بشأن الإمامة. وأن ما

ذهب إليه الشيعة الإمامية من الإمامة بعد الرسول(ﷺ) لعلى بن أبى طالب ثم لمن يليه إلى الإمام الثانى عشر باطل فى القول وزور. كما أنه معلوم لفضيلتكم ما قام به هذا الداعية من إنشاء(جماعة التقريب) وإنشاء مجلة لها بمصر وانطواء الشيخ شلتوت لها مع نفر من المنحرفين عن أهل السنة والجماعة، وما حرص عليه من وجوب تدريس مذهب الشيعة الإمامية بالأزهر أسوة بالمذاهب الأربعة، وما تبع ذلك من أقوال وأعمال. معلوم لفضيلتكم أن بلادنا مذ حماها الله من التشيع الضال وأقام أهلها على مذهب أهل السنة والجماعة، ينصحون بكتاب الله وسنن الرسول وينقلون السنن عن الرواة الأمناء. لذا نقول إن الشيعة الإمامية مبطلة فى مزاعمها بشأن الخلافة. وفى حكمها بجواز نكاح المتعة مخالفة لما ثبت فى السنن من بطلانه. ونقول إنهم مسلمون ولكن مبطلون فى مخالفة أهل السنة والجماعة. وإنما أريد إكرام الضيف لكن لاعلى حساب أهل السنة والجماعة ولاعلى حساب نشر مذهب التشيع الإمامى وغير الإمامى فى بلادنا التى برأها الله من الضلال والابتداع فى الدين. ومن الخير لكم بل من الواجب عليكم بعد كل هذا أن تبين للناس رأيكم فى التشيع عامة. والتشيع الإمامى خاصة، وأنكم لازلتم نصير أهل السنة والجماعة قولاً وعملاً والله تعالى يوفقك. وأخشى ما أخشاه أن يستغل الشيعة الامامية موقفكم للدعوة إلى نحلتهم ويقولوا إن إماما من أئمة المسلمين قد انضم إلى مذهبهم، وهو الداعية المعروف الشيخ الشعراوى. أعاذك الله من ذلك.[٣]

ومن الواضح من لغة الرسالة أنها لغة تنفيرية لا تقريبية. لغة تعكس منطق الاستعلاء والقيمومة على الآخرين الذى تعتمده فرقة أهل السنة قديماً وحديثاً فى مواجهة المخالفين لها. لغة تفوح منها رائحة الخط الوهابى النفطى المعاصر.

ومثل هذه اللغة من شأنها أن تزيد الصف الإسلامى تصدعاً وتقضى على أمل المسلمين فى الوحدة والوقوف صفاً واحداً فى مواجهة أعداء الإسلام.

وما استمر أهل السنة فى مخاطبة الآخرين بمنطق الفرقة الناجية فلن يكون هناك تقارب مع الشيعة. وإن محاولات التقريب التى تبذل من قبل الشيعة سوف يكون مآلها الفشل وهذا ما يشهد به الواقع.[٤]

إن المتأمل فى جوهر الخلاف بين السنة والشيعة يجد أن هذا الخلاف يكمن فى كم من الروايات اعتمدها الطرف السنى وبنى على أساسها موقفه من الآخرين.

وعلى رأس هذه الروايات قول الرسول(ﷺ): ألا وإن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون فى النار. وواحدة فى الجنة وهى الجماعة.[٥]

وفى رواية أخرى: كلهم فى النار إلا ملة واحدة ما أنا عليه وأصحابى.(٦)

وقول الرسول(ﷺ): لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق. لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله.(٧)

مثل هذه الروايات هى التى تدعم موقف القيمومة والاستعلاء لدى أهل السنة الذين اعتبروا هذه الروايات اختصت بهم وتعنيهم بالاسم.(٨)

إن مثل هذه الروايات لا تفتح الباب للتسامح الفكرى بل تفتح باب الشقاق الدائم بين أهل السنة والأطراف الأخرى.

إلا أن مثل هذا التصور يجب أن يعاد فيه النظر من قبل أهل السنة المعاصرين حيث أنهم قد تحولوا إلى جماعات متفرقة تكفر بعضها بعضاً وتستحل بعضها بعضاً. وقد كانوا فى السابق جماعة واحدة نظراً لكونها مدعومة من قبل نظام حاكم واحد وهو النظام العباسى.

وبعد سقوط العباسيين تفرق أهل السنة لتفرق دويلات الإسلام وكثرة الحكام الذين كان لكل منهم فئة تناصره من أهل السنة. حتى جاء الأيوبيون فاستطاعوا أن يوحدوا أهل السنة إلى حد ما بفضل اتساع الرقعة التى كانوا يسيطرون عليها من بلاد المسلمين وتبعهم بعد ذلك المماليك.

ثم جاء العثمانيون ليعيدوا وحدة أهل السنة ويبتدعوا منصب شيخ الإسلام السنى. ثم بعد سقوط العثمانيين تفرق أهل السنة مرة أخرى حتى جاء الوهابيون وحاولوا توحيدهم تحت رآية آل سعود إلا أنهم فشلوا لكونهم لا يمثلون سوى تيار واحد من تيارات أهل السنة وهو التيار الحنبلى وتيار ابن تيمية الذى تفرخ منه والذى تم نبذه ومحاربته من قبل الأطراف الأخرى داخل أهل السنة.

فإذا كان أهل السنة يعتبرون أنفسهم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة فأين هى الفرقة التى ينطبق عليها مفهوم النصر والنجاة من بين فرقهم. ؟

هل السلف هم الطائفة المنصورة والناجية؟

أم الخلف. ؟

أم أصحاب المذاهب الأربعة. ؟

أم الماتريدية. ؟

أم الوهابيون فى الوقت الحاضر. ؟

وأى طائفة من طوائف الوهابيين؟

هل هى طائفة ابن باز وابن عثيمين والجزائرى فقهاء آل سعود؟

أم الجماعات السلفية التى تناهضهم وتكفرهم.؟

أم الجماعات الإسلامية الأخرى المستقلة عنهم.؟

لقد كثرت رايات أهل السنة فى هذا الزمان حتى أنهم عندما اجتمعوا لقتال عدو واحد وهو شيوعيو أفغانستان. رفعوا أكثر من عشر رايات فى مواجهته. ثم فى النهاية بعد دحر العدو أصبحوا يقاتلون بعضهم بعضا.

فأين هم أهل السنة فى هذا الزمان الذين ندعوهم للوحدة مع الشيعة؟

لقد قامت علاقات وثيقة بين الأزهر ومن قبل جماعة الاخوان وبين جماعة التقريب فى مصر. ثم بترت هذه العلاقات فجأة بعد قيام الثورة الإسلامية واندلاع الحرب العراقية الإيرانية.

فلا جماعة الإخوان ولا الأزهر استطاعا أن يقاوما ضغط الحكومات والمد النفطى الوهابى. فكلا من هذين التيارين له حساباته الخاصة التى يرتهن على أساسها وجوده ومستقبله. تلك الحسابات التى تصطدم بالوحدة الإسلامية.(٩)

وليس هذا هو السبب المباشر فى فشل التقارب بين الشيعة وبين هذين التيارين. إنما السبب المباشر يعود إلى كونهما لا يمثلان سوى كيانهما، فهما ليسا سوى قطاعين من قطاعات أهل السنة.

والشيعة إذا أرادت التقريب وتوحيد جهود المسلمين فيجب عليها أن تتقرب إلى كل قطاعات أهل السنة. فلن ينجح التقريب بالاعتماد على طائفة واحدة من طوائفهم.

فيجب على الشيعة أن تتقرب إلى الأزهر.

ويجب على الشيعة أن تتقرب إلى الإخوان المسلمين.

ويجب على الشيعة أن تتقرب إلى السلفيين.

ويجب على الشيعة أن تتقرب إلى الصوفية.



هــوامـــــش

(١) انظر لنا كتاب الحركة الاسلامية في مصر. وكتاب الشيعة فيمصر وكتاب فقهاء النفط..

(٢) انظر المراجع السابقة..

(٣) مجلة الاعتصام عدد ٩ مايو عام ٧٧ انظر انظر نص الرسالة في كتاب الشيعة في مصر..

(٤) انظر كتاب الشيعة في مصر..

(٥) رواه الترمذي وابن ماجة..

(٦) المراجع السابقة..

(٧) البخاري ومسلم..

(٨) انظر لنا كتاب فقه الهزيمة فصل الفرقة الناجية. وكتاب الخدعة..

(٩) انظر فقهاء النفط والحركة الاسلامية..



ملاحق الكتاب

العقيدة
عند حسن البنا

تبنى حسن البنا زعيم جماعة الإخوان رؤية فى قضية التوحيد تميل نحو طرح السلف لكنها لا تنفر من الخلف..

وهى رؤية على ما سوف نبين توجه نقداً لكثير من الآراء والتصورات المتعلقة بقضية الأسماء والصفات وإن كان هذا النقد تم بصورة غير مباشرة لتجنب إثارة الخلاف مع التيارات الأخرى..

يحدد البنا بداية موقف الفرق السنية من الآيات والأحاديث المتعلقة بالصفات قائلاً:

انقسم الناس فى هذه المسألة على أربع فرق:

١ ـ فرقة أخذت بظواهرها كما هى فنسبت إلى الله وجهاً كوجوه الخلق ويداً أو أيدى كأيديهم وضحكاً كضحكهم. وهكذا حتى فرضوا الإله شيخاً. وبعضهم فرضه شاباً. وهؤلاء هم المجسمة والمشبهة..

٢ ـ فرقة عطلت معانى هذه الألفاظ على أى وجه يقصدون بذلك نفى مدلولاتها مطلقا عن الله تبارك وتعالى. فالله تبارك وتعالى عندهم لا يتكلم ولا يسمع ولا يبصر. لأن ذلك لا يكون إلا بجارحة والجوارح يجب أن تنفى عنه سبحانه. فبذلك يعطلون صفات الله تبارك وتعالى ويتظاهرون بتقديسه. هؤلاء هم المعطلة. ويطلق عليهم بعض علماء تاريخ العقائد الإسلامية: الجهمية..

٣ ـ أما السلف فقالوا نؤمن بهذه الآيات والأحاديث كما وردت. ونترك بيان المقصود منها لله تبارك وتعالى. فهم يثبتون اليد والعين والأعين والاستواء والضحك والتعجب.. إلخ وكل ذلك بمعان لا ندركها ونترك لله تبارك وتعالى الإحاطة بعلمها. ولاسيما وقد نهينا عن ذلك..

٤ - أما الخلف فقد قالوا: إننا نقطع بأن معانى ألفاظ هذه الآيات والأحاديث لا يراد بها ظواهرها. وعلى ذلك فهى مجازات لا مانع من تأويلها. فأخذوا يؤولون الوجه بالذات واليد بالقدرة وما إلى ذلك. هربا من شبهة التشبيه..

إلى هنا وضح أمامك طريق السلف والخلف. وقد كان هذان الطريقان مثار خلاف شديد بين علماء الكلام من أئمة المسلمين. وأخذ كل يدعم مذهبه بالحجج والأدلة. ولو بحثت الأمر لعلمت أن مسافة الخلف بين الطريقين لا تحتمل شيئا من هذا لو ترك أهل كل منهما التطرف والغلو. وأن البحث فى مثل هذا الشأن مهما طال فيه القول لا يؤدى فى النهاية إلا إلى نتيجة واحدة. هى التفويض لله تبارك وتعالى..[1]

ويطرح البنا رؤية توفيقية بين السلف والخلف محاولا التقريب بين الطرفين قائلا: قد علمت أن مذهب السلف فى الآيات والأحاديث التى تتعلق بصفات الله تبارك وتعالى أن يروها على ما جاءت به. ويسكتوا عن تفسيرها أو تأويلها. وأن مذهب الخلف أن يؤولوها بما يتفق مع تنزيه الله تبارك وتعالى عن مشابهة خلقه. وعلمت أن الخلاف شديد بين أهل الرأيين حتى أدى بينهما إلى التنابز بالألقاب العصبية. وبيان ذلك من عدة وجوه:

أولا: اتفق الفريقان على تنزيه الله تبارك وتعالى عن المشابهة لخلقه..

ثانيا: كل منهما يقطع بأن المراد بألفاظ هذه النصوص فى حق الله تبارك وتعالى غير ظواهرها التى وضعت لها هذه الألفاظ فى حق المخلوقات. وذلك مترتب على اتفاقهما على نفى التشبيه..

ثالثا: كل من الفريقين يعلم أن الألفاظ توضع للتعبير عما يجول فى النفوس، أو يقع تحت الحواس مما يتعلق بأصحاب اللغة وواضعيها. وأن اللغات مهما اتسعت لا تحيط بما ليس لأهلها بحقائقه علم. وحقائق ما يتعلق بذات الله تعالى من هذا القبيل. فاللغة أقصر من أن تواتينا بالألفاظ التى تدل على هذه الحقائق. فالتحكم فى تحديد المعانى بهذه الألفاظ تغرير..

وإذا تقرر هذا فقد اتفق السلف والخلف على أصل التأويل. وانحصر الخلاف بينهما فى أن الخلف زادوا تحديد المعنى المراد حيثما ألجأتهم ضرورة التنزيه إلى ذلك حفظا لعقائد العوام من شبهة التشبيه. وهو خلاف لا يستحق ضجة ولا إعناتا..

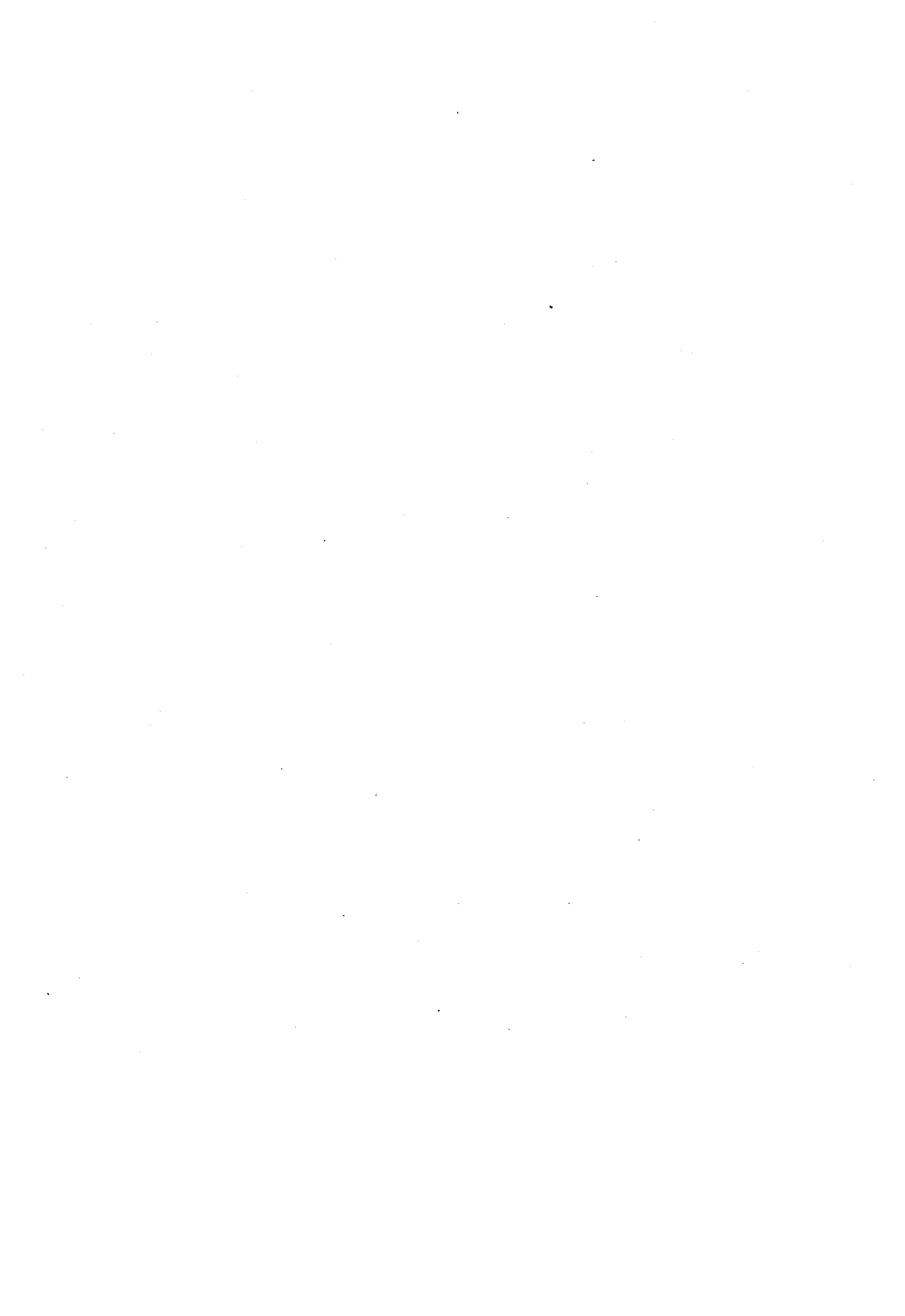
ونحن نعتقد أن رأى السلف من السكوت وتفويض علم هذه المعانى إلى الله تبارك وتعالى أسلم وأولى بالاتباع، حسما لمادة التأويل والتعطيل. فإن كنت ممن أسعده الله بطمأنينة الإيمان. وأثلج صدره ببرد اليقين فلا تعدل به بديلا. ونعتقد إلى جانب هذا أن تأويلات الخلف لا توجب الحكم عليهم

بكفر لا وفسوق. ولا تستدعى هذا النزاع الطويل بينهم وبين غيرهم قديما وحديثا. وصدر الإسلام أوسع من هذا كله. وقد لجأ أشد الناس تمسكاً برأى السلف إلى التأويل فى عدة مواطن وهو الإمام أحمد بن حنبل. من ذلك تأويله لحديث (الحجر الأسود يمين الله فى أرضه) وقوله (ﷺ): «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» وقوله (ﷺ): «إنى لأجد نفس الرحمن من جانب اليمين)[٢]

وقد رأيت للإمام النووى ما يفيد قرب مسافة الخلاف بين الرأيين مما لا يدع مجالا للنزاع والجدال ولاسيما وقد قيد الخلف أنفسهم فى التأويل بجوازه عقلا وشرعا بحيث لا يصطدم بأصل من أصول الدين..

وقال الرازى فى كتابه (أساس التقديس): ثم إن جوزنا التأويل اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل. وإن لم نجز التأويل فوضنا العلم بها إلى الله تعالى. فهذا هو القانون الكلى المرجوع إليه فى جميع المتشابهات وبالله التوفيق..[٣]

وخلاصة هذا البحث أن السلف والخلف قد اتفقا على أن المراد غير الظاهر المتعارف بين الخلق، وهو تأويل فى الجملة. واتفقا كذلك على أن كل تأويل يصطدم بالأصول الشرعية غير جائز. فانحصر الخلاف فى تأويل الألفاظ بما يجوز فى الشرع. وهو هين كما ترى. وأمر لجأ إليه بعض السلف أنفسهم وأهم ما يجب أن تتوجه إليه هموم المسلمين الآن توحيد الصفوف وجمع الكلمة ما استطعنا إلى ذلك سبيلا والله حسبنا ونعم الوكيل..[٤]



هوامش

١ ـ تأمل . هناك تطرف وغلو فى داخل أهل السنة. أى أن التطرف والغلو ليس قاصرا على الفرق الأخرى المخالفة لأهل السنة. وبالطبع مثل هذا الكلام لا يرضى أتباع الخط الوهابى..

٢ ـ حديث الحجر الأسود رواه الحاكم..

وحديث قلب المؤمن رواه مسلم..

وحديث إنى لأجد نفس الرحمن رواه أحمد..

وهناك أحاديث كثيرة على هذا النمط تسببت فى هذه البلبلة العقائدية الواقعة داخل أهل السنة. مثل حديث وضع رب العزة قدمه فى النار حتى تقول قط. قط. الذى رواه البخارى ومسلم. وحديث لله أشد فرحا.. البخارى ومسلم وحديث خلق آدم على صورته.. البخارى ومسلم. وغيرها من الروايات التى اعتمد عليها أهل السنة فى بناء موقفهم من الصفات أكثر من اعتمادهم على القرآن.. ويقول الرازى فى نفس الكتاب: واعلم أن نصوص القرآن لا يمكن إجراؤها..

٣ ـ على ظاهرها لوجوه: الأول أن ظاهر قوله تعالى (ولتصنع على عينى) طه/ ٣٩ يقتضى أن يكون موسى (ع) مستقرا على تلك العين ملتصقا مستعليا عليها وذلك لا يقوله عاقل. والثانى أن قوله تعالى (واصنع الفلك بأعيننا) هود/ ٣٧. يقتضى أن يكون آلة تلك الصنعة هى تلك العين..

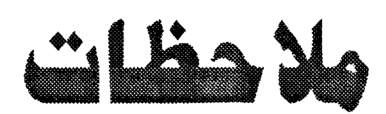
والثالث أن إثبات الأعين فى الوجه الواحد قبيح. فثبت أنه لابد من المصير إلى التأويل. وذلك هو أن تحمل هذه الألفاظ على شدة العناية والحراسة.. وقال ابن الجوزى فى كتابه (دفع شبه التشبيه): قال تعالى: (ويبقى وجه ربك) ـ الرحمن ـ قال المفسرون: يبقى ربك. وكذلك قالوا فى قوله تعالى: (يريدون وجهه) الأنعام/ ٥٢

أى يرونه. وقال الضحاك وأبو عبيدة: (كل شىء هالك إلا وجهه) القصص/٨٨ أى إلا هو..

وقال ابن الجوزى فى كتابه المذكور بالرد على الذين قالوا إن الأخذ بظاهر آيات وأحاديث الصفات هو مذهب السلف. قائلا: إن الأخذ بالظاهر هو تجسيم وتشبيه وأن ظاهر اللفظ هو ما وضع له. فلا معنى لليد حقيقة إلا الجارحة. وأما مذهب السلف فليس أخذها على ظاهرها ولكن

السكوت جملة عن البحث فيها. وقال أيضا إن تسميتها آيات وأحاديث صفات تسمية مبتدعة لم ترد فى كتاب أو سنة وليست حقيقية فإنها إضافات ليس غير.

٤ ـ العقائد/ من رسائل البنا ـ ط القاهرة. وليت هذا الكلام الحسن يوقظ قلوب المسلمين تجاه الشيعة الذين يقولون فى الصفات بقول الخلف..


ملاحظات

من خلال استعراضنا لعقائد أهل السنة وعقائد الشيعة برزت أمامنا عدة ملاحظات وجب ذكرها إتماماً للفائدة..

١- أن أهل السنة لا ينقمون على الشيعة لشيء في عقائدهم يتعلق بالتوحيد والنبوه بقدر ما ينقمون عليهم بسبب قضية الإمامة وما يبنى عليها من موقف عدائي للصحابة خاصة للخلفاء الثلاثة. أي أن الموقف العدائي الذي يتبناه أهل السنة تجاه الشيعة يقوم على أساس الرجال وليس على أساس النصوص

٢- ان مأزق أهل السنة في مسائل الاعتقاد يكمن في ذلك الكم الكبير من الروايات المنسوبة للرسول(ﷺ) والتي تشير الى التشبيه الجسيم وإضفا صفة القداسة على ابى بكر وعمر وسائر الصحابة. فهذه الروايات الصحيحة بطريقتهم رغم صدامها مع القرآن والعقل والواقع لا يستطيعون إنكارها وجحودها.

٣- أن الشيعة لا توجد في دائرتها الصراعات العقائدية والفكرية السائدة في وسط أهل السنة حول قضية التوحيد. والتي ان دلت على شيء فإنما تدل على ان القواعد والاصول عند أهل السنة مهزوز وغير راسخة مما يفتح باب الخلاف والشقاق والتباعد بينهما قواعد الشيعة ثابته ومستقرة..

٤- أن النصوص هي الاساس عند الشيعة فعلى أساسها بنيت قضية التوحيد وقدم الامام على ومنح آل البيت خصوصية شرعية اقتضت إمامتهم وعصمتهم. وأهل السنة يعترفون بهذه النصوص لكنهم يؤلونها على غير معناها..

٥- أن الدعوة الوهابية تخطت عقيدة السلف وحرفتها بما يدعم تصورها ويبين هذا بوضوح في كتب العقائد الصارة عن هذه الدعوة والتي أغرقت بها الساحة الإسلامية المعاصرة وكلها كتب وافدة من السعودية..[١]

٦- أن الشيعة اليوم لا تواجه عقيدة أهل السنة كما كانت على عهد السلف لا تواجه افراداً يمثلون السلف تمثيلاً حقيقياً خاصاً في الجانب الأخلاقي. وإنما تواجه عقيدة الوهابين التي غزت بقاع العالم الإسلامي وتواجه افراداً يمثلون خط ابن تيمية الذي زرع الشقاق والخلاف بين أهل السنة قبل أن يزرعه بين أهل السنة والشيعة..

٧- ان السياسة تدخلت في صياغة عقيدة أهل السنة وبدأ أثرها واضحاً على التوحيد والنبوه والإمامة..

٨- أن عرض موقف كلا من الطرفين في المسائل العقائدية يكشف لنا مدى التباعد بين الطرفين. وان مسألة التقارب لن تتم إلا بتنازل أحد الطرفين عن مقومات العقائدية محور الخلاف مع الطرف الآخر. وهذا أمر غير وارد وأن كان أهل السنة هم الذين يطالبون الشيعة بتقديم التنازلات على الدوام..

٩- ان الفرق التى خالفت أهل السنة مثل الجهمية والمعتزلة والمرجئة وغيرها لا تصطدم بجوهر الإسلام وأصوله. وإن الموقف المتشدد من قبل أهل السنة تجاههم موقف لا يقوم على أسانيد قطعية وتفوح منه رائحة السياسة(٢).

١٠- أن المطلع على كتب الفرق يكتشف أن أهل السنة يتهمون خصومهم على الدوام بأنهم يتلقون عقائدهم وآرائهم من الزنادقة واصحاب الملل الأخرى(٣).

١١- أن أهل السنة يختلفون فيما بينهم حول التوحيد والنبوه لكنهم مجمعون فيما بينهم على قضية الإمامة وأطاعة حكام الجور..(٤)

١٢- أن السلف أو الخلف من أهل السنة لم تكن تشغلهم قضية التوسل وزيارة القبور وإن هذه القضية قد برزت فى فكرة متأخرى الحنابلة وتلقفها ابن تيمية من بعد وربطها بالتوحيد ثم تلقفها منه الوهابيون اليوم..(٥)

١٣- أن الحكم بالزيغ والضلال والتبديع على مخالفى أهل السنة زرع بذور التطرف والعداء فى العقل السنى تجاه المخالفين ومهد الطريق لأمثال ابن تيمية وابن عبد الوهاب...

١٤- استقطبت فرقة المرجئة الكثير من فقهاء السنة من أهل الكوفة وغيرهم خلاف المعتزلة والشيعة.

١٥- إن المطلع على كتب العقائد سوف يكتشف أن هناك أجماع من أهل السنة على جعل قضية المسح على الخفين خمن بنود الاعتقاد..(٦)

١٦- من أبرز البنود العقائدية عند أهل السنة عدم تكفير أهل القبلة فأهل القبلة عندهم مسلمون مؤمنون..(٧)

١٧- فى لمعة الاعتقاد وضع مؤلفها بنداً شاذاً ضمن بنود عقيدته ينص على ان معاوية خال المؤمنين وكاتب وحى الله أحد خلفاء المسلمين..(٨)

١٨- أن دعاة الوهابية المعاصرة قد قاموا بالسطو على كتب العقائد السلفية وقاموا بتفتيحها وإزالة أية شبهات فى بنودها من الممكن أن تشير إلى ان عقائدهم مخالفة لعقائد السلف..(٩)

١٩- فى متن العقيدة النسفية بند يقول : ينبغى أن يكون الامام ظاهراً لا مختفياً ولا منتظراً ويكون من قريش ولا يجوز من غيرهم ولا يختص ببنى هاشم وأولاد على ولا يشترط فى الإمام أن يكون معصوما ولا أن يكون افضل أهل زمانه..(١٠)

٢٠- فى عقيدة أهل السنة لابن حنبل بند يقول : لا تشاور أحداً من أهل البدع فى دينك ولا ترافقه فى سفرك..(١١)

٢١- فى العقيدة الواسطية نص يقول مسألة عثمان وعلى ليست من الاصول التى يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة لكن التى يضلل فيها هى مسألة الخلافة..(١٢)

هوامش

١ ـ من كتب العقائد الوهابية التى أغرقت بها الساحة الإسلامية اليوم :

كتاب العقيدة الواسطية لابن تيمية والفتوى الحموية والرسالة العرشية له ايضاً. وكتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب. والعقيدة الصحيحة ونواقض الإسلام لابن باز. والعقيدة الطحاوية وشرحها. والتى قام ابن باز بالتعليق عليها. ومن بين الأمور التى علق عليها ابن باز قول الطحاوى : وتعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات لا تحوية الجهات التى كسائر المبتدعات. قال ابن باز : هذا الكلام فيه إجمال قد يستغله أهل التأويل والالحاد اسماء الله وصفاته وليس مراد ـ الطحاوى ـ نفى علو الله واستواءه على عرشة. . ويعلق ابن باز على قول الطحاوى : لا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أداخله فيه. يعلق قائلا : وقد يخرج من الإسلام بغير الجحود لاسباب كثيرة بينها أهل العلم فى بيان حكم المرتد . .

كما يعلق على قول الطحاوى والإيمان هو الأقرار باللسان والتصديق بالجنان قائلا: هذا التعريف فيه نظر وقصور. كذالك قوله: والإيمان واحد وأهلة فى أصلة سواء. لم يعجب ابن باز لأن فى هذا الكلام رائحة الإرجاء. ويذكر ان الطحاوى حنفى المذهب وقد كان أهل الارجاء كثيرين الاصناف إتباعاً لإمامهم

وقد قام ابن عثيمين تلميذ ابن باز بالسطو على لمعة الاعتقاد لابن قدامة وقام بتهذيب الفتوى الحموية. وله رسائل فى العقيدة والقواعد المثلى فى صفات الله واسمائة الحسنى.

والوهابيون لا يتجهون إلى كتب الاعتقاد الصادرة عن اتجاهات صوفية او مذهبية كالعقيدة النفيسة والخزيدة وجوهرة التوحيد لأنها لا تخدم أغراضهم.

٢ ـ يقول الغزالى فى الاقتصاد فى الاعتقاد :المعتزله والمشبهة والفرق كلها سوى الفلاسفة وهم الذين يصدقون ولا يجوزون الكذب لمصلحة وغير مصلحة ولا يشتغلون بالعليل لمصلحة الكذب بل بالتأويل ولكنهم مخطئون فى التأويل فهؤلاء أمرهم محل الاجتهاد والذى ينبغى ان يميل المحصل إليه الاحتراز من التكفير ما وجد إليه سبيلا . .

٣ ـ يؤكد أهل السنة ان وراء الجهمية والقدرية والمشبهة اليهود والنصارى كما يعتقدون ان الشيعة ابتدع فكرتها عبد الله بن سبأ اليهودى. .

٤ ـ انظر كتب العقائد والفرق يتبين لك هذا الامر بوضوح . .

٥ ـ انظر جوهرة التوحيد والفريدة والعقيدة النفيسة لا تجد أثراً لهده القضية وقد رد على ابن تيمية ومن سار على دربة فى هذه القضية الكثير من علماء السنة المطهرة :

٦ ـ كان ابو حنيفة ممن اتهموا بالإرجاء ومعه كثير من الاحناف..

٧ ـ الهدف من وضع مسألة المسح على الخفين ضمن بنود الاعتقاد هو تحصين جماهير السنة ضد الشيعة التى لا ترى المسح

٨ ـ إذا كان أهل السنة يرون اسلام جميع أهل القبلة فلماذا لا يتسامحون مع المخالفين

٩ـ يقال معاوية خال المؤمنين لأنه أخو ام حبيبة زوجه الرسول (ﷺ). وهناك خلاف بين أهل السنة حول إخوة امهات المؤمنين هل يقال لهم أخوال المؤمنين أم لا. انظر منهاج السنة ١٩٩/٢. لابن تيمية. والجدير بالذكر إن صاحب اللمعة بعد ذكره بند معاوية خال المؤمنين ذكر بند طاعة الحكام وأئمة المسلمين وأن فجروا. ومن غلب الامة بالسيف وصار خليفة وجبت طاعته وحرمت مخالقته..

١٠ ـ وفى متن النسفية ايضاً بند يقول : ولا تحرم نبيذ التمر.. ومن الواضح ان كلام النسفى عن الامام يقصد به الشيعة..

١١ ـ وفى عقيدة ابن حنبل أيضاً : المتعة حرام إلى يوم القيامة. والتكبير على الجنائز أربع. ويبدو ان الشيعة قد أرقت أهل السنة بعقيدتها واحكامها إلى الدرجة التى استفزتهم ودفعت بهم إلى إدخال الاحكام الفقهية فى بنود الاعتقاد..

١٢ ـ ينقل ابن تيمية فى عقيدته الواسطية بكل فخر واعتزاز تسامح أهل السنة وتواضعهم بل وتنازلهم مع من دونهم وتخفيف الحكم على من يقدم عليها على عثمان لكنه ينقل ايضاً عدم تسامح أهل السنة مع الذين لا يقرون بالخلافة أى خلافة الاربعة. فهذه مسألة لا تنازل فيها والاحكام مشدودة. وهم معذورون فى ذلك اذ ان مسألة الخلافة هذه تعد الركن الاساس فى عقيدتهم..

موجز بالصراعات العقائدية والفكرية داخل أهل السنة

يعتقد أهل السنة بأنه سوف تحدث فرقة فى الأمة تصل إلى ثلاث وسبعين فرقة كما فى الحديث.. إلا أنهم يعتقدون أن هذه الفرقة لم تحدث طوال عصر الخلفاء الثلاثة وهى إن وقعت بعد ذلك فقد وقعت خارج دائرة أهل السنة..

وسيراً مع حديث : خير القرون قرنى ثم الذى يليه ثم الذى يليه. فإن الخير المقصود من الحديث هو أهل السنة الفرقة الناجية والطائفة المنصورة بجماهيرها وحكامها..(١)

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا : هل يشهد التاريخ بذلك؟

إن النتائج التى توصلنا إليها من خلال هذا البحث تكشف لنا أن أهل السنة ليس لديهم ما يميزهم عن الآخرين وأن سيادتهم وانتشارهم كانا على حساب السياسة وبدعم الحكام..

من هنا فقد ظهرت على مر التاريخ انشقاقات وصدامات عقائدية وفكرية كثيرة داخل السنة..

وسوف نعرض هنا لهذه الصراعات والصدامات بشكل موجز يفى بالغرض..

يقول المقريزى : أكثر افتراق أهل السنة فى الفتيا ونبذ يسير فى الاعتقادات..(٢)

لكن التاريخ لا يشهد بصحة قول المقريزى هذا..

ـ إن أول خلاف وقع بين أهل السنة كان بعد وفاة الرسول(ﷺ)وكان محوره الحكم والإمارة ودار بين الصحابة فى سقيفة بنى ساعدة . ولم يكن خلافا فقهياً كما لم يكن خلافاً عادياً وإنما كان صراعاً وعراكاً خلا من الضوابط الأخلاقية وسيطرت عليه النزاعات الدنيوية. قد انبنى على ما تمخض عنه هذا الصراع قواعد وعقائد أصبحت جزءاً من عقيدة أهل السنة..(٣)

- وثانى خلاف وقع بين أهل السنة وقع فى عهد عثمان حين أحرق المصاحف وألزم الأمة بمصحف واحد. ورفض بعض الصحابة وعلى رأسهم ابن مسعود فعل عثمان هذا وتمسك بمصحفه..[٤]

- وثالث خلاف وقع فى دائرة أهل السنة كان بسبب سياسة عثمان[٥]

وتجاوزاته وسيطرة أقاربه على السلطة. ذلك الخلاف الذى انتهى بمصرعه..

- ورأبع خلاف كان بين عائشة والإمام على (ع) وتسبب فى مصرع آلاف من المسلمين صحابة وتابعين..[٦]

- وخامس خلاف كان بين الإمام على (ع) وبين معاوية وقد انقسم الصحابة والتابعون فى مواجهة هذا الخلاف ثلاثة أقسام : قسم ساند الإمام ونصره. وقسم ساند معاوية ونصره. وقسم وقف على الحياد..[٧]

- وسادس صور الخلاف ما وقع بين السلف والخلف حول آيات وأحاديث الصفات وما نشأ عن هذا الخلاف من تصدع وشقاق فى دائرة أهل السنة..[٨]

- وسابع خلاف ما وقع بين الأشاعرة وأهل السنة وتدخل الحكومات لنصرة مذهب الأشعرى..[٩]

- وثامن خلاف ما وقع بين الأشاعرة والماتريدية وأدى إلى انقسام أهل السنة إلى فرقتين اعتبرا جناحى أهل السنة..[١٠]

- وتاسع خلاف ما وقع من الحنابلة فى بغداد من فتنة التشبيه والتجسيم وما حدث بينهم وبين أهل السنة من صدام.[١١]

- العاشر ما حدث من صدام وخلاف بين ابن تيمية وفقهاء السنة فى عصره حول الصفات مما أدى إلى محاكمته وحبسه وتلميذه ابن القيم.[١٢]

- الحادى عشر الصدام الذى وقع بين ابن تيمية وبين الأشاعرة واتهامه للأشعرى بالتجسيم..[١٣]

- الثانى عشر الصدام الذى وقع بين الوهابيين وعلماء الحجاز حين ظهرت دعوتهم وما نتج عن ذلك من إراقة للدماء وبطش بالمخالفين..[١٤]

- ثالث عشر الصدامات التى وقعت فى عدة بقاع إسلامية بسبب محاولة الخط الوهابى التغلغل إلى تلك البقاع..[١٥]

- رابع عشر الصدامات المتكررة فى وقتنا الراهن بين الفرق الوهابية المختلفة من إخوان وسلفيين وجهاد وتبليغ وغيره.

- خامس عشر الصدامات المتكررة بين تيارات التكفير وعلماء السنة وتياراتها المختلفة مع التكفير..[١٦]

- سادس عشر الصدام الذى وقع بين التيار الوهابى السلفى الأصولى وبين علماء نجد الوهابيين فى السعودية اليوم والذى تتسع فجوته يوماً بعد يوم..[١٧]

- سابع عشر الصدام الواقع بين تيار الشيخ الألبانى السلفى بالشام وبين تيار الدكتور البوطى والحرب الإعلامية المستعرة بينهما..[١٨]

- ثامن عشر الصدامات والانشقاقات المستمرة فى دائرة التيار السلفى الوهابى المعاصر فى كل مكان..[١٩]

- تاسع عشر الصدام الواقع بين علماء الوهابية والجماعات الإسلامية داخل الجزيرة العربية..[٢٠]

هوامش

١ ـ حديث خير القرون رواه.مسلم..

هناك رواية بالبخاري تقول : خير الناس قرني. ولست أدرى أين الخير فى القرن الأول أو الثانى أو الثالث. هل هو اغتصاب بنى أمية للحكم والتسلط على رقاب المسلمين وإقامة أول ملكية فى الإسلام؟ والبطش والتنكيل بالصحابة والتابعين الذين خالفوا بنى أمية؟ أم هو ذبح الحسين وآل البيت فى كربلاء؟ أم هو استباحة المدينة من قبل جيش يزيد..؟ أم هى مجازر العباسيين وكثرة الفرق وشيوع المجون والفسق فى الأمة..؟

٢ ـ خطط المقريزى حـ ٤٠ط دار التحرير القاهرة. ويقول المقريزى أيضاً فى نفس الجزء : واشتهرت مذاهب الفرق من القدرية والجهمية والمعتزلة والكرامية والخوارج والروافض والقرامطة والباطنية حتى ملأت الأرض. وما منهم إلا من نظر فى الفلسفة. وسلك من طرقها ما وقع عليه اختياره. فلم يبق مصر من الأمصار. ولا قطر من الأقطار. إلا وفيه طوائف كثيرة ممن ذكرنا.

ترى أين موقع أهل السنة فى ذلك الزمان..؟

٣ ـ انظر أحداث السقيفة فى كتب التاريخ. وانظر لنا السيف والسياسة.

وقد استنبطت من السقيفة قواعد اختيار الحاكم عند أهل السنة والتى تم حصرها فى ثلاث صور : الأولى الشورى حسبما حدث فى السقيفة وتم اختيار الخليفة الأول. الثانية الوصية من سابقه كما أوصى أبو بكر لعمر. الثالثة الاختيار ضمن مجموعة محددة أو الوصية بمجموعة كما فعل عمر. وقد فتحت هذه الصور الثلاث الباب لبنى أمية فيما بعد للوصول إلى حكم المسلمين.. وقد انبثق عن مواقف الخلفاء الثلاثة قاعدة عقائدية تلزم المسلم بضرورة الاعتقاد بأن الخليفة بعد الرسول (ﷺ) أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم(على) هكذا بالترتيب..

٤ ـ انظر كتب تاريخ القرآن. ،قصة خلاف ابن مسعود بالبخارى

٥ ـ انظر كتب التاريخ.. والسيف والسياسة..

٦ ـ انظر المراجع السابقة..

٧ ـ المراجع السابقة. ويلاحظ أن أهل السنة لا يعتبرون خلافات الصحابة واقتتالهم انحرافاً عن الإسلام. ولا يجيزون البحث فى هذه الخلافات والخوض فى الصحابة. واعتبروا هذا جزءاً من الاعتقاد ألزموا الأمة به. كما اعتبرت فترة الخلافة فترة مقدسة ومرحلة تشريع كمرحلة النبوة..

٨ ـ انظر فصل التوحيد من هذا الكتاب. وكتب الفرق والعقائد..

٩ ـ انظر الفصل السابق والمراجع السابقة..

١٠ ـ المراجع السابقة..

١١ ـ انظر تفاصيل فتنة الحنابلة فى بغداد فى الكامل لابن الأثيرحـ ٢٤٨/٦..

١٢ ـ انظرتفاصيل صدامات ابن تيمية مع علماء عصره ومحاكمة أفكاره فى الدرر الكامنة لابن حجر حـ ١. والبداية والنهاية لابن كثير. والفتاوى الكبرى له

١٣ ـ انظر الفتاوى الكبرى والعقيدة الواسطية والفتوى الحموية.

ويهاجم ابن تيمية أهل السنة الذين اتخذوا موقفاً من أحاديث الصفات قائلاً : وأهل البدع والأهواء بإزاء السنة الصحيحة فريقان :

ـ فريق لا يتورع عن وردها وإنكارها إذا وردت بما يخالف مذهبه بدعوى أنها أحاديث آحاد لا تفيد إلا الظن والواجب فى باب الاعتقاد هو اليقين وهؤلاء هم المعتزلة و(الفلاسفة)

ـ وفريق يثبتها ويعتقد بصحة النقل ولكنه يشتغل بتأويلها كما يشتغل بتأويل آيات الكتاب حتى يخرجها عن معانيها الظاهرة إلى ما يريده من معان بالإلحاد والتحريف. وهؤلاء هم متأخر والاشعرية وأكثرهم توسعاً فى هذا الباب الغزالى والرازى. انظر العقيدة الواسطية.

وتأمل تعبيرات ابن تيمية المتطرفة تجاه المخالفين له ويذكر أن الغزالى والرازى والجوينى وهم من الأشاعرة قد قاموا بحركة تصحيح لمذهب الأشعرى.

١٤ ـ انظر تاريخ الحركة الوهابية ومقاومة العلماء لها فى الحجاز..

١٥ ـ هذه الصدامات لا تزال مستمرة حتى اليوم وهى تبدو بوضوح فى البلدان التى تتميز بوجود صوفى قوى كمصر والسودان وبلاد المغرب العربى..

١٦ ـ انظر هذه التيارات بالتفصيل والصراعات الدائرة بينها وبين بعضها فى كتابينا عن الحركة الإسلامية فى مصر..

١٧ ـ برز التيار السلفى الأصولى المعادى لعلماء السلطة فى السعودية بعد حادثة جهيمان الذى اقتحم الحرم عام٧٩. واصبح اليوم يشكل قلقاً كبيراً لعلماء الوهابية والسلطة السعودية..

١٨ ـ رفض الدكتور البوطى فكرة اللامذهبية التى ينادى بها التيار السلفى والألبانى وكتب

كتابا أسماه : اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية. ورد عليه تيار الألبانى بكتاب التعصب المذهبى. كما ردوا عليه بكتاب التوسل أنواعه وأحكامه. ،كتبوا كتاباً أسموه الرد على جهالات البوطى. ورد البوطى بكتاب : السلفية مرحلة مباركة لا مذهب إسلامى..

١٩ ـ انظر كتابينا عن الحركة الإسلامية.

٢٠ـ انظر لنا كتاب فقهاء النفط..

نماذج من فتاوى أهل السنة والمخالفين

- من قال القرآن مخلوق فهو كافر..(ابن حنبل)

- من زعم أن أسماء الله مخلوقة فقد كفر(ابن حنبل)

- لا يصلى خلف واقفى ولا خلف لفظى (ابن حنبل)*

- الذين خالفوا السنة والجماعة نحن منهم برآء وهم عندنا ضلال وأردياء.. (صدر الدين على بن أبى العز الحنفى شارح العقيدة الطحاوية..)

- علماء السلف والتابعين من ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل.. (الطحاوى)

- من أحسن القول فى الصحابة وأزواج النبى فقد برىء من النفاق.. (الطحاوى)

- نحب أصحاب الرسول وحبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان (الطحاوى)

- من قال لا أعرف ربى فى السماء أم فى الأرض فقد كفر.. (أبو حنيفة)

- من شبه الله بخلقه كفر. ومن جحد ما وصف الله به نفسه كفر (نعيم بن حماد شيخ البخارى)*

- الخليفة بعد الرسول الله(ﷺ) ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علىّ ومن طعن فى خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله.. (ابن تيمية)

- من لم يتوق النفى والتشبيه زل ولم يصب التنزيه.. (الطحاوى)

- من طلب الدين بالكلام تزندق.. (أبو يوسف)

- ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خصموا ،وإن أنكروا كفروا.. (الشافعى)

- المخالف فى الرؤية الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الإمامية قولهم باطل مردود (شارح الطحاوية)

- تأويل الرؤية والعلم وأنه لم يكن موسى كليماً ولم يتخذ إبراهيم خديلاً. تأويلات فاسدة.. (شارح الطحاوية)

- من ذكر مساوىء الصحابة أو طعن على أحد منهم بعيب أو نقص أدب فإن تاب وإلا جلد فى الحبس حتى يموت أو يرجع.. (ابن حنبل)

- فرق أهل القبلة الخارجة عن السنة متوعدون بالهلاك والنار وحكمهم حكم عامة أهل الوعيد إلا من كان منهم كافراً فى الباطن..*

- لا يجوز الطواف بغير البيت العتيق ولا يجوز النذر للأولياء والصالحين ولا يجوز التوسل بالأموات وشد الرحال إلى القبور وكل ذلك شرك..*

- من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعاً. ومن لم يكفر المشركين أو شك فى كفرهم أو صحح مذهبهم كفر.. (ابن باز)

---

* الواقفى هو الذى يقول القرآن كلام الله ويسكت. واللفظى الذى يقول لفظى بالقرآن مخلوق..
* المقصود بالجاحد هو النافى لصفات الله..
* مجمل اصول أهل السنة والجماعة د/ناصر العقل وهو من المنشورات الوهابية..
المقصود بالمشركين هنا هم الصوفية والشيعة. والاجماع هو إجماع علماء الوهابية طبعاً

جدول يبين أهم نقاط الخلاف بين السنة والشيعة

المسألة	السلف	الخلف	ابن تيمية	الشيعة
صفات الله	غير ذاته	غير ذاته	غير ذاته	عين ذاته
اليد	على مراد الله	القدرة	يد	القدرة
الوجه	.. .. ..	ذات الله	وجه	ذات الله
العين	.. .. ..	الإحاطة	عين	الإحاطة
الرؤية	واردة	غير واردة	واردة	غير واردة
الجهة	السماء	العلو	السماء	العلو منزه
كلام الله	على مراد الله	مجاز	حقيقة	بواسطة
النزول	نزول على مراده	نزول أمره ورحمته	نزول	نزول أمره ورحمته
الاستواء	استواء على مراده		مستوى فى السماء	الاستيلاء
القرآن	كلام الله قديم	الاستيلاء	كلام الله قديم	مخلوق
التوسل	جائز	مخلوق	غير جائز	جائز
افعال العباد	مخلوقة	جائز	مخلوقة	اختيارية
الشفاعة	جائزة	غير مخلوقة	جائزة	جائزة
العدل	ليس واجبا	جائزة	ليس واجبا	أصل واجب
الرسول	معصوم فى التبليغ	عصمة تبليغية	عصمة تبليغية	عصمة كلية
الحديث	بطريق الصحابة	بطريق الصحابة	بطريق الصحابة	بطريق آل البيت
الإمامة	مفتوحة	مفتوحة	مفتوحة	مختصة بآل البيت
الصحابة	عدول	عدول	عدول	غير عدول
الطاعة	للبر والفاجر	للبر والفاجر	للبر والفاجر	للبر فقط
الصلاة	وراء البر والفاجر	وراء البر والفاجر	وراء البر والفاجر	وراء البر
الحج والجهاد	// // //	// // //	// // //	// //

مراجع الكتاب

- المختصر فى العقيدة والأخلاق — د/ محمد عبد الرحمن بيصار. ط القاهرة
- العقيدة الواسطية — ابن تيمية / ط السعودية
- دراسات فى العقيدة الإسلامية — محمد جعفر شمس الدين / ط بيروت
- هوية التشيع — الوائلى / ط بيروت
- أعيان الشيعة — محسن الأمين / ط بيروت
- الجامع لأحكام القرآن — القرطبى / ط القاهرة
- إلجام العوام عن علم الكلام — الغزالى / ط القاهرة
- نجاة الخلف فى اعتقاد السلف — النجدى / ط القاهرة
- شرح البيجورى على جوهرة التوحيد — البيجورى / ط القاهرة
- ابن تيمية ليس سلفياً — منصور عويس / ط القاهرة
- الفتاوى الكبرى — ابن تيمية / ط السعودية
- التوحيد — محمد بن عبد الوهاب / ط القاهرة
- فرقان القرآن — للشيخ القضاعى / ط القاهرة
- المواعظ والاعتبار ببقاء الجنة والنار — السبكى / ط القاهرة
- العقائد الإسلامية — الشيرازى / ط بيروت
- معالم الفلسفة الإسلامية — محمد جواد مغنية / ط بيروت
- النكت الاعتقادية — الشيخ المفيد /ط بيروت
- معالم التوحيد فى القرآن — جعفر السبحانى / ط بيروت
- عصمة الأنبياء — الرازى / ط بيروت

- تاريخ القرآن   الزنجانى / ط القاهرة
- البيان فى تفسير القرآن   الخوئى / ط بيروت
- مجمع البيان فى تفسير القرآن   الطبرسى / ط بيروت
- الفكر المنهجى عند المحدثين   همام سعيد . ط قطر
- معالم النبوة فى القرآن   جعفر السبحانى / ط بيروت
- حق اليقين فى أصول الدين   شبر / ط بيروت
- آلاء الرحمن فى تفسير القرآن   البلاغى / ط قم - إيران
- رسالة فى معرفة الصحابة   الحر العاملى / ط طهران
- العقيدة الطحاوية   الطحاوى / ط القاهرة
- الأحكام السلطانية   أبى يعلى / ط القاهرة
- هكذا تكلم على شريعتى   فاضل رسول / ط بيروت
- نهج الحق وكشف الصدق   الحلى / ط بيروت
- الاعتصام   الشاطبى / ط القاهرة
- الاقتصاد فى الاعتقاد   الغزالى / ط القاهرة
- الإصابة فى تمييز الصحابة   ابن حجر / ط بيروت
- شبهات حول الشيعة   الموسوى / ط بيروت
- كتب السنن..
- كتب التاريخ..
- كتب الفرق..

صدر للمؤلف

. فى منهج العمل الإسلامى.

. جذور التناقض فى الواقع الإسلامى.

. الحركة الإسلامية فى مصر : رؤية واقعية لمرحلة السبعنيات.

. الحركة الإسلامية فى مصر : واقع الثمانينيات.

. الحركة الإسلامية والقضية الفلسطينية : رؤية التيارات الإسلامية فى مصر.

. مذكرات معتقل سياسى : ثلاث سنوات تحت التعذيب.

. حركة آل البيت.

. مذكرات عربجى : وجه مصر فى العشرينيات.

* الشيعة فى مصر : من الإمام على حتى الإمام الخمينى.

* مصر وإيران : صراع الأمن والسياسة.

* : فقهاء النفط.

وتحت الطبع

* فقه الهزيمة : دراسة فى أصول الفكر السلفى.

* أحاديث اخترعها السياسة.

* السيف والسياسة فى الإسلام.

* العقل المسلم بين أغلال السلف وأوهام الخلف.

* مصارع الحكام فى تاريخ الإسلام.

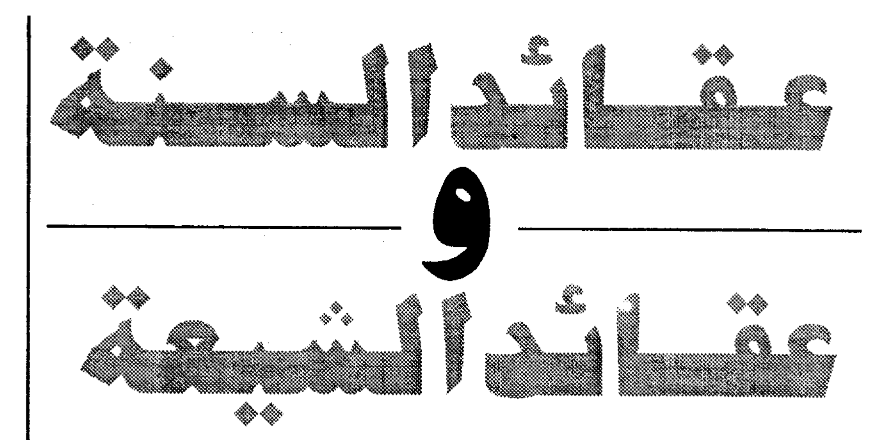
* السلفيون والشيعة.

* شهداء الرأى فى التاريخ الإسلامى.

* الإسلام والعمل الإسلامى.

* الخدعة : الأسلام بين النص والسياسة.

فهرس الكتاب



التقارب والتباعد

صالح الوردانى

الناشر : مدبولى الصغير